الكتاب: الجمل
المؤلف: الشيخ المفيد
الجزء:
الوفاة: ٤١٣
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع:
المطبعة:
الناشر: مكتبة الداوري - قم - ايران
ردمك:
ملاحظات:

الجمل

(تعريف الكتاب ١)

ترجمة الشيخ المفيد

هو محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان ابن سعيد بن جبير (١) ولد سنة ٣٣٨ (٢) في الحادي عشر من ذي القعدة بقرية تعرف (بسويقة ابن البصري) من عكبرى (٣) وتبعد عن بغداد إلى ناحية الدجيل عشرة فراسخ (٤)، وكان ربعة من الرجال نحيفا أسمر اللون (٥).

عرف بابن المعلم لأن أباه كان معلما بواسط (٦)، كما اشتهر (بالمفيد) أما لأن الإمام صاحب العصر (عجل الله فرجه) لقبه به، كما نص عليه ابن شهرآشوب (٧)، أو أن شيخه علي بن عيسى الرماني لقبه به، كما أثبته الشيخ ورام (٨).

---

(١) النجاشي ص ٢٨٣.
(٢) ابن النديم في الفهرست ص ٢٧٩.
(٣) مجموعة ورام ص ٤٥٦.
(٤) معجم البلدان (ج ٦ - ص ٢٠٣).
(٥) شذرات الذهب (ج ٣ - ص ٢٠٠).
(٦) لسان الميزان (ج ٥ - ص ٣٦٧).
(٧) معالم العلماء ص ١٠١ طهران.
(٨) المجموعة ص ٤٥٦.

وكيف كان فهو الحري بهذا اللقب، لإجماع أهل الفضل وذوي التحقيق من الفريقين على تقدمه على من عاصره، وتبرزه في العلوم العقلية والنقلية والحديث والرجال والأدب، وله قوة العارضة في الجدل والظهور على الخصم. قال ابن النديم: شاهدته وجالسته فرأيته شديد الفطنة ماضي الخاطر بارعا في العلوم.

ويزيد ابن حجر العسقلاني بقوله: أن له على كل إمام منة.

وصادق على هذه الظاهرة في شيخنا المفيد كل من الذهبي واليافعي وابن كثير وابن العماد وأبو حيان التوحيدي (١).

ومهما تكثرت الأقوال من علماء الإمامية وغيرهم في حق الشيخ المعظم فإني أرى البيان لينحسر عن تحديد نفسيته وما آتاه المهيمن جل شأنه من ملكات فاضلة بعد أن خاطبه (أمام العصر) عجل الله فرجه في كتابه الأول: بالأخ السديد، والمولى الرشيد أيها المولى المخلص وفي ودنا الناصر لنا، إلخ.

ويقول في الثاني: من عبد الله المرابط في سبيله إلى ملهم الحق ودليله، سلام عليك أيها العبد الصالح الناصر للحق الداعي إليه بكلمة الصديق، إلخ (٢)

فإنك بعد أن أحطت خبرا بأن صاحب الناحية المقدسة لم يخاطب أحدا إلا باسمه الساذج من دون إطراء كما إنه عليه السلام لا يلفظ إلا نفس الحقيقة سواء في ذلك مدح رجل أو بيان حكم أو فصل قضاء

---

(١) أنظر أقوالهم في ترجمته المطبوعة مع أمالي المفيد ص ٢ في النجف طبعة ثانية.

(٢) الكتابان في احتجاج الطبرسي ص ٢٧٧ ط النجف.

وهكذا سبيل أمناء الوحي والحجج على الخلق فإنهم لا ينطقون إلا عن الأمر الإلهي.

تعرف حينئذ إن من يتخذه (حجة الزمن) عليه السلام أخا له ويعترف له بالصدق في الأقوال والرشد في الأمر هو فوق مستوى البشر بعد الحجج الأطهار. نعم وجده صاحب الناحية المقدسة ذلك الرجل الناهض للدعوة الآلهية الناشر للمعارف الأحمدية والذاب عن قدس الشريعة المطهرة فأعطاه ذلك الوسام المشعر بالعظمة والتفوق على غيره ممن عاصره.

كتاب الجمل:

وإن من يقرأ كتبه في الإمامة والفقه والحديث يذعن بأنه ذلك المتبرز في البرهنة الصحيحة ودحض معرة الشبه والإلحاد، وليس من البدع إذا كان شيخ الأمة المفيد مستقاها في العلوم ومورد ريها ومحل ثقتها.

أما كتاب (الجمل) فيعطي القارئ صورة واضحة لشيخنا الأعظم من دقة النظر وقوة في الحجاج كما أنه يوقف الباحث على الآراء في الإمامة وما يرتؤنه في هذا الحادث الذي أقلق الفكر وأخذ بمن لم يستضئ بنور الحقيقة إلى مهوى سحيق.

ولقد دلنا هذا الكتاب المفعم بالشواهد التاريخية الصحيحة عند الفريقين على نفسيات الرجال وضعف الأدمغة مع عدم التباعد عن أحاديث الرسول الأقدس في حق وصيه المقدم والخلفاء من ذريته، وأن الخلاف عليه وخيم العاقبة، وهذا بعد التعريف بمواقفه في الإسلام يوم

كان الشرك ضاربا بحرانه مخيما على أولئك الضعفاء وبمضاء من سيف أمير المؤمنين عليه السلام ونمير من فضله قام عمد التوحيد وأحكمت قواعد الإيمان وانقشعت سحب الضلال واستنار العالم بالحقايق.

كان كتاب (الجمل) الماثل اليوم أمام القراء الكرام مختبئا في زوايا المكتبات لا يصل إليه إلا النفر النزر من رواد السيرة والتاريخ حتى قيض الله سبحانه المهذب الغيور (محمد كاظم بن الحاج محمد صادق الكتبي) صاحب المطبعة الحيدرية في النجف فأخرجه إلى القراء تلبية لطلبهم ونزولا عند رغبتهم ولكن الإسراع في الإجابة وحراجة الظروف أثرت على العناية في تصحيح الكتاب وتدقيقه غير أن الرغبة الأكيدة في الوقوف على ما فيه من حقايق التي لم يحوها غيره من المؤلفات على كثرتها أوجب تهافت القراء عليه ثقة بشيخنا المعظم لما أوتي من سعة في الحديث وتثبت في النقل ومحص دقيق لقضايا التاريخ.

وبعد نفاد نسخ الطبعة الأولى اجتهد الناشر صاحب (المطبعة الحيدرية) في عرض الكتاب على جماعة من أعلام المؤرخين فدققوا النظر في الكتاب بعد المقابلة على نسخة العلامة المتبحر الشيخ علي نجل الحجة الشيخ محمد رضا بن آية الله الشيخ هادي آل الشيخ الأكبر كاشف الغطاء أيده الله وأدامه مساعدا ومروجا لإحياء مؤلفات علمائنا الأعلام.

ثم أن المساعدين للناشر لم يكتفوا بهذه النسخة وغيرها وإنما بذلوا الجهد في تطبيق ما يذكره (المفيد) مع نصوص المؤرخين الأقدمين الذين تعرضوا لقضية (الجمل) وحديث الناكثين وأضافوا إلى ذلك تعاليق في هامش الكتاب كان بها الجدارة في الإثبات.

فالناشر يشكر المساعدين له الآخذين بعضده في المحافظة على
تصحيح هذا المؤلف القيم، كما إنا نشكر همته القعساء ونشخص إلى المهيمن
سبحانه مبتهلين بأن يمد في عمره ويوفقه للمثابرة على إحياء هذه المؤلفات
الجليلة يفيض عليه من لطفه وجوده.
إن رحمة الله قريب من المحسنين.
ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره.
وفاة المفيد:
توفي الشيخ (المفيد) ليلة الثالث من رمضان ببغداد سنة ٤١٣ ه
وصلى عليه علم الهدى السيد المرتضى بميدان الأشنان وحمل إلى مشهد
الإمامين الكاظمين عليهما السلام فدفن عند رجليهما، وكان يوم وفاته
كما يحدث عنه الشيخ الطوسي في (الفهرست (١) يوما مشهودا عظيما
اجتمع لتشييعه خلق كثير وبكاه المؤالف والمخالف ووجد على قبره مكتوب:
لا صوت الناعي بفقدك إنه * يوم على آل النبي عظيم
إن كنت قد غيبت في جدث الثرى * فالعدل والتوحيد فيك مقيم
والقائم المهدي يفرح كلما * تليت عليك من الدروس علوم

----
(١) المطبوع في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

الجمل
والنصرة في حرب البصرة
تصنيف
الشيخ السعيد المفيد محمد بن النعمان العكبري
المتوفى سنة ٤١٣ هجرية
(الطبعة الثانية)
من منشورات
مكتبة الداوري
قم - إيران

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ضمن النصرة لناصريه، وأعان على الحق بتوفيقه متبعيه، وخذل من عند عن دينه وألحد فيه، وصلواته على صفوته من خلقه ومجتبيه، محمد وآله المخصوصين بالطهارة والتنزيه، أيدك الله بتوفيقه سألت أن أورد لك ذكر الاختلاف بين أهل القبلة في حديث الفتنة بالبصرة، وما كان بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبين عائشة وطلحة والزبير من الحرب المهولة والقتال، ومذهب كل فريق من الأمة فيه على شرح له وبيان، وإثبات سبب هذه الفتنة والأخبار التي جاءت فيما جرى بين القوم، من القتال والفعال. فإن كل كتاب صنف في هذا الفن قد تضمن أخبارا تلتبس معانيها على جمهور الناس ولم يأت أحد من المصنفين بذكر الحرب في هذه الفتنة على الترتيب والنظام بل خلطوا الأخبار فيها خلطا لم يحصل معه تصور الخلل فيما كان بين الجميع منه على الظهور والتبيان للذي جاء. فقد جمعت لك أيدك الله كلما صدر عنهم، وأثبت في هذا الكتاب برهانا يفضي الناظر فيه إلى صحة الاعتقاد في أحكام القوم بأسمائهم بأعمالهم وما فيها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان والتبين والضلال. لتعلم وفقك الله

بالنظر والاعتبار وتخرج بذلك من التقليد الموبق لصاحبه ولتظفر بالحق ويزول عنك الاشتباه الذي التبس عليك أمره فيما كان هناك وأجبتك إلى ما سألت معتصما بالله عز وجل وسائلا لك التوفيق والرشاد وبالله أستعين.

(القول في اختلاف الأمة) في فتنة الجمل وأحكام القتال فيها:

أما المتولون للقتال في هذه الفتنة فقد أنبأنا عملهم فيها عن اعتقادهم ودلت ظواهرهم في ذلك على بواطنهم فيه إذ العلم يحيط بأن أمير المؤمنين عليا (ع) وولده وأهله من بني هاشم وأتباعه من المهاجرين والأنصار وغيرهم من المؤمنين لم يسلكوا فيما باشروه من الحرب وسعوا فيه من القتل واستباحة الدماء طريق المجرمين، لذلك الطالبين به العاجل، والتاركين به ثواب الآجل، بل كان ظاهرهم في ذلك، والمعلوم من حالهم، وقصدهم التدين والقربة إلى الله تعالى بعملهم، والاجتهاد فيه وأن تركه والإعراض عنه موبق من الأعمال والتقصير فيه موجب لاستحقاق العقاب.

ألا ترى إلى ما اشتهر من قول أمير المؤمنين (ع) وقد سئل عن قتاله للقوم (لم أجد إلا قتالهم أو الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله).

وقول عمار بن ياسر رحمه الله: أيها الناس والله ما أسلموا ولكنهم استسلموا وأسروا الكفر فلما وجدوا له أعوانا أظهروه (١) في أمثال هذين القولين من جماعة جلة من شيعة أمير المؤمنين (ع) يطول بشرحها الكتاب فهم يلائم معاني كلامهم في ذلك ظواهر فعالهم. والمعلوم من قصودهم وهذا ما لا مزيد فيه بين العلماء، وإنما يشتبه الأمر فيه على الجهلاء الذين لم يسمعوا الأخبار، ولا اعتبروا بتأمل الآثار.

وكذلك الأمر محيط بأن ظاهر عائشة وطلحة والزبير وكثير ممن

---

(١) نصر بن مزاحم في كتاب صفين ص ٢٤٣ ط مصر.

كان في حيزهم التدين بقتال أمير المؤمنين (ع) وأنصاره والقربة إلى الله سبحانه وتعالى في استفراغ الجهد فيه، وإنهم كانوا يريدون على ما زعموا وجه الله والطلب بدم الخليفة المظلوم عندهم، المقتول بغير حق وإنهم لا يسعهم فيما أضمروه في اعتقادهم إلا الذي فعلوه، فوضح من ذلك أن كلا من الفريقين يصوب رأيه فيما فعل ويخطئ صاحبه فيما صنع ويشهد لنفسه بالنجاة ويشهد على صاحبه بالضلال والهلاك.

إلا أن أمير المؤمنين (ع) صريح بالحكم على محاربيه ووسمهم بالغدر والنكث، وأخيرا أن النبي صلى الله عليه وآله أمره بقتالهم وفرض عليه جهادهم ولم يحفظ عن محاربيه فيه شئ ولا سمة له بمثل ذلك وإن كان المعلوم من رأيهم التخطئة له في القتال، والحكم عليه في بقائه على الأمر والامتناع من رده شورى بينهم وتسليمه قتلة عثمان إليهم بالزلل عن الحق الواجب عندهم والصواب.

وكان مذهب سعد بن مالك بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد ابن مسلمة الأنصاري، وأسامة بن زيد وأمثالهم ممن رأى القعود عن الحرب والتبديع لمن تولاها والحكم على أمير المؤمنين (ع) والحسن والحسين ومحمد بن علي (ع) وجميع ولد أبي طالب وكافة أتباع أمير المؤمنين من بني هاشم والمهاجرين والأنصار والمتدينين بنصرته المتبعين له على رأيه في الجهاد، بالضلال والخطأ، في المقال والفعال، والتبديع لهم في ذلك على كل حال.

وكذلك كان مذهبهم في عائشة وطلحة والزبير ومن كان على رأيهم في قتال أمير المؤمنين (ع) وإنهم بذلك ضلال عن الحق عادلون عن الصواب، مبدعون في استحلال دماء أهل الإسلام، ولم يحفظ عنهم في الطائفتين ولا في إحديهما تسمية بالفسوق ولا إخراجهم بما تولوه من الحرب والقتال عن الإيمان.

اختلاف الفرق:
(فصل) الخلاف بعد النبي الذي حكيناه عن السلف في الفتنة المذكورة قد تشعب وزاد على ما أثبتناه عمن سميناه في الخلاف، فقالت العالمة الحشوية المنتسبة إلى السنة على ما زعموا في ذلك أقاويل مشهورة وذهبوا مذاهب ظهرت عنهم مذكورة.

فمنهم طائفة اتبعت رأي سعد بن أبي وقاص وشركائه المعتزلة عن الفريقين ومذهبهم في إنكار القتال وحكموا بالخطأ على أمير المؤمنين والحسن والحسين ومحمد بن علي وابن عباس وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي أيوب الأنصاري وأبي الهيثم بن التيهان وعمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة وأمثالهم من وجوه المهاجرين ونقباء الأنصار. وعلى عائشة وطلحة والزبير وجميع من اتبعهم في الحرب واستحل معهم القتال، وشهدوا عليهم جميعا فيما صنعوه بالزلل عن الصواب، ووقفوا فيهم مع ذلك ولم يقطعوا لهم بعقاب، ورجوا لهم الرحمة والغفران، وكان الرجاء لهم في ذلك أقوى عندهم من الخوف عليهم من العقاب.

وقالت فرقة منهم أخرى بتخطئة الجميع كما قالت الأولى منهم في ذلك وقطعوا على أن أمير المؤمنين والحسن والحسين وابن عباس وعمار بن ياسر وخزيمة ذي الشهادتين إن كانوا قد زلوا بالقتال وسفك الدماء فإنه مغفور لهم ذلك، لما قدموا من عظيم طاعتهم لله تعالى وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبتهم له، مواساتهم إياه.

وكذلك قولهم في عائشة، وطلحة والزبير ومن شركهم في القتال ممن له صحبة وسالف جهاد.

وأما من سوى الصحابة بين الفريقين منهم بقتالهم واستحلالهم
الدماء فمن أهل النار، وحكوا عن بعض مشيختهم وأئمتهم في الدين
إنه كان يقول نجت القادة وهلك الأتباع، وفرقوا بين الصحابي في
ذلك وغيره بحديث رووه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لبعض المسلمين ممن
أدركه ولم يكن له صحبته وقد سامى رجلا من الصحابة: إياكم
وأصحابي لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدى أحدهم ولا نصفه
وقالت فرقة أخرى منهم لا ينبغي لأحد أن يخوض في ذكر الصحابة
وما جرى بينهم من تنازع واختلاف وتباين وقتال ولا يتعرض بالنظر
في ذلك ولا الفكر فيه ويعرض عنه جانبا، وأن استطاع أن لا يسمع
شيئا من الأخبار الواردة به فيفعل، فإنه إن خالف هذه الوصاة وأصغى
إلى الخبر باختلاف الصحابة أو تكلم بحرف واحد، وتبرع بالحكم عليهم
بشئ يشين المسلم فقد أبدع في الدين، وخالف الشرع، وعدل عن
قول النبي ولم يحذر مما حذره منه بقوله صلى الله عليه وآله إياكم وما سيجري
بين الصحابة.
وزعموا أن الرواية بذكر أخبار السقيفة، ومقتل عثمان والجمل
وصفين بدعة، والتصنيف في ذلك ضلال، أو الاستماع إلى شئ من
ذلك يكسب الآثام.
وهذه فرقة مستضعفة من الحشوية يميل إلى قولها جمع كبير ممن
شاهدناه من العامة ويدعوا إليه المتظاهرون بالورع والزهد، والصمت
وطلب السلامة، وحفظ اللسان، وهم بذلك بعداء عن العلم وأهله،
جهال أغمار.
وقالت فرقة من العامة تختص بمذاهب الحشوية غير أنها تتعاطى
النظر، وتدعى المعرفة بالفقه وتزعم أنها من أهل الاعتبار، إن علي
ابن أبي طالب (ع) ومن كان في حيزه من المهاجرين والأنصار

وسائر الناس، وعائشة وطلحة والزبير وأتباعه جميعا معا كانوا على صواب فيما انتهوا إليه من التباين والاختلاف والحرب والقتال وسفك الدماء، وضرب الرقاب، فإن فرضهم الذي يعين عليهم من طريق الاجتهاد هو ذلك بعينه دون سواه، لم يخرجوا بشئ منه عن طاعة الله ولا دخلوا به في شئ منه إلا أنهم كانوا على الهدى والصواب، ولو قصروا عنه مع الاجتهاد المؤدي لهم إليه; لضلوا عن الحق، وخالفوا السبيل والرشاد.

وزعموا أن إنهم كانوا جميعا مع الحال التي انتهوا إليها من سفك الدماء; وقتل النفوس; والخروج عن الأموال والديار على أتم مصافاة ومودة وموالات، ومخالصة في الضماير والنيات; واستدلوا على ذلك وزعموا بأن قالوا وجدنا كل فريق من الفريقين متعلقا بحجة تعذره فيما أتاه وتوجب عليه العمل بما صنع، وذلك أن علي بن أبي طالب كان مذهبه تحريم قتل الجماعة بالواحد وإن اشتركوا في قتله معا وهو مذهب مشهور من مذاهب أصحاب الاجتهاد; ولم يثبت عنده أيضا إن المعروفين بقتل عثمان تولوا على ما ادعى عليهم من ذلك فلم يسعه تسليم القوم إلى من التمسهم منه ليقتلوهم بعثمان; ووجب عليه (ع) في اجتهاده الدفاع عنهم بكل حال، وكان مذهب عائشة وطلحة والزبير قود الجماعة بالواحد من الناس; وهو مذهب ابن عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة وجماعة من التابعين; وبه دان جماعة من الفقهاء وأصحاب الاجتهاد، وثبت عندهم أن الجماعة يقتلون بالرجس الواحد وأن أمير المؤمنين لم يسلمهم ليقتلوهم بعثمان، وأن الناس تولوا قتله واشتركوا في دمه; وكان إماما مرضيا عندهم; قتل بغير حق; فلم يسعهم ترك المطالبة بدمه; والاستفادة من قاتله وبذل الجهد في ذلك; فاختلف الفريقان في ذلك لما ذكروه من الاجتهاد; وعمل كل فريق منهم على رأيه وكان

بذلك مأجورا وعند الله مشكورا; وإن كانوا قد سفكوا فيه الدماء
وبذلوا فيه الأموال وهذا مذهب جماعة قد شاهدتهم وكلمتهم وهم في
وقتنا هذا خلق كثير وجم غفير.
وممن كلمتهم فيه من مشيخة أصحاب المخلوق المعروف بأبي بكر التمار
الملقب بدرزان وكان في وقته شيخ أصحاب عبد الله بن سعيد بن
كلاب أكبرهم سنا; وأشدهم تقدما في مجالس الكلام; ومنهم محارب
الصيدياني المكنى بابن العلاء خليفة أبي السائبة في القضاء. ومنهم المعروف
بالوشعي; ومن بعدهم المكنى بأبي عبد الله المعروف بابن مجاهد البصري
الأشعري صاحب الباهلي تلميذ علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري
ومنهم المعروف بأبي بكر بن الطيب المعروف بابن الباقلاني ومنهم
أبو العباس بن الحسين بن أبي عمر القاضي وجميع من سميت ممن جاريته
في هذا الباب من أصحاب المخلوق، وبعضهم كلابية وبعضهم أشعرية
وإليه يذهب في وقتنا هذا جمهور أصحاب الشافعي ببغداد والبصرة
وخوزستان وبلاد فارس وخراسان وغيرها من الأمصار; لا أعرف
شافعيا له ذكر في قومه ويذهب إلى هذا المذهب ليبعد به عن قول
الشيعة; وأهل الاعتزال.
رأي المعتزلة:
واختلف في ذلك المعتزلة أيضا كاختلاف الحشوية; فقال إماماهم
المقدمان وشيخاهم المعظمان اللذان هما أصلان للاعتزال، وافتتحا لمعتقديه
فيه الكلام وهم فخر الجماعة منهم وجمالهم الذي لا يعدلوا عندهم سواه
واصل بن عطاء الغزال; وعمرو بن عبيد بن باب المكاري (١) إن

---

(١) قال ابن خلكان بترجمته هو عمرو بن عبيد بن باب ببائين
وإنما ضبطته بذلك لئلا يشتبه بناب وفي تاريخ بغداد ج ١٢ ص
١٦٦ كان باب من سبى فارس وعبيد من سبى سجستان وكان عبيد
نساجا ثم صار من شرطة الحجاج على السجن وهو يقول إني أصبت
أم عمرو من غلول وكان عبيد يقول لو أن عليا وعثمان وطلحة والزبير
شهدوا عندي على شراك نعل ما أجزت شهادتهم وقد أحدث عمرو بدعة
قتل فيها الناس وفيه يقول يحيى بن معين أنه رجل سوء مات سنة ١٤٤
ودفن بمران على ليال من مكة راجعا إلى البصرة.

أحد الفريقين ضال في البصرة مضل فاسق خارج من الإيمان والإسلام ملعون مستحق الخلود في النار، والفريق الآخر هاد مهدي، مصيب مستحق للثواب والخلود في الجنان غير أنهم زعموا أن لا دليل على تعيين الفريق الضال ولا برهان على المهدي ولا بينة نتوصل بها إلى تمييز أحدهما من الآخر في ذلك بحال من الأحوال.
وأنه لا يجوز أن يكون علي بن أبي طالب (ع) والحسن والحسين ومحمد بن علي وعبد الله وقثم والفضل وعبيد الله بنو العباس وعبد الله ابن جعفر الطيار وعمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبو أيوب الأنصاري وأبو الهيثم بن التيهان وكافة شيعة علي (ع) وأتباعه من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وبيعة الرضوان وأهل الدين المتحيزين إليه والمحققين بسمة الإسلام هم الفريق الضال، والفاسق الباغي الخارج عن الإيمان والإسلام والعدو لله والبرئ من دينه الملعون المستحق للخلود في النار.
وتكون عائشة وطلحة والزبير والحكم بن أبي العاص ومروان ابنه وعبد الله بن أبي سرح والوليد بن عقبة وعبد الله بن عامر بن كريز ابن عبد شمس ومن كان في حيزهم من أهل البصرة هم الفريق المهدى الموفق إلى الله المصيب في حربه المستحق للإعظام والإجلال والخلود في الجنان.
قالا جميعا نعم ما ننكر ذلك ولا نؤمن به إذ لا دليل يمنع من الحكم

به على ما ذكرناه بحل وكما أن قولنا ذلك في علي وأصحابه فكذلك هو في الفريق الآخر فإنا لسنا ننكر أنهم وأتباعهم على السوء ولسنا ننكر أن يكونوا هم الفريق الضال الملعون، العدو لله البرئ من دينه، المستحق للخلود في النار، وأن يكون علي (ع) وأصحابه هم الفريق الهادي المهتدي الولي لله في سبيله; المستحق بقتاله عائشة وطلحة والزبير وقتل من قتل منهم الجنة وعظيم الثواب.

قالا ومنزلة الفريقين منزلة المتلاعنين فيهما فاسق لا يعلمه على التميز له والتعيين إلا الله عز وجل.

وهذه مقالة مشهورة عن هذين الرجلين قد سطرها الجاحظ عنهما في كتابه الموسوم (بفضيلة المعتزلة) وحكاها أصحاب المقالات عنهما ولم يختلف العلماء في صحتها عن الرجلين المذكورين وأنهما خرجا من الدنيا على التدين بها والاعتقاد لها بلا ارتياب.

وحكى ابن يحيى أن أبا الهذيل العلاف كان على هذا المذهب في أمير المؤمنين (ع) وعائشة وطلحة والزبير متبعا فيه إمامية المذكورين ولم يزل عليه إلى أن مات قال شيخ المعتزلة أيضا ومتكلميها في الفقه وأحكام الشريعة على أصولها الأصم المكنى بأبي بكر الملقب بحريال أنا أقف في كل فريق من الفريقين فلا أحكم له بهدى ولا ضلال ولا أقطع على أحدهما بشئ من ذلك في التفصيل ولا الإجمال ولكني أقول أن كان علي بن أبي طالب (ع) قصد بحرب عائشة وطلحة والزبير كف الفساد ومنع الفتنة في الأرض ودفعهم عن التغلب على الأمر والعدوان على العباد فإنه مصيب مأجور، وإن كان أراد بذلك الجبرية والاستبداد بالأمر بغير مشورة من العلماء بل ليتأمر على الناس بالقهر لهم على ذلك والأضرار فهو ضال مضل من أهل النار; قال وإنما قلت ذلك لخفاء الأمر لي فيه واستتار النيات في معناه واشتباه أسباب الباطل فيه باستتار الحق عند العقلاء

قال وكذلك قولي في الفريق الآخر، أقول إن عايشة وطلحة والزبير إن كانوا قصدوا بقتالهم علي بن أبي طالب (ع) وأصحابه منعه من الاستبداد بالأمر من دون رضى العلماء به، وأرادوا الطلب بدم عثمان والاقتصاص له من ظالميه برد الأمر شورى ليختار المسلمون من يرون فهم بذلك هداة أبرار مستحقون للثواب وإن كانوا أرادوا بذلك الدنيا والعصبية والإفساد في الأمر وتولى الأمر بغير رضى العلماء فهم بذلك ضلال مستحقون اللعنة والخلود في النار غير أنه لا دليل لي على أعراضهم فيه ولا حجة تظهر في معناه من أعمالهم ولذلك وقف فيهم كما وقفت في علي وأصحابه كما بينت. وإن كان طلحة والزبير أحسن حالا من علي فيما أتاه.

. وقال هشام القوطي وصاحبه عباد بن سليمان الصيمري، وهذان الرجلان من أئمة المعتزلة أيضا أن عليا وطلحة والزبير وعائشة في جماعة من أتباع الفريقين كانوا على حق وهدى وصواب وكان الباقون من أصحابهم على ضلال وبوار وذلك أن عائشة وطلحة والزبير إنما خرجوا إلى البصرة لينظروا في دم عثمان ويأخذوا بثاره من ظالميه وأرادوا بذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلبوا بوجه الله وخرج علي بن أبي طالب ليتفق معهم على الرأي والتدبير في مصالح الإسلام وأهله وكف السعي في الفتنة ومنع العامة مما ليس إليهم بل هو إلى وجوه العلماء وليقع التراضي بينهم على إنصاف واجتهاد في طلب الحق والاجتماع على الرأي فلما ترائى الجمعان تسرع غوغاؤهم إلى القتال فانتشبت الحرب بينهم على غير اختيار من القادة والرؤساء وخرج الأمر عن أيديهم في تلافي ذلك فكان من الاتباع الفتنة وسفك الدماء ما لم يؤثره علي وطلحة والزبير وعائشة ووجوه أصحابهم من الفضلاء فهلك بذلك الأتباع ونجا الرؤساء وهذا يشبه ما قدمنا حكايته عن بعض العامة من وجه يخالفه

من وجه آخر يميز به الرجلان من الكافة ودفعا فيه علم الاضطرار وجحد المعروف كالعيان.

وقال باقي المعتزلة كبشر بن المعتمر وأبي موسى المراد وجعفر بن بشر والإسكافي والخياط والشحام وابن مجالد البلخي والجبائي فيمن اتبعهم من أهل الاعتزال وجماعة الشيعة من الإمامية والزيدية، إن أمير المؤمنين (ع) كان محقا في جميع حروبه مصيبا بقتال أهل البصرة والشام والنهروان مأجورا على ذلك مؤديا فرض الله تعالى عليه في الجهاد وإن كل من خرج عليه وحاربه في جميع المواطن ضلال عن الهدى مستحقون بحربه والخلاف عليه النار غير أن من سميناه من المعتزلة خاصة استثنوا عائشة وطلحة والزبير من الحكم باستحقاق العقاب وزعموا أنهم خرجوا من ذلك إلى استحقاق الثواب بالتوبة والندم على ما فرط منهم في القتال فحكموا بضد الظاهر من الفعال والمعلوم منهم من المقال وضعفوا في دعواهم عما هو صناعتهم من الحجاج وأظنهم اتقوا به من العامة وتقربوا بإظهاره إلى أمراء الزمان إذ لا شبهة تعترض أمثالهم من العلماء بالأخبار والنظار المتميزين بالكلام عن أهل التقليد في فساد هذا الاعتقاد وخالف من سميناه من المعتزلة في هذا الباب (الأصم) خاصة فإنه زعم أن معاوية كان إماما محقا لإجماع الأمة عليه فيما قال بعد قتل أمير المؤمنين علي (ع) مع تظاهره بالشك في إمامة أمير المؤمنين حسبما حكيناه فيما سلف قبل هذا المكان وكل من سميناه منهم سوى (الأصم) مع تصويبه عليا وتفسيق محاربيه ويقطع على معاوية وعمرو بن العاص في خلافهما أمير المؤمنين واستحلالهما حربه بالنار وإنهما خرجا من الدنيا على الفسق الموبق لصاحبه الموجب عليه دوام العقاب وأن جميع من مات على اعتقاد إمامة معاوية وتصويبه في قتال علي (ع) فهو عندهم ضال عن الهدى خارج عن الإسلام مستحق الخلود في النار وقد وافق من سميناه

من المعتزلة وكافة الشيعة الخوارج في تخطئة معاوية وعمرو بن العاص وتضليلهما في قتال علي.
وجماعة من المرجئة وأصحاب الحديث من المجبرة غير أن هذين الفريقين وقفا في عذابهما ولم يقطعا على دخولهما النار ورجوا لهما ولمحاربي علي وأصحابهما من غيرهم ممن ظاهره الإسلام العفو من الله وقولهم في الخوارج كذلك مع حكمهم عليهم بالضلال.

رأي الخوارج:

وقال الخوارج: بأجمعهم أن عليا كان مصيبا في أهل البصرة أهل الشام وإنهم كانوا بقتاله ضلال كفار مستحقين الخلود في عذاب النار وادعوا مع ذلك أنه أخطأ بكفه عن قتال أهل الشام حين رفعوا المصاحف واحتالوا بذلك الكف عن قتاله وشهدوا على أنفسهم بالإثم لوفاقهم في ذلك الرأي وكفهم عن قتال البغاة إلا أنهم زعموا أنهم لما ندموا على ذلك وتابوا منه ودعوا إلى القتال خرجوا من عهدة الضلال ورجعوا إلى ما كانوا عليه من الإسلام والإيمان وأن عليا لما لم يجبهم إلى القتال وأقام على الموادعة لمعاوية وأهل الشام كان مرتدا بذلك عن الإسلام خارجا من الدين وشبهتهم في هذا الباب مضمحلة لا يلتبس فسادها على أهل الاعتبار وذلك أن عليا (ع) إنما كف عن قتال القوم لخذلان أصحابه في الحال، وتركهم النصرة له وكفهم عن القتال فاضطروه بذلك إلى الإجابة لما دعوه إليه من تحكيم الكتاب ولم يجز له قتالهم من بعد، لمكان العهد لهم في مدة الهدنة التي اضطر إليها وحظر الفساد، بنقض العهد في كل ملة وخاصة في ملة الإسلام.

رأي الشيعة:

واجتمعت الشيعة على الحكم بكفر محاربي أمير المؤمنين ولكنهم لم

يخرجوهم بذلك عن حكم ملة الإسلام إذ كان كفرهم من طريق التأويل كفر ملة ولم يكفروا كفر ردة عن الشرع مع إقامتهم على الجملة منه وإظهار الشهادتين والاعتصام بذلك عن كفر الردة المخرج عن الإسلام وإن كانوا بكفرهم خارجين عن الإيمان مستحقين اللعنة والخلود والنار حسبما قدمناه، وكل من قطع على ضلال محاربي أمير المؤمنين (ع) من المعتزلة فهو يحكم عليهم بالفسق واستحقاق الخلود في النار ولا يطلق عليهم الكفر ولا يحكم عليهم بالإكفار; والخوارج تكفر أهل البصرة وأهل الشام ويخرجونهم بكفرهم الذي اعتقدوه فيهم ووسموهم به عن ملة الإسلام ومنهم من يسمهم بالشرك ويزيد على حكمه فيهم بالإكفار فهذه جمل القول فيما اختلف فيه أهل القبلة، من أحكام الفتنة بالبصرة والمقتولين بها ممن ذكرناه وأحكام صفين والنهروان وقد تحريت القول بالمحفوظ عن أرباب المذاهب المشهور عنهم عند العلماء وإن كان بعضها قد انقرض معتقدوه، وحصل على فساد القول به الإجماع وبعضها له معتقد قيل لم ينقرضوا إلى هذا الزمان وليس ينعقد على فساده إجماع وإن كان في بطلانه أدلة واضحة لمن تأملها من ذوي الألباب وأنا بمشيئة الله وعونه أذكر طرفا من الاحتجاج على كل فريق منهم خالف الحق وأثبت من الأخبار الواردة في صواب أمير المؤمنين (ع) وحقه في حروبه وأحكامه، مختصرا يغني عن الإطالة بما يتيسر به الكلام وأشفع ذلك بما يتلوه ويتصل به من ذكر أسباب الفتنة بالبصرة على ما ضمنت في ذلك بأول الكتاب.

عصمة أمير المؤمنين عليه السلام:

باب صواب أمير المؤمنين (ع) في حروبه كلها وحقه في جميع أقواله وأفعاله والتوفيق للمقر بآرائه وبطلان قول من خالف ذلك من

خصمائه وأعدائه فمن ذلك وضوح الحجة على عصمة أمير المؤمنين (ع) من الخطأ في الدين والزلل فيه والعصمة له من ذلك يتوصل إليها بضربين أحدهما الاعتبار والثاني الوثوق به من الأخبار فأما طريق الاعتبار الموصول إلى عصمته (ع) فهو الدليل على إمامته وفرض طاعته على الأنام إذ الإمام لا بد أن يكون معصوما كعصمة الأنبياء بأدلة كثيرة قد أثبتناها في مواضع من كتبنا المعروفة في الإمامة الأجوبة عن المسائل الخاصة في هذا الباب فمن ذلك أن الأئمة قدوة في الدين وأن معنى الائتمام هو الاقتداء، وقد ثبت أن حقيقة الاقتداء هو الاتباع للمقتدى به فيما فعل وقال من حيث كان حجة فيه دون الاتباع لقيام الأدلة على صواب ما فعل وقال بسوى ذلك من الأشياء إذ لو كان الاقتداء هو الاتباع للمقتدى به من جهة حجة سواه على ذلك كان كل وفاق لذي نحلة في قول أو فعل لا من جهة قوله وفعله بل لحجة سواه اقتداء به وائتماما وذلك باطل لوفاقنا الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الباطل والضلال في بعض أقوالهم وأفعالهم; من حيث قامت الأدلة على صواب ذلك فيهم لا من حيث ما رأوه وقالوه وفعلوه وذلك باطل بلا ارتياب ولأن أحد أسباب الحاجة إلى الأئمة هو جواز الغلط على الرعية وارتفاع العصمة عنها لتكون من ورائها تسدد الغالط منها وتقومه عند الاعوجاج وتنبهه عند السهو منه والاغفال ويتولى إقامة الحد عليه فيما جناه، فلو لم تكن الأئمة معصومون كما أثبتناه لشاركت الرعية فيما له إليها وكانت تحتاج إلى الأئمة عليها ولا تستغني عن دعاة وساسة تكون من ورائها، وذلك باطل بالإجماع على أن الأئمة أغنياء عن إمام وغير ما ذكرناه من الأدلة على عصمتهم كثيرة وهي موجودة في أماكنها من كتبنا على بيان الوجوه واستقصائها وأنها تثبت عصمة الأئمة (ع) حسبما وصفناه وأجمعت الأمة على أنه لو كان بعد النبي صلى الله عليه وآله إمام على

الفور تجب طاعته على الأنام وجب القطع على أنه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب دون غيره ممن ادعيت له الإمامة في تلك الحال للإجماع على أنه لم يكن لواحد ممن ذكروه العصمة التي أوجبناها بالنظر الصحيح لأئمة الإسلام وإجماعا الشيعة الإمامية على علي (ع) كان مخصوصا بها من بين الأنام إذ لو لم يكن الأمر كذلك لخرج الحق عن إجماع أهل الصلاة وفسد ما في العقول من وجوب العصمة لأئمة المسلمين بما ذكرناه وإذا ثبتت عصمة علي (ع) من الخطأ ووجب مشاركته للرسول في معناه ومساواته فيها ثبت أنه كان مصيبا في كل ما فعل وقال ووجب القطع على خطأ مخالفيه وضلالهم في حيرة واستحقاقهم بذلك العقاب وهذا بين لمن تدبر والله الموفق للصواب.

دليل آخر على إمامة علي عليه السلام فيما يدل على إمامته الموجبة بالحكم بعصمة على ما قدمناه بثبوت الحاجة إلى الأدلة بإتقان وفساد ثبوت الإمامة من جهة الشورى والآراء وإذا فسد ذلك وجب النص على الأئمة وفي وجوبه لثبوت إمامة علي (ع) إذ الأمر بين رجلين أحدهما يوجب الإمامة بالنص ويقطع على إمامة علي به ومن جهته دون ما سواها من الجهات والأخرى يمنع من ذلك ويجوزها بالرأي وإذا فسد هذا الفريق لفساد ما ذهبوا إليه من عقد الإمامة بالرأي ولم يصلح خروج الحق عن أئمة الإسلام ثبتت إمامته (ع)،

التصديق في الصلاة:

مما يدل على إمامته (ع) من نص القرآن قوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة يؤتون الزكاة وهم راكعون (١).

---

(١) سورة المائدة: ٥٥، والآية نزلت في أمير المؤمنين (ع) حين تصدق بخاتمه على السائل وهو راكع في الصلاة ولما شاهد الرسول الأعظم هذه المكرمة رفع طرفه إلى السماء وقال: إن أخي موسى سألك وقال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري الآية فأنزلت عليه قرآنا: سنشد عضدك بأخيك، الآية، اللهم إني محمد نبيك وصفيك فاشرح اللهم صدري ويسر أمري وأجعل لي وزيرا من أهلي عليا أخي أشدد به ظهري; فنزلت الآية، نص عليه السبط في تذكرة الخواص ص ٩ والمحب الطبري في ذخائر العقبى ص ١٢٠ وفي الرياض النظرة (ج ٢ ص ٢٢٧) والرازي في تفسيره (ج ٣ ص ٤٣١) وابن جرير الطبري في تفسيره (ج ٦ ص ١٦٥) والخازن في تفسيره (ج ١ ص ٤٩٦) ومثله البغوي في التفسير بهامشه إلى كثيرين ذكرهم العلامة الأميني في كتاب (الغدير) (ج ٢ ص ٤٨).

وهذا الخطاب موجه إلى جماعة جعل الله لهم أولياء أضيفوا إليهم بالذكر والله وليهم ورسوله ومن عبر عنه بأنه من الذين آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وهم راكعون، يعني حال ركوعهم بدلالة أنه لو أراد سبحانه بالخطاب جميع المكلفين لكان هو المضاف ومحال إضافة الشئ إلى نفسه وإنما يصح إضافته إلى غيره; وإذا لم تكن طائفة تختص بكونها أولياء لغيرها وليس لذلك الغير مثل ما اختصت به في الولاء وتفرد من جملتهم من عناه الله تعالى بالإيمان والزكاة حال ركوعه لم يبق إلا ما ذهبت إليه الشيعة في ولاية علي (ع) على الأمة من حيث الإمامة له عليها وفرض الطاعة ولم يكن أحد يدعي له الزكاة في حال ركوعه إلا علي (ع) وقد ثبتت إمامته بذلك على الترتيب الذي رتبناه فصح إنه مصيب في جميع أقواله وأفعاله وتخطئة مخالفيه حسبما شرحناه حديث المنزلة:

دليل آخر وهو أيضا ما أجمع عليه أهل القبلة ولم ينازع في صحة الخبر به من أهل العلم بالرواية والآثار من قول النبي صلى الله عليه وآله مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فأوجب له بذلك جميع ما كان لهارون من موسى في المنازل إلا ما استثناه من النبوة وفي ذلك أن الله تعالى قد فرض طاعته على أمة محمد كما كان فرض طاعة هارون على

أمة موسى وجعله إماما لهم كما كان هارون إماما لقوم موسى وإن هذه المنزلة واجبة له بعد مضي النبي كما كانت تجب لهارون لو بقي بعد أخيه موسى ولم يجز خروجه عنها بحال وفي ذلك ثبوت إمامة أمير المؤمنين والإمامة تدل على عصمة صاحبها كما بيناه فيما سلف ووصفناه والعصمة تقضي فيمن وجبت له بالصواب بالأقوال والأفعال على أثبتناه فيما تقدم من الكلام وفي ذلك بيان صواب أمير المؤمنين في حروبه كلها وأفعاله بأجمعها وأقواله بأسرها وخطأ مخالفيه وضلالهم عن هداه ولأهل الخلاف من المعتزلة والحشوية والخوارج أسئلة قد أجبنا عنها في مواضعها من غير هذا الكتاب وأسقطنا شبهاتهم بدليل البرهان لم نوردها ههنا لغنانا عن ذلك بثبوتها فيما سواه وإنما اقتصرنا على ذكر هذه الأدلة ووجوهها وعدلنا عن إيراد ما في معناها والمتفرع عليه عن إثبات رسم الحجاج في صواب علي (ع) وفساد مذهب الناكثين فيه والايماء إلى أصول ذلك ليقف عليه من نظر في كتابنا هذا ويعلم العمدة بما فيه ويستوفي معانيه فإن أحب ذلك يجده في مواضعه المختصة به لنا ولغيرنا من متكلمي عصابة الحق ولأن الغرض في هذا الكتاب ما لا يفتقر إلى هذه الأدلة من براهين إصابة علي (ع) في حروبه وخطأ مخالفيه ومحاربيه وإنا سنذكر فيما يلي هذا الفصل من الكلام وتوضيح الحجة فيه على أصول مخالفينا أيضا في طريق الإمامة وثبوتها عندهم من جهة الآراء إنكارهم ما نذهب إليه من قصور طريقها

على النص كما قدمناه وبيناه عن الغرض فيه ووصفناه من الدليل على
أن أمير المؤمنين (ع) كان مصيبا في حروبه كلها وإن مخالفيه في
ذلك على ضلال، وهو ما تظاهرت به الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله
(حربك يا علي حربي وسلمك يا علي سلمي) وقوله يا علي (أنا حرب
لمن حاربك وسلم لمن سالمك) وهذان القولان مرويان من طريق العامة
والخاصة، والمنتسبة من أصحاب الحديث إلى السنة المنتسبين منهم
للشيعة، لم يعترض أحد من العلماء الطعن على سندهما ولا ادعى إنسان
من أهل المعرفة بالآثار كذب روايتهما ومن كان هذا سبيله وجب
تسليمه والعمل به، إذ لو كان باطلا لما خلت الأمة من عالم منها ينكره
ويكذب روايته، ولا سلم من طعن فيه ولعرف سبب تخرصه وافتعاله
وأقام دليل الله على بطلانه، وفي سلامة هذين الخبرين من جميع
ما ذكرناه حجة واضحة على ثبوتهما حسبما بيناه.

ومن ذلك الرواية المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي (ع):
(تقاتل يا علي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله) (١).

وقوله لسهيل بن عمر ومن حضر معه لخطابه على رد من أسلم من
مواليهم (لتنتهين يا معشر قريش ليبعث الله عليكم رجلا يضربكم على
تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله) فقال له بعض أصحابه من هو
يا رسول الله؟ هو فلان قال لا قال فلان؟ قال لا ولكنه خاصف النعل
في الحجرة فنظروا فإذا به علي (ع) في الحجرة يخصف نعل النبي،
وقوله لعلي: (تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين) والقول في
هذه الرواية كالأخبار التي تقدمت، قد سلمت من طاعن في سندها
بحجة ومن قيام دليل على بطلان ثبوتها وسلم لروايتها الفريقان
فدل على صحتها.

----

(١) مسند أحمد بن حنبل (ج ٣ ص ٣٣).

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله: (علي مع الحق والحق مع علي) (١).
وقوله صلى الله عليه وآله (اللهم أدر الحق مع علي حيث ما دار) (٢).
وهذا أيضا خبر قد رواه محدثوا العامة وأثبتوه في الصحيح عندهم ولم يعترض أحدهم لتعليل سنده، ولا أقدم منهم مقدم على تكذيب ناقله وليس توجد حجة في العقل ولا السمع على فساده فوجب الاعتقاد بصحته وصوابه.
ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله) وهذا في الرواية أشهر من أن يحتاج معه إلى جمع السند له وهو أيضا مسلم عند نقلة الأخبار وقوله صلى الله عليه وآله: (قاتل الله من قاتلك وعادى الله من عاداك) والخبر بذلك مشهور وعند أهل الرواية معروف مذكور.
ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله من آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله (فحكم أن الأذى له أذى الله والأذى لله جل اسمه ضلال مخرج عن الإيمان.
قال الله تعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا). وأمثال ما أثبتناه من هذه الأخبار في معانيها الدالة على صواب علي (ع) وخطأ مخالفيه كثيرة أن عملنا على إيراد جميعها طال به الكتاب وانتشر الخطاب، وفيما أثبتناه منه دليلا للحق منه كفاية في الغرض الذي نأمله إن شاء الله.

---

(١) تاريخ بغداد (ج ١٤ ص ٣٢١) ومستدرك الحاكم (ج ٣ ص ١١٩) والتلخيص للذهبي بهامشه.
(٢) مستدرك الحاكم النيسابوري (ج ٣ ص ١٢٤).

نظرة في النصوص:
(فصل وسؤال) فإن قال قائل إنكم إن كنتم قد اعتمدتم على هذه الأخبار في عصمة علي (ع) وهي آحاد ليست من المتواترة الذي يمنع على قائليه الافتعال فما الفضل بينكم وبين خصومكم فيما يتعلقون به من أمثالها عن النبي صلى الله عليه وآله في فضل فلان وفلان ومعاوية بن أبي سفيان؟ (الجواب) قيل له: الأخبار التي يتعلق بها أهل الخلاف في دعوى فضائل من سميت على ضربين: أحدهما لا تنكر صحته وإن خصومنا منفردين بنقله إذ ليس فينا مشارك لهم في شئ منه كما شاركنا الخصوم في نقل ما أثبتناه من فضائل علي (ع) إلا أنهم يغلطون في دعوى التفضيل لهم به على ما يتحيلون في معناه والآخر مقطوع بفساده عندنا بأدلة واضحة لا تخفى على أهل الاعتبار وليست مما تساوي أخبارنا التي قدمناها لقطعنا على بطلان ما يقروا به من ذلك طعنا في رواتها واستدللنا على فسادها وأجمع مخالفونا على رواية ما رويناه مما قد بيناه وتسليمه وتخليدهم صحفهم كما ذكرناه وعدو لهم عن الطعن في شئ منه حسبما وصفناه وإن كان هذا سبيله ليس يكون الأمر فيه كذلك إلا لاعتقاد القوم وتسخيرهم لنقله والتسليم لرواته إذ كانت العادة جارية بأن كل شئ يتعلق به في حجاج مخالفيه ونصرة مذهبه والمنفرد به دون خصمه وكان في الاقرار به شبهة على صحة مقالته المباين لمقال مخالفيه، فإنه لا يخلو من دافع له وجاحد وطاعن فيما يروم به إبطاله إلا أن لا تلزم الحجة في صوابه وأن يكون ملطوفا له في اعتقاده، أو مسخرا للإقرار به حجة الله تعالى في صحته ودليلا على ثبوته وبرهانا منه على نصرته والمحتج به وتبديل للحق فيه بلطف من لطائفه وإذا كان الأمر في هذا الباب على ما بيناه وثبت تسليم

الفريقين لأخبارنا مع اختلافهم في الاعتقاد على ما ذكرناه، وصح الاختلاف بيننا وبين خصومنا في الاحتجاج بالأخبار وبراهينها حسبما اعتمدنا سقط توهم المخالف لما يحيله من المساواة بين الأمرين.

إنكار الخوارج والأموية فضل علي:

فإن عارض الخوارج وقالوا هم يدفعون ما آتيتموه من الأخبار الدالة على عصمته وذكروا الأموية، وما يعرف من ضلالهم وظاهر أمرهم في جحد ما رويناه قلنا حكمهم في جحد أخبارنا كحكمهم في جحد أخباركم سواء وإلا فما الفضل بين الأمرين فإنه يقال لهم الفضل بيننا وبين من عارضتم به من الخوارج في دفع النقل ظاهر لذوي الاعتبار وذلك أن الخوارج ليسوا من أهل النقل والرواية ولا يعرفون حفظ الآثار ولا الاعتماد على الأخبار لإكفارهم الأمة جميعا واتهام كل فريق منهم فيما يروونه واعتمادهم لذلك على ظاهر القرآن وإنكارهم ما خرج عنه القرآن من جميع الفرائض والأحكام ومن كان هذا طريقة دينه وسبيله في اعتقاده ومذهبه في النقل والأخبار ولم يعتقد بخلافه فيها على حال.

فأما الأموية والعثمانية فسبب جحودهم لفضائل علي (ع) معروف وهو الحرص لدولتهم والعصبية لملوكهم وجبابرتهم وهم كالخوارج في سقوط الاعتراض بهم فيما طريقه النقل لبعدهم عن عمله وتأنيهم عن فهمه وإطراحهم للعمل به وقد انقرضوا مع ذلك بحمد الله ومنه حتى لم يبق منهم أحد ينسب إلى فضل علي ولا منهم من يذكر في جملة العلماء بخلافه في شئ من الأحكام فسقط الاعتراض بهم كسقوط الاعتراض بالمارقة فيما تعتمد فيه من الأخبار مع أن الخوارج متى تعاطت الطعن في أخبارنا التي أثبتناها في الحجة على عصمة أمير المؤمنين (ع) فإنما

يقطعوا بها بالطعن رواتها في دينها المخالف كما تدين به من إكفار
علي (ع) وعثمان وطلحة والزبير وعائشة بنت أبي بكر ومن تولى
واحدا منهم واعتقد أنه من الإسلام وذلك طعن يعم جميع نقلة الدين
من الملة فسقط لذلك قدحهم في الأخبار وليس كذلك طعوننا في نقل
ما تفردت به الناصبة في الحديث لأنا لا نطعن في رواية إلا لكذبهم فيه
وقيام الحجة على بطلان معانيه دون الطعن في عقايدهم وإن كانت عندنا
فاسدة فوضح الفرق بيننا وبين من عارضنا في الخصومة برأيه في الأخبار
على ما شرحناه.

جواز قتل الناكثين:

باب آخر الكلام في صواب أمير المؤمنين وحروبه وخطأ مخالفيه
ضلالهم عن الحق في الشك فيه: قد بينا أن الحكم على محاربي أمير
المؤمنين (ع) بإضلال والقضاء له في حربهم بالصواب إذا بنى القول
فيه على إمامته المنصوصة وعصمته الواجبة له بما قدمناه ثبت القطع على
حقيقة كل ما فعل وقال وإذا صحت الأخبار أثبتناها فيما قبل هذا
المكان ومضمونها من حكم النبي صلى الله عليه وآله على محاربيه بالفسق المخرج
عن
الإيمان لم يكن طريق إلى الشك في صوابه وخطأ مخالفيه على ما بيناه
وفيما أسلفناه في ذلك مقنع لذوي الألباب وغنى لهم في الحجة على خصومهم
فيما سواه ونحن نبين القول فيه أيضا بعد الذي تقدم في معناه على مذاهب
خصومنا في الأئمة وثبوت البعيد لهم من ذوي الرأي حسب اختلافهم
في عدديتهم به العقد واجتماعهم على ما اتفقوا عليه في هذا الباب ليعلم
الناظر في كتابنا هذا قوة الحق وتمكن ناصريه من الاحتجاج له والله
الموفق للصواب.

البيعة لأمير المؤمنين بعد عثمان:

(فصل) قد ثبت بتواتر الأخبار ومتظاهر الحديث والآثار أن أمير المؤمنين (ع) كان منزلا للفتنة بقتل عثمان وأنه بعد عن منزله في المدينة (١) لئن لا تتطرق عليه الظنون برغبته في البيعة بالأمر على الناس وأن الصحابة لما كان من أمر عثمان ما كان التمسوه وبحثوا عن مكانه حتى وجدوه فصاروا إليه وسألوه القيام بأمر الأمة وشكوا إليه ما يخافونه من فساد الأمة فكره إجابتهم إلى ذلك على الفور والبدأ لعلمه بعاقبة الأمور وإقدام القوم على الخلاف عليه والمظاهرة له بالعداوة له والشنئان فلم يمنعهم باؤه من الإجابة عن الإلحاح فيما دعوه إليه ذكروه بالله عز وجل وقالوا له إنه لا يصلح لإمامة المسلمين سواك ولا نجد أحدا يقوم بهذا الأمر غيرك فاتق الله في الدين وكافة المسلمين فامتحنهم عند ذلك بذكر من نكث بيعته بعد أن أعطاها بيده على الإيثار وإماما لهم إلى مبايعة أحد الرجلين، وضمن النصرة لهما متى أرادوا إصلاح الدين وحياطة الإسلام فأبى القوم عليه تأمير من سواه والبيعة لمن عاداه وبلغ ذلك طلحة والزبير فصارا إليه راغبين في بيعته منتظرين للرضا بتقدمه عليهما وإمامته عليهما فامتنع فألحا عليه في قبول بيعتهما له، واتفقت الجماعة كلها على الرضا به وترك العدول عنه إلى سواه، وقالوا أن تجبنا إلى ما دعوناك إليه من تقليد الأمر وقبول البيعة وإلا انفتق الإسلام

----

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ ص ١٥٤) حصر عثمان وعلي بخيبر
وفي شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٢ ص ٤٠٠) كتب عثمان إلى علي
فإن كنت مأكولا فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق
وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٨) مثله.

ما لا يمكن رتقه وانصدع في الدين ما لا يستطاع شعبه فلما سمع ذلك منهم بعد الذي ذكرناه من الآباء عليهم والامتناع لتأكيد الحجة لنفسه بسط يده لبيعتهم فتداكوا عليه تداك الإبل على حياضها يوم ورودها حتى شقوا أعطافه ووطأوا ابنيه الحسن والحسين بأرجلهم لشدة ازدحامهم عليه وحرصهم على البيعة له والصفقة بها على يده رغبة بتقديمه على كافتهم وتوليته أمر جماعتهم لا يجدون عنه معدلا ولا يخطر ببالهم سواه لهم موئلا فتمت بيعة المهاجرين والبدريين والأنصار العقبيين المجاهدين في الدين والسابقين إلى الإسلام من المؤمنين وأهل البلاء الحسن مع النبي صلى الله عليه وآله من الخيرة البررة الصالحين ولم تكن بيعته (ع) مقصورة على واحد أو اثنين أو ثلاثة ونحوها في العدد كما كانت بيعة أبي بكر مقصورة عن بعض أصحابه على بشر بن سعد فتمت بها عنده ثم اتبعه عليها من تابعه عليها من الناس وقال بعضهم بل تمت ببشر بن سعد وعمر ابن الخطاب وقال بعضهم بل تمت بالرجلين المذكورين وأبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة واعتمدوا ذلك في أن البيعة لأنتم بأقل من أربعة نفر من المسلمين، وقال بعضهم بل تمت بخمسة نفر: قيس ابن سعد وأسيد بن خضير من الأنصار وعمر وأبو عبيدة وسالم من المهاجرين ثم تابعهم الناس بعدها بالخمسة المذكورين ومن ذهب إلى هذا المذهب الجبائي وأبيه والبقية من أصحابهما في هذا الزمان.

وقالوا في بيعة عمر بن الخطاب مثل ذلك فزعم من يذهب إلا أن البيعة تتم بواحد من الناس وهم جماعة من المتكلمين منهم الخياط والبلخي وابن مجالد ومن ذهب مذهبهم من أصحاب الاختيار أن الإمامة تمت لعمر بأبي بكر وحده وعقد له إياها دون من سواه.

وكذلك قالوا في عثمان بن عفان والعقد له أنه تم بعبد الرحمن بن عوف خاصة وخالفهم على ذلك من أضاف إلى المذكورين غيرهما في العقد

وزعم أن بيعة عمر انفردت من الاختيار له عن الإمام وعثمان إنما تم له الأمر ببيعة بقية أهل الشورى وهم خمسة نفر، أحدهم عبد الرحمن فاعترفت الجماعة من مخالفينا بما هو حجة عليهم في الخلاف على أئمتهم وبشذوذ العاقدين لهم وانحصار عددهم بمن ذكرناه.

وثبتت البيعة لأمير المؤمنين (ع) بإجماع من حوته مدينة الرسول من المهاجرين والأنصار وأهل بيعة الرضوان ومن انضاف إليهم من أهل مصر والعراق في تلك الحال من الصحابة والتابعين بإحسان ولم يدع أحد من الناس أنه تمت له بواحد مذكور ولا إنسان مشهور ولا بعدد يحصى محصور فيقال تمت بيعته بفلان واحد وفلان وفلان كما قيل في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان.

وإذا ثبت بالإجماع من وجوه المسلمين وأفاضل المؤمنين والأنصار والمهاجرين على إمامة أمير المؤمنين (ع) والبيعة له على الطوع والإيثار وكان العقد على الوجه الذي ثبت به إمامة الثلاثة قبله عند الخصوم بالاختيار وعلى أوكد منه بما ذكرناه في الرغبة إليه في ذلك والإجماع عليه ممن سميناه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان حسبما بيناه ثبت فرض طاعته وحرم على كل أحد من الخلق التعرض لخلافه ومعصيته ووضح الحق في الحكم على مخالفيه ومحاربيه بالضلال عن هدايته والقضاء بباطل مخالفة أمره وفسقهم بالخروج عن طاعته لما أوجب الله تعالى من طاعة أولياء أمره في محكم كتابه حيث يقول: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فقرن طاعة الأئمة بطاعته ودل على أن المعصية لهم كمعصيته على حد سواء في حكمه وقضيته وأجمع أهل القبلة مع عن ذكرناه على فسق محاربي أئمة العدل وفجورهم بما يرتكبونه من حكم السمع والعقل وإذا لم يكن أمير المؤمنين (ع) أحدث بعد البيعة العامة له يخرجه عن العدالة

ولا كان قبلها على الظاهر بخيانة في الدين ولا خرج عن الإمامة كان المارق عن طاعته ضالا فكيف إذا أضاف له بذلك حربا واستحلالا لدمه ودماء المسلمين معه ويبغي بذلك في الأرض فسادا يوجب عليه التنكيل بأنواع العقاب، المذكور في نص من قوله تعالى: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) (١).

هذا بين أن لم يحجب الهوى ويبعد عن فهمه العمى والله نسأل التوفيق.

تأخر سعد وأسامة عن حرب البصرة:

(فصل وسؤال) فإن قال قائل كيف تتم لكم دعوى الإجماع على بيعة أمير المؤمنين (ع) وقد علمتم أن الأخبار قد ثبتت بتخلف سعد بن

---

(١) ذكر أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٢ في (أحكام القرآن) ج ٢ – ص ٢٢٤ أن عليا (ع) كان إماما لأنهم اجتمعوا عليه ولم يمكنه ترك الناس لأنه كان أحق الناس بالبيعة فقبلها حوطة على الأمة وأن لا تسفك دماءها بالتهارج ويتخرق الأمر وربما تغير الدين وانقض عمود الإسلام وطلب أهل الشام منه التمكين من قتلة عثمان فقال لهم علي (ع) ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا إليه وكان علي (ع) أسدهم رأيا وأصوب قولا لأنه لو تعاطى القود لتعصبت لهم قبائلهم فتكون حربا ثالثة فانتظر بهم أن يستوثق الأمر وتنعقد البيعة العامة ثم ينظر في مجلس الحكم ويجري القضاء ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة.

وحينئذ فكل من خرج على علي (ع) باغ وقتال الباغي واجب حتى يفئ إلى الحق وينقاد إلى الصلح وأن قتاله لأهل الشام الذين أبوا الدخول في البيعة وأهل الجمل والنهروان الذين خلعوا بيعته حق وكان حق الجميع أن يصلوا إليه ويجلسوا بين يديه ويطالبوه بما رأوا فلما تركوا ذلك بأجمعهم صاروا بغاة فتناولهم قوله تعالى: (فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله).

ولقد عتب معاوية على سعد بن أبي وقاص بعدم مشاركته له فقال سعد رادا عليه لقد ندمن على تأخري عن قتال الفئة الباغية يعني بها معاوية ومن تابعه ا ه.

وفي أحكام القرآن للجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ (ج ٣ ص ٤٩٢) أن عليا كان محقا في قتاله الفئة الباغية لم يخالف فيه أحد.

وفي (روح المعاني) للآلوسي (ج ٢٦ – ص ١٥١) عن الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عمر أنه قال ما وجدت في نفسي من شئ ما وجدت في نفسي من هذه الآية وهي قوله تعالى: فقاتلوا التي تبغي الخ) حيث إني لم أقاتل الفئة الباغية يعني معاوية ومن معه من الباغين على علي (ع) ا ه، ولم يتعقبه الآلوسي بشئ،

ثم ذكر الآلوسي عن بعض الحنابلة التصريح بوجوب قتال الباغين احتجاجا بأن عليا (ع) اشتغل في زمان خلافته بقتال الباغين دون الجهاد فهو إذا أفضل من الجهاد.

أبي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وأسامة بن زيد; ومحمد بن مسلمة; ومظاهرتهم له بالخلاف فيما راقبه بالقتال.

(الجواب): قيل له أما تأخر من سميت عن الخروج مع أمير المؤمنين (ع) إلى البصرة فمشهور ورأيهم في القعود عن القتال معه ظاهر معروف وليس ذلك بمناف لبيعتهم له على الإيثار ولا مضاد للتسليم لإمامته على الاختيار والذي ادعى عليه الامتناع في البيعة وأشكل عليه الأمر فظن أنهم لو تأخروا عن نصرته كان ذلك منهم لامتناعهم عن بيعته، وليس الأمر كما توهموا إلا أنه قد يعرض للإنسان شاك فيما تيقن سلطانه في صوابه، ولا يرى لسلطان حمله على ما هو شاك فيه لضرب من الرأي يقتضيه الحال في صواب التدبير وقد يعتقد الإنسان أيضا صواب غيره في شئ يحمله الهوى على خلافه فيظهر فيما صار إليه من ذلك شبهة تعذره عند كثير من الناس فعاله وليس كل من اعتقد طاعة إمامه كان مضطرا إلى وفاقه بل قد يجمع الاعتقاد لحق الرئيس

المقدم في الدين مع العصيان له في بعض أوامره ونواهيه ولولا أن
ذلك كذلك لما عصى الله من يعرفه ولا خالف نبيه صلى الله عليه وآله ممن يؤمن به
وليس هذا من مذاهب خصومك في الإمامة فتوضح عنه بما يكسر
شبهة مدعيه على أن الأخبار قد وردت بإذعان القوم بالبيعة مع إقامتهم
على ترك المساعدة والنصرة وما تضمنت ذكر أعذار لهم زعموها في ذلك
وجاءت بما كان من أمير المؤمنين فيما أظهروه وإنكاره له بحسب ما اقتضته
الحال في مثله من الخطأ فيما ارتكبوه.
فروى أبو مخنف لوط بمن يحيى الأزدي في كتابه الذي صنفه في
حرب البصرة عن أصحابه، وروى غيره من أمثاله الرواة للسيرة عن
سلفهم أصحاب أمير المؤمنين (ع) لما هم بالمسير إلى البصرة بلغه عن سعد
ابن أبي وقاص وابن مسلمة وأسامة بن زيد وابن عمر تثاقلهم عنه
فبعث إليهم فلما حضروا قال لهم قد بلغني عنكم هنات كرهتها وأنا
لا أكرهكم على المسير معي على بيعتي: قالوا بلى، قال فما الذي يقعدكم
عن صحبتي؟ فقال له سعد إني أكره الخروج في هذا الحرب فأصيب
مؤمنا فإن أعطيتني سيفا يعرف المؤمن من الكافر قاتلت معك.
وقال له أسامة أنت أعز الخلق علي ولكني عاهدت الله أن لا أقاتل
أهل لا إله إلا الله، وكان أسامة قد أهوى برمحه في عهد رسول الله
إلى رجل في الحرب من المشركين فخافه الرجل فقال لا إله إلا الله فشجره

بالرمح فقتله فبلغ النبي صلى الله عليه وآله خبره فقال يا أسامة أقتلت رجلا يشهد أن لا إله إلا الله؟ فقال يا رسول الله إنما قالها تعوذا، فقال له ألا شفقت عن قتله فزعم أسامة أن النبي صلى الله عليه وآله أمره أن يقاتل بالسيف من قاتل المشركين فإذا قوتل به المسلمون ضرب بسفه الحجر فكسره.

وقال عبد الله بن عمر لست أعرف في هذه الحرب شيئا أسألك أن لا تحملني على ما لا أعرف.

فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام ليس كل مفتون معاتب ألستم على بيعتي قالوا بلى قال انصرفوا فسيغنيني الله عنكم فاعترفوا له (ع) بالبيعة وأقاموا في تأخرهم عند عذرا لم يقبله منهم وأخبر أنهم بتركهم الجهاد مفتنون ولم ير الإنكار عليهم في الحال بأكثر مما أبداه من ذكر المهم عن الصواب في خلافته والشهادة بفتنتهم بترك وفاقهم له.

ولأن الدلائل الظاهرة على حقه (ع) تغني عن محاججتهم بالكلام ومعرفته بباطن أمرهم الذي أظهروا خلافه في الاعتذار يسقط عن فرض التنبيه الذي يحتاج إليه أهل الرقدة عن البيان وقد قال الله عز وجل في تأكيد ما ذكرناه وحجة على ما وصفناه (بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره.

وقد ذكر بعض العلماء أن الأسباب في تأخر القوم عن نصرة أمير المؤمنين (ع) بعد البيعة له معروفة وإن الذي أظهروه من الاعتذار في خلافه خداع منهم وتمويه وستر على أنفسهم ما استبطنوه منه خوفا من الفضيحة فيه، فقال أما سعد بن مالك فسبب قعوده عن نصرة أمير المؤمنين (ع) الحسد له والطمع كان منه في مقامه الذي يرجوه فلما خاب من أمله حمله الحسد على خذلانه والمباينة له في الرأي قال والذي أفسد سعدا طمعه فيما ليس له بأهل وجرأة على مسامات أمير المؤمنين بإدخال عمر بن الخطاب إياه في الشورى وتأهيله إياه للخلافة وإيهامه

لذلك أنه محل الإمامة فقدم عليه وأفسد حاله في الدنيا والدين حتى
خرج منها صفرا مما كان يرتجيه.
وأما أسامة بن زيد فإن النبي صلى الله عليه وآله كان ولاه في مرضه الذي توفي
فيه على أبي بكر وعمر وعثمان فلما مضى رسول الله سبيله انصرف
القوم عن معسكره وخدعوه بتسميته مدة حياتهم له بالإمرة مع تقدمهم
عليه في الخلافة وصانعوه بذلك مما خالفوه فيه من السمع له والسير معه
والطاعة واغتر بخداعهم وقبل منهم مصانعتهم وكان يعلم أن أمير المؤمنين
لا يسمح له بالخداع ولا يصانعه مصانعة القوم ويحذر من التسمية التي
جعلوها له ولا يرفعه عن منزلته ويسير به سيرته في عبيده وموالي نعمته
إذ كان ولائه له بالتعتق الذي كان من نزاعه النبي صلى الله عليه وآله لأبيه بعد
استرقاقه فصار كذلك بعد النبي صلى الله عليه وآله غير أنه منه في الولاء فكره
الانحطاط عن رتبته التي رتبها القوم فيه ولم يجد إلى التخلص من ذلك
إلا بكفر النعمة والمباينة لسيده والخلاف لمولاه فحمل نفسه على ذلك
لما ذكرناه.
وأما محمد بن مسلمة فإنه كان صديق عثمان بن عفان وخاصته وبطانته
فحملته المعصية له على معاونة الطالبين بثاره وكره أن يتظاهر في
الكون في حيز المحاربين فهم المباينين طريقهم ولم ير بمقتضى الحال
معاونة أعدائهم ولا سمحت نفسه بذلك فأظهر من العذر بتأخره
عن نصرة أمير المؤمنين بخلاف باطنه منه مما كره وسترا لقبيح سريرته.
وأما عبد الله بن عمر فإنه كان ضعيف العقل كثير الجهل ماقتا
لأمير المؤمنين (ع) وراثة الخلف عن السلف ما يرثونه من المودة والعداوة
وكان أمير المؤمنين (ع) مع ذلك قد شجاه بهدر دم أخيه عبيد الله لقتله
الهرمزان وأجلاه عن المدينة وشرده في البلاد لا يأمن على نفسه من
الظفر به فيسقط قودا فلم تسمح نفسه بطاعة أمير المؤمنين (ع) ولا

أمكنه المقت من الانقياد له لنصرته وتجاهل ما أبداه من الحيرة في قتال البغاة والشك في لمسه ذلك وحجته.
روى هذا الكلام بعينه عن أمير المؤمنين في أسباب تأخر القوم عنه فإن صحت الرواية بذلك فهو أوكد بحجته وإن لم تثبت كفى في برهانه أن قائله ليس من أهل العلم له صحة فكر وصفاء فطنة.
على أنا لو سلمنا لخصومنا ما ادعوه من امتناع سعد وابن مسلمة وأسامة وابن عمر من بيعة أمير المؤمنين وكراهتهم لها باعتزالهم إياها وأضفنا إليهم في ذلك أمثالهم ممن ظاهر عليه بالعداوة كزيد بن ثابت وحسان بن ثابت ومروان بن الحكم بن أبي العاص وعبد الله بن الزبير وولد عثمان بن عفان وجماعة ممن كان معهم في الدار يوم الحصار بني أمية المعروفين بمقت بني هاشم وعداوتهم والمباينة لهم في الجاهلية والإسلام بالخلاف لما قدح فيما اعتمدنا من دليل إمامته (ع) الذي بينا القول فيه على مذاهب الخصوم من الحشوية والمرجئة والخوارج وأهل الاعتزال وقاعدتهم في ثبوت البيعة بالاختيار من أهل الرأي إذ كنا لم نعتمد في ذلك على إجماع كافة أهل الإسلام وإنما اعتمدنا ما ثبت به العقل على أمور القوم في بيعة أهل الفضل منهم والاجتهاد واستظهرنا في التأكيد لذلك بذكر إجماع المهاجرين الأولين وعيون الأنصار وفضلاء المسلمين ممن حوته المدينة يومئذ والتابعين بإحسان والخيرة الصالحين من أهل الحجاز والعراق ومصر وغيرها من البلاد والذين كانوا حاضرين بالمدينة يومئذ بأجمعهم سوى من يعتصم بخلافة الخصوم محصور عددهم لقلتهم رضوا بإمامة أمير المؤمنين (ع) ورغبوا في تولي الأمر وسألوه ورأوا أن لا يستحق له سواه وتابعوه على الطوع منهم والإيثار وبذلوا نفوسهم من بعد البيعة معه في جهاد أعدائه واعتقدوا أن التأخر عن طاعته في قتال أعدائه ضلال موبق وفسق مخرج عن

الإيمان والبيعة عند مخالفينا تتم ببعض من ذكرناه إذ كانوا خمسة نفر على قول فريق منهم أو أربعة على قول آخرين أو اثنين على مذهب فريق آخر بل تتم عند أكثرهم بواحد حسبما ذكرناه فكيف يحل مع ذلك بدليلنا الذي ذكرناه في إمامته (ع) خلاف النفر الذين تعلق بذكرهم في القعود عن القتال ممن تعلق أو بما ظهر بعد البيعة من خلاف مرتكبها. ومباينة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص بعد الذي كان من مراسلتهما أمير المؤمنين (ع) بالبيعة والطاعة بشرط إقرارهما على ما ولاهما عليه عثمان من الأعمال فلما أبى ذلك خوفا من الله تعالى ظاهروا عليه بالخلاف وإن خصومنا جهال أغمار لا معرفة لهم بوجوه النظر ولا علم لهم بالأخبار.

ونحن نذكر الآن جملة من بايع أمير المؤمنين (ع) الراضين بإمامته الباذلين لأنفسهم في طاعته بعد الذي أجملناه من الخبر عنهم ممن يعترف المنصف بوقوفه على أسمائهم تحقيق ما وصفناه عن عنايتهم في الدين وتقدمهم في الإسلام ومكانهم من نبي الهدى وإن الواحد منهم لو ولى العقد لإمام لانعقد الأمر به خاصة عند خصومنا فضلا عن جماعتهم وعلى مذهبهم فيما يدعونه من ثبوت الإمامة بالاختيار وآراء الرجال وتضمحل بذلك عنده شبهات الأموية فيما راموه من القدح في دليلنا بما ذكروه من خلاف من سموه حسبما قدمنا ومن بايع أمير المؤمنين بغير ارتياب ودان بإمامته على الإجماع والاتفاق، واعتقد فرض طاعته والتحريم لخلافه ومعصيته والحاضرون معه في حرب البصرة ألف وخمسمائة رجل من وجوه المهاجرين الأولين والسابقين إلى الإسلام والأنصار البدريين العقبيين وأهل بيعة الرضوان من جملتهم سبعمائة من المهاجرين وثمانمائة من الأنصار سوى أبنائهم وحلفائهم ومواليهم وغيرهم من بطون العرب والتابعين بإحسان على ما جاء به الثبت من الأخبار.

بيعة المهاجرين:
فمن جملة المهاجرين عمار بن ياسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وحبيبه أخص الأصحاب كان به والثقة قبل البعثة وبعدها وأنصر الناس له وأشدهم اجتهادا في طاعته المعذب في الله أبوه وأمه في أول الإسلام الذي لم يكن لأحد من الصحابة في المحنة ما كان له ولا نال أحد منهم في الدين من المكروه والصبر على الإسلام كما ناله، لم تأخذه في الله لومة لائم، مقيم مع شدة البلاء على الإيمان الذي اختص من رسول الله بمديح لم يسبقه فيها سواه من الصحابة كلها، مع شهادته له بالجنة مع القطع والبيان لإنذاره من قتله والتبشير لقاتله بالنار على ما اتفق عليه أهل النقل من حملة الآثار فمن ذلك قول رسول الله (ص) إن الجنة لتشتاق إلى عمار فإنها إليه أشوق منه إليها، وقوله بشر قاتل عمار وسالبه بالنار، وقوله صلى الله عليه وآله عمار جلدة بين عيني وأنفي، وقوله لا تؤذوني في عمار، وقوله عمار ملأ إيمانا وعلما، في أمثال ذلك من المدايح والتعظيمات التي اختص بها على ما ذكرناه.
ثم الحصين بن الحرث بن عبد المطلب والطفيل بن الحرث المهاجران البدريان ومسطح بن أثاثه وحجار بن سعد الغفاري وعبد الرحمن بن جميل الجمحي وعبد الله ومحمد ابنا بديل الخزاعي والحرث بن عوف وأبو عابد الليثي والبراء بن عازب وزيد بن صوحان ويزيد بن نويرة الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنة وهاشم بن عتبة المرقال وبريدة الأسلمي وعمرو بن الحمق الخزاعي وهجرته إلى الله ورسوله معروفة ومكانه منه مشهور ومدحه له مذكور والحرث بن سراق وأبو أسيد ابن ربيعة ومسعود بن أبي عمر وعبد الله بن عقيل وعمر بن محصن وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر ومن في عدادهم ممن أدرك عصر النبي

كحجر بن عدي الكندي وشداد بن أوس في نظرائهما من الأصحاب وأمثال من تقدم ذكره من المهاجرين على طبقاتهم في التقى ومراتبهم في الدين ممن يطول تعداد ذكره والكلام فيه.

بيعة الأنصار:

ومن الأنصار أبو أيوب وخالد بن زيد صاحبا رسول الله صلى الله عليه وآله وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي الهيثم بن التيهان وأبو سعيد الخدري وعبادة ابن الصامت وسهل وعثمان ابنا حنيف وأبو عباس الزرقي فارس رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد وزيد بن أرقم وسعد وقيس ابنا سعد بن عبادة وجابر بن عبد الله بن حزام ومسعود بن أسلم وعامر ابن أجبل وسهل بن سعيد والنعمان بن حجلان وسعد بن زياد ورفاعة ابن سعد ومخلد وخالد ابني أبي خلف وضرار بن الصامت ومسعود بن قيس وعمر بن بلال وعمار بن أوس ومرة الساعدي ورفاعة بن مالك الزرقي وجبلة بن عمرو الساعدي وعمر بن حزم وسهل بن سعد الساعدي في أمثالهم من الأنصار الذين بايعوا البيعتين وصلوا القبلين واختصوا من مدايح القرآن والثناء عليهم من نبي الهدى عليه وآله السلام مما لم يختلف فيه من أهل العلم اثنان وممن لو أثبتنا أسماءهم لطال بها الكتاب ولم يحتمل استيفاء العدد الذي حددناه.

بيعة الهاشميين:

ومن بني هاشم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي ومختلف الملائكة الحسن والحسين سبطا الرحمة وسيدا شباب أهل الجنة عليهما السلام ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر ومحمد وعون ابنا جعفر الطيار وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عم رسول الله

والفضل وقثم وعبيد الله بنو العباس وعبد الله بن أبي لهب وعبد الله
ابن الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن
عبد المطلب وكافة بني هاشم وبني عبد المطلب.

بيعة باقي الشيعة:

ومن يلحق منهم بالذكر من أوليائهم وعليه شيعتهم وأهل الفضل
في الدين والإيمان والعلم والفقه والقرآن المنقطعين إلى الله تعالى بالعبادة
والجهاد والتمسك بحقائق الإيمان: محمد بن أبي بكر ربيب أمير المؤمنين
وحبيبه ومحمد بن أبي حذيفة وليه وخاصته المستشهد في طاعته ومالك
ابن الحرث الأشتر النخعي سيفه، المخلص في ولايته وثابت بن قيس
النخعي وكميل بن زياد وصعصعة بن صوحان العبدي وعمر بن زرارة
النخعي وعبد الله بن أرقم وزيد بن الملفق وسليمان بن صرد الخزاعي
وقبيصة وجابر وعبد الله ومحمد بن بديل الخزاعي وعبد الرحمن بن
عديس السلولي وأويس القرني وهند الجملي وجندب الأزدي والأشعث
ابن سوار وحكيم بن جبلة ورشيد الهجري ومعقل بن قبس بن
حنظلة وسويد بن الحارث وسعد بن مبشر وعبد الله بن وال ومالك
ابن ضمرة والحارث الهمداني وحبة بن جويرة العرني ممن كانوا بالمدينة
عند قتل عثمان وأطبقوا على الرضا بأمير المؤمنين (ع) فبايعوه على حرب
من حارب وسلم من سالم وأن لا يولوا في نصرته الأدبار وحضروا
مشاهده كلها لا يتأخر عنه منهم أحد حتى مضئ الشهيد منهم على نصرته
وبقي المتأخر منهم على حجته حتى مضى أمير المؤمنين (ع) لسبيله وكان
من بقي منهم بعده على ولايته والاعتقاد بفضله على الكافة بإمامته وإذا
كان الأمر في بيعته حسب ما ذكرناه وإجماع من سميناه ونعتناه على
الرضا به والطاعة له والاعتقاد كما وصفناه بطل اعتراض المتعرض في

ثبوت إمامته بتأخر من سميناه من البيعة وتفردهم عن الحرب معه ووضح حصر عددهم وقلت إن الإجماع كان من كافة أهل الهجرة عليه إذ لو كان هناك سوى النفر المعدودين في خلاف أمير المؤمنين (ع) لشركهم في الرأي وذكرهم الناس في جملتهم وأحصوهم في عددهم وألحقوهم بهم فيما انفردوا به من جماعتهم ولم يكن لغيرهم ذكر في ذلك فصح ما حكيناه من اتفاق المهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان والتابعين بإحسان على إمامته كما قدمناه فيما سلف وذكرناه والمنة لله.

الإجبار في البيعة:

فإن قال قائل قد وجدتكم فيما احتججتم به على مخالفيكم في إمامة علي (ع) وثبوتها الموجب لضلال مخالفيه وخروجهم بحربه عن الإيمان عقد الصحابة على الاختيار ورغبتهم إليه في تولي أمورهم ومسائلته في ذلك وإباؤه له حتى اجتمع المسلمون والإلحاح ممن بايعه طوعا من المهاجرين والأنصار وقد جاءت الأخبار بضد ذلك وأنه كان قاهرا للأمة مجبرا لها على البيعة مكرها في ذلك الناس. فروى الواقدي عن هاشم بن عاصم عن المنذر بن الجهم قال سألت عبد الله بن تغلبة كيف كانت بيعة علي عليه السلام قال رأيت بيعة رأسها الأشتر يقول من لم يبايع ضربت عنقه وحكيم بن جبلة وذووهما ما ظنك بما يكون أجبر فيه جبرا ثم قال أشهد لرأيت الناس يحشرون بيعته فيتفرقون فيؤتى بهم فيضربون ويعسفون فبايع من بايع وانفلت من انفلت، وروى أيضا عن سعيد بن المسيب قال لقيت سعد بن زيد بن نفيل فقلت بايعت؟ فقال ما أصنع إن لم أفعل قتلني الأشتر وذووه قال وقد عرف الناس من طلحة والزبير كانا يقولان بايعناه مكرهين، وروى عنهما أنهما قالا بايعناه بأيدينا ولم تبايعه قلوبنا، والخبر مشهور عن طلحة بن عبد الله

إنه كان يقول بايعت مع علي وإلا رقبتي، قالوا وإذا كان البيعة لعلي بقهر وإصرار وإكراه الناس وإجبار لم تثبت إمامته ولم يثبت نظيرها في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان،

الجواب: فيقال للمعترض لما حكيناه، لسائل عما ذكرناه، فأما الواقدي فعثماني المذهب بالميل عن علي أمير المؤمنين (ع) والذي رووا عنه ما رواه من إكراه الناس علي البيعة لأمير المؤمنين (ع) والتخرص عليه بإضافة الأباطيل إليه وقد ثبت أن شهادة المشاجر مردودة بالإجماع وحديث الخصم فيما قدح به عدالة خصمه مطروح بالاتفاق وقول المتهم الظنين غير مقبول بلا اختلاف فلا حجة في الحديث المذكور عن ابن تغلبة.

ولو سلم من جميع ما وصفناه من الطعن فيه إذا كان فإنه خبر واحد يضاد التواتر الوارد بخلاف معناه فكيف وهو من الوهن على ما بيناه.

وأما خبر ابن المسيب عن سعيد بن زيد بن نفيل فقد صرح فيه بإقرار سعيد بالبيعة ودعواهم أنه بايع خوفا من الأشتر باطلة إذا كان ظاهره بخلاف ما ادعاه فيه وليس كل من خاف شيئا فقد وقع خوفه موقعه بل أكثر من يخاف متوهم للبعد ظان للباطل متخيل للفاسد ولم يذكر سعيد شيئا من إمارات خوفه فيكون له حجة فيما ادعاه ولم يقل أحد أن الأشتر ولا غيره من شيعة أمير المؤمنين (ع) كلموا ممتنعا من بيعته في الحال ولا ضربوا أحدا منهم بالسوط ولا نهروه فضلا عن القتل وضرب الرقاب فكيف يخاف سعيد من الأشتر مع ما ذكرناه وأنى يكون لخوفه وجه صحيح على ما نقلناه وهذا يدل على كذب الواقدي فيما أضافه إلى سعيد بن زيد من الخوف وأخبر عنه أو على تمويه سعيد فيما ادعاه.

وأما قول طلحة والزبير إنهما بايعا مكرهين فالكلام فيه كالكلام

على ابن المسيب عن سعيد والتهمة لهما في ذلك أوكد لأنهما جعلا ذلك عذرا في نكثهما البيعة والخروج عن الطاعة وطلب الرياسة والإمرة فلم يجدا إلى ذلك سبيلا مع ما كان منهما في ظاهر الحال من البيعة على الطوع بلا إجبار إلا بدعوى الإكراه والإحالة في ذلك على الضمائر والبواطن التي لا يعلمها إلا الله وقد ثبت في حكم الإسلام الأخذ لهما بمقتضى الاقرار منهما في البيعة والقضاء عليها بلزوم الطاعة لهما لمن بايعاه والخلاف عليهما لإمامهما الذي اعترفا ببيعتهما له وصفقا له بأيديهما على يده بالعقد له على ظاهر الرضا والإيثار وسقوط دعواهما للباطن المضاد للحكم الظاهر من ذلك وما زعماه من حكم الكراهة في قلوبهما على ما ادعياه.

مع أن ظهور مشاحتهما لأمير المؤمنين (ع) ومظاهرتهما له بالعداوة وبلوغهما في ذلك الغاية من ضرب الرقاب وسفك الدماء يبطل دعواهما على ما يقدح في عدالته ويؤثر في إمامته ويمنعه حقا له على كل حال.

على أنه لو ثبت الإكراه في البيعة لأمير المؤمنين لمن ادعى المخالفون إكراهه لم يقدح ذلك في إمامته (ع) على أن أصول شيعته الدائنين بالنص عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله تقتضي ذلك لأن الإمام المنصوص عليه المفترض طاعته على الأنام أن يكره من أبي طاعته ونصرته بالسوط والسيف على ذلك حتى يفئ إلى أمر الله والانقياد له ويزول بذلك ما يحذر من فسادهم وفتنهم ولا يؤثر أيضا في إمامته على مذهب المخالفين القائلين بالاختيار لأنه إذا بايع عندهم من أهل الفضل عدد محصور ثبت له العقد ووجبت له الطاعة وكان له إكراه من أبي البيعة ورام الخلاف والعصيان وأعمال السوط والسيف في ردعه عن ذلك وإكراهه على الطاعة والدخول مع الجماعة ومعلوم أن أمير المؤمنين قد بايعه على الرضا به من لا يحصى عددهم كثرة ممن جاهد معه في حروبه وبذل دمه في نصرته من المهاجرين البدريين والأنصار العقبيين وأهل

بيعة الرضوان، والتابعين بإحسان ممن أثبتنا أسماء بعضهم فيما سبق هذا الفصل في الكتاب فبطل ما تعلق به الخصم من دعوى الإكراه لمن سموه والخبر في ذلك على ما ادعوه والاعتماد على أخبار شواذ به يبطله الظاهر والمنتشر في خلافهما من الأخبار.

إنكار جماعة بيعة أبي بكر:

على أنه يقال للخصم إن كان الخبر بإكراه قوم على بيعة أمير المؤمنين يقدح في إمامة عدل فقد جاءت الأخبار المتواترة بإكراه من أكره على بيعة أبي بكر وعمر وعثمان فيجب أن نقطع على فساد إمامتهم بذلك وإلا كنت مناقضا عند العقلاء، ألا ترى أن المعلوم المنتشر بعد بلا ارتياب من مباينة الأنصار في بيعة أبي بكر ودعائها إلى البيعة لسعد ابن عبادة وإنكاره بيعة سواه وتضمن على حرف الأمر عن قريش وشروعها في ذلك حتى اختلف كلمتهم وأفسد أمره بشر بن سعد منهم وبايع أبا بكر حسدا لابن عمه وظنا عليه بالرياسة وكراهة الاتباع له والتقدم على نفسه فوقعت الفتنة وسلت السيوف ودعا عمر بن الخطاب إلى قتل سعد بن عبادة وحرض عليه في ذلك وقال اقتلوا سعدا قتل الله سعدا فخافت الأنصار من ظفرها والجناية عليها فحملوا سعدا من السقيفة بين جماعتهم لضعفه عن النهوض بنفسه لمرض كان به في الحال وانحاز إليه أهل بيته كارهين لبيعة من عقدت له منكرين لما تم لأبي بكر متوعدين فيه بالخلاف.

وجاءت الأخبار متظافرة بإنكار الزبير بن العوام لبيعة أبي بكر وخروجه بالسيف مصلتا للقتال فتكاثر القوم عليه حتى أخذوه من يده وضربوه بالأحجار فكسروه وجاؤا به ملببا لأبي بكر حتى بايع مكرها على غير اختيار منكرا ولما حضر سلمان رضي الله عنه لأمرهم

متكلما في ذلك بلسانه ومفصحا فيه بلسان العرب وما كان من إنكار العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وآله صرف الأمر عن بني هاشم وبيعتهم لمن بايعوا ودعائه أمير المؤمنين (ع) إلى بسط يده ليبايعه على الأمر فقال له أمدد يدك يا ابن أخي أبايعك ليقول الناس عم رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن عم رسول الله فلا يختلف عليك اثنان وقول أبي سفيان حرب بن صخر بأعلى صوته: يا بني هاشم أرضيتم أن يلي عليكم ابن تيم مرة حاكما على العرب ومتى طمعت أن تتقدم على بني هاشم في الأمر انهضوا لدفع هؤلاء القوم عما تمالؤا إليه ظلما لكم أما والله لئن شئتم لأملأنها عليهم خيلا ورجالا ثم قال:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم * ولا سيما تيم بن مرة أو عدي

فما الأمر إلا فيكم وإليكم * وليس له إلا أبو حسن علي

أبا حسن فاشدد بها كف فاتك * فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي (١)

ولما اجتمع من اجتمع في دار فاطمة من بني هاشم وغيرهم للتحيز عن أبي بكر وإظهار الخلاف أنفذ عمر بن الخطاب قنفذا وقال له اخرج من في البيت فإن خرجوا وإلا فاجمع الأحطاب على بابه واعلمهم أنهم إن لم يخرجوا للبيعة أضرمت البيت عليهم نارا.

ثم قام بنفسه في جماعة منهم المغير بن شعبة الثقفي وسالم مولى حذيفة حتى صاروا إلى باب علي فنادى يا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أخرجي من اعتصم ببيتك ليبايع ويدخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا والله أضرمت عليهم نارا في حديث مشهور (٢).

---

(١) رواها اليعقوبي في تاريخه (ج ٢ - ص ١٠٥) ط النجف بزيادة بيت رابع:

وإن امرءا يرمي قصيا ورائه * عزيز الحمى والناس من غالب قصي

(٢) في العقد الفريد (ج ٢ - ص ٢٥٢) إن عمر بن الخطاب جاء إلى بيت فاطمة بقبس من نار يريد أن يحرقه على من فيه فخرجت إليه فاطمة (ع) تقول يا ابن الخطاب جئت لتحرق دارنا؟ قال نعم ا ه، والقبس في نص أهل اللغة شعلة نار مضرمة.

ولما عرف أهل اليمامة تقلد أبي بكر أنكروا أمره وامتنعوا من حمل الزكاة حتى أنفذ إليهم الجيوش فقتلهم وحكم عليهم بالردة عن الإسلام وفي إنكار أهل اليمامة بيعة أبي بكر يقول:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا * فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر
إذا مات بكر قام عمر مكانه * وذلك لعمر الله قاصمة الظهر (١)

وكان عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب خارجا عن المدينة فدخلها وقد بايع الناس أبا بكر فوقف في وسط المسجد وأنشأ يقول (٢):

ما كنت أحسب هذا الأمر منتقلا * عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلتهم * وأعرف الناس بالآثار والسنن
وآخر الناس عهدا بالنبي ومن * جبريل عون له بالغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به * وليس في القوم ما فيه من الحسن
فما الذي ردكم عنه فنعلمه * ها إن بيعتكم في أول الفتن

---

(١) في تاريخ الطبري (ج ٣ - ص ٢٢٣) ذكر سبعة أبيات منها البيتين ونسبها للخطيل بن أوس أخو الحطيئة وفي روايته عجز البيت الأول: (فيا لعباد الله ما لأبي بكر) وصدر البيت الثاني: (أيورثنا بكر إذا مات بعده).

(٢) في تاريخ اليعقوبي (ج ٢ - ص ١٠٣) ط النجف نسبت إلى عتبة بن أبي لهب ولم يذكر الخامس وفي روايته الصدر الأول: (ما كنت أحسب أن الأمر منصرف) والبيت الثاني:
عن أول الناس إيمانا وسابقة * وأعلم الناس بالقرآن والسنن.

رواه أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي عن محمد إسحاق الكلبي وأبي صالح ورواه أيضا عن رجاله زايدة بن قدامة قال كان جماعة من الأعراب قد دخلوا المدينة ليتماروا منها فشغل الناس عنهم بموت رسول الله صلى الله عليه وآله فشهدوا البيعة وحضروا الأمر فأنفذ إليهم عمر واستدعاهم وقال لهم خذوا بالحظ من المعونة على بيعة خليفة رسول الله واخرجوا إلى الناس واحشروهم ليبايعوا فمن امتنع فاضربوا رأسه وجبينه، قال والله لقد رأيت الأعراب تحزموا، واتشحوا بالأزر الصنعانية وأخذوا بأيديهم الخشب وخرجوا حتى خبطوا الناس خبطا وجاؤا بهم مكرهين إلى البيعة وأمثال ما ذكرناه من الأخبار في قهر الناس على بيعة أبي بكر وحملهم عليها بالاضطراب كثيرة ولو رمنا إيرادها لم يتسع لهذا الكتاب فإن كان الذي ادعاه المخالف من إكراه من أكره على بيعة أمير المؤمنين (ع) دليلا على فسادها مع ضعف الحديث بذلك فيكون ثبوت الأخبار بما شرحناه من الأدلة على بيعة أبي بكر موضحة عن بطلانها.

كراهة المسلمين استخلاف عمر:

هذا والأمة مجتمعة على أن أبا بكر لما أراد استخلاف عمر بن الخطاب حضره وجوه المهاجرين وفيهم طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص فقالوا ما تقول لربك إذا وليت علينا هذا الفض الغليظ وإنا لم نكن نطيقه وهو رعية لك فكيف إذا ولي الأمر، فاتق الله في الإسلام وأهله ولا تسلطه على الناس، فغضب أبو بكر وقال اجلسوني فأجلس واستند إلى صدور الرجال من ضعفه ثم قال لهم: أبالله تخوفوني إن كل واحد منكم قد طمع في هذا الأمر، فلما سمع ما أريده لعمر ورم لذلك أنفه قال وقد رأيتم ما جاءته فعملتم على التأمر واستعمال الستور

ونضائد الديباج لتتخذوها كسروية لا والله لا أجبتكم إلى ما تريدون إني إذا لقيت ربي فسألني من استخلفت عليهم قلت استخلفت عليهم خير أهلهم، وهذا خبر مشهور لا تنازع فيه العلماء (١) وهو متضمن لعقد أبي بكر الأمر لعمر على كراهية ممن ذكرناه وقهرا لهم وإجبارا عليهم فيجب على غلبة الخصم أن تكون إمامة عمر بن الخطاب فاسدة لكراهتها ممن أعددناه.

الصحابة يوم الشورى:

قال ولما كان في يوم الشورى حضر عمار بن ياسر رحمه الله فقام في الناس وقال إن وليتموها عليا (ع) سمعنا وأطعنا وإن وليتموها عثمان سمعنا وعصينا فقام الوليد بن عقبة وقال: يا معشر الناس أهل الشورى إن وليتموها عثمان سمعنا وأطعنا وإن وليتموها عليا سمعنا وعصينا فانتهره عمار وقال له متى كان مثلك يا فاسق يعترض في أمور المسلمين وشتات جمعها، وتسابا جميعا وتناوشا حتى حيل بينهما فقال المقداد من وراء الباب: يا معشر المسلمين إن وليتموها أحدا من القوم فلا تولوها من لم يحضر بدرا وانهزم يوم أحد ولم يحضر بيعة الرضوان (٢)

---

(١) في تاريخ الطبري (ج ٤ – ص ٥٢) والعقد الفريد (ج ٢ – ص ٢٥٧) وشرح النهج لابن أبي الحديد (ج ١ – ص ٥٥) إن أبا بكر ذكر هذا عند مجيء المهاجرين إليه وتذمره منهم وفي تاريخ الخميس (ج ٢ – ص ٢٩٩) إن طلحة والزبير قالا له أتولى علينا فظا غليظا ما تقول لربك.

(٢) في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ١ – ص ٦٦) إن عبد الرحمن بن عوف أرسل إلى عثمان يذكره بفراره يوم أحد وعدم حضوره بدرا ولا بيعة الرضوان فلم ينكر عليه.

وولى الدبر يوم التقى الجمعان فقال له عثمان أما والله لئن وليتها لأردنك إلى ربك الأول، ولما صفق عبد الرحمن يده على يد عثمان نهض أمير المؤمنين (ع) وقال مال الرجل إلى صهره ونبذ دينه وراء ظهره وأقبل على عبد الرحمان فقال والله ما أملت منه إلا ما أمل صاحبك من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم (١) وانصرف مظهرا للتنكير على عبد الرحمن واعتزل بيعة عثمان فلم يبايعه حتى كان من أمره مع المسلمين ما كان وقد عرفت الخاصة والعامة ما أظهره أمير المؤمنين (ع) من كراهته من تقدم عليه وتظلمه منهم.

فقال في مقام بعد مقام: اللهم إني أستعيذك على قريش فإنهم ظلموني حقي ومنعوني إرثي وتمالؤا علي.

وقال (ع) لم أزل مظلوما منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال وقد عهد إلى رسول الله أن الأمة ستغدر بي من بعده.

وقال اللهم أجز قريشا عني الجوازي فقد قطعت رحمي ودفعتني عن حقي وأغرت بي سفهاء الناس وخاطرت بدمي (٢).

خطبة علي يوم البيعة:

فصل: ولما أفضى الأمر إليه رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال

---

(١) في تاج العروس (ج ٩ – ص ٧٩) بمادة نشم أن امرأة صنعت لزوجها طيبا تطيب به ثم أنها صادفت رجلا فطيبته فلقيه زوجها فشم طيب زوجته فقتله فاقتتل الحيان من أجله فضرب به المثل وقالوا أشأم من عطر منشم، وقيل إن المنشم حب عطر شاق الدق وهو سم ساعة وفيه يقول زهير:

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما * تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

(٢) البيان والتبيين (ج ٢ – ص ٥٢) ط سنة ١٣٣٢ ه

قد كانت أمور كثيرة لم تكونوا عندي فيها محمودين أما إني لو أشاء لقلت عفى الله عما سلف سبق الرجلان، وقام الثالث كالغراب همته بطنه وفرجه، يا ويحه لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيرا له.

إلى آخر الخطبة وفيها عجائب من فصيح الكلام وغرائبه والعلماء متفقون عليها عنه (ع) وقد ذكرها أبو عبيدة معمر بن المثنى وفسر غريب الكلام فيها وأوردها المدايني في كتبه وذكرها الجاحظ مع نصبه وعداوته لأمير المؤمنين (ع) في كتابه الموسوم (بالبيان والتبيين) (١).

الشقشقية:

فأما خطبته عليه السلام التي رواها عبد الله بن عباس فهي أشهر من أن ندل عليها لشهرتها وهي التي يقول (ع) في أولها:

والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا.

أرى تراثي نهبا فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، إلى قوله (ع): فجعلني عمر سادس ستة زعم أني أحدهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر ولكني أسففت إذا سفوا، وطرت إذا طاروا، في كلام طويل اختصرناه ههنا (٢) فدل ما ذكرناه عنه عليه السلام على كراهيته من

---

(١) ذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج ٢ – ص ٤٩٦) أن الأخبار قد تواترت عنه عليه السلام في هذا وذكر ما نص عليه المفيد.

(٢) ذكر شيخنا الحجة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء قدس سره في رسالته مدارك نهج البلاغة ص ٧٠ المطبوعة مع مؤلفه المستدرك على نهج البلاغة أقوال العلماء في الاعتراف بوجود الخطبة الشقشقية في مؤلفات كتبت قبل أن يوجد السيد الرضي وأبوه فراجعه فإنه نافع جدا.

تقدم عليه، وإنكاره ما صنعوه في ذلك، وخصومنا لعنادهم الحق وتجاهلهم يجعلون الأخبار الشاذة في كراهة نفر معدودين لبيعة أمير المؤمنين (ع) قدحا في إمامته ولا يجعلون ما ذكرناه من خلاف وجوه المسلمين وعامة المؤمنين والأنصار والمهاجرين في إمامة الثلاثة النفر المذكورين حجة في بطلانها ولا إنكارهم لذلك وكراهتهم لها قدحا فيها ويدعون مع ذلك يعجبهم وجرأتهم وقلة أمانتهم إجماع الأمة عليهم (إن هذا هذا لشئ عجاب) مع أني مثبت طرفا من الأخبار التي جاءت ببيعة أمير المؤمنين (ع) وإنها كانت على وفاق ما ذكرت في أول الباب من الرغبة إليه في قبولهما منهم والإيثار لتقدمه عليهم والاختيار ما قصدنا به الإيضاح عنه من ثبوت إمامته على أصول الموافقين من شيعته والمخالفين لهم في ذلك حسب ما بيناه إن شاء الله تعالى.

امتناع علي من البيعة:

فمن روى خبر البيعة وما كانت عليه الحال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه المصنف في حرب البصرة عن سيف بن عمر عن محمد ابن عبد الله بن سوادة وطلحة بن الأعلم وابني عثمان أجمع قالوا بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب العكي (١) والناس يلتمسون من يجيبهم لهذا الأمر فلا يجدون فيأتي المصريون عليا فيختبئ عنهم ويلوذ بحيطان المدينة فإذا لقوه يأبى عليهم، قال وروى إسحاق بن راشد عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن ابن أثري

---

(١) الطبري (ج ٥ - ص ١٠٣ و ص ١٥٥).

قال ألا أحدثك بما رأت عيناي وسمعت أذناي لما التقى الناس عند بيت
المال قال علي (ع) لطلحة أبسط يدك أبايعك فقال طلحة أنت أحق
بهذا الأمر مني وقد اجتمع لك من هؤلاء الناس (١) لم يجتمع لي فقال
له (ع) ما خشينا غيرك فقال طلحة لا تخشى فوالله لا تؤتى من قبلي وقام
عمار بن ياسر والهيثم بن التيهان ورفاعة بن أبي رافع ومالك بن عجلان
وأبو أيوب خالد بن زيد فقالوا لعلي (ع) إن هذا الأمر قد فسد وقد
رأيت ما صنع عثمان وما أتاه من خلاف الكتاب والسنة فابسط يدك
لنبايعك لتصلح من أمر الأمة ما قد فسد فاستقال علي (ع) وقال قد
رأيتم ما صنع بي وعرفتم رأي القوم فلا حاجة لي فيهم فأقبلوا على الأنصار
وقالوا يا معاشر الأنصار أنتم أنصار الله وأنصار رسوله وبرسوله
أكرمكم الله وقد علمتم فضل علي وسابقته في الإسلام وقرابته ومكانته
من النبي صلى الله عليه وآله وإن ولي بنى لكم خيرا فقال القوم نحن أرضى الناس
به ما نريد به بدلا ثم اجتمعوا عليه وما يزالوا به حتى بايعوه.
وبإسناده عن ابن أبي الهيثم بن التيهان; قال يا معشر الأنصار قد
عرفتم رأيي ونصحي ومكاني من رسول الله صلى الله عليه وآله واختياره إياي
فردوا هذا الأمر إلى أقدمكم إسلاما ولولاكم برسول الله صلى الله عليه وآله لعل
الله أن يجمع به ألفتكم ويحقن به دماءكم فأجابه القوم بالسمع والطاعة
وروى سيف عن رجاله قال اجتمع الناس إلى علي وسألوه أن
ينظر في أمورهم وبذلوا له البيعة فقال لهم التمسوا غيري فقالوا له ننشدك
الله أما ترى الفتنة ألا تخاف الله في ضياع هذه الأمة فلما ألحوا عليه
قال لهم إني لو أجبتكم حملتكم على ما أعلمه وأن تركتموني كنت
لأحدكم قالوا قد رضينا بحكمك وما فينا مخالف لك فاحملنا على ما تراه
ثم بايعته الجماعة.

---

(١) الطبري (ج ٥ – ص ١٥٦).

بيعة طلحة والزبير:
وروى أبو إسحاق بن إبراهيم بن محمد الثقفي عن عثمان بن أبي شيبة عن إدريس عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم قال جاء طلحة والزبير إلى علي (ع) وهو متعوذ بحيطان المدينة فدخلا عليه وقالا ابسط يدك نبايعك فإن الناس لا يرضون إلا بك; فقال لهما لا حاجة لي في ذلك ولئن أكون لكما وزيرا خير لكما من أن أكون أميرا فليبسط قرشيا منكما يده أبايعه; فقالا إن الناس لا يؤثرون غيرك ولا يعدلون عنك إلى سواك فابسط يدك نبايعك أول الناس، فقال إن بيعتي لا تكون سرا فامهلا حتى أخرج إلى المسجد فقالا بل نبايعك هنها ثم نبايعك في المسجد فبايعاه أول الناس ثم بايعه الناس على المنبر أولهم طلحة بن عبيد الله وكانت يده شلاء فصعد المنبر إليه فصفق على يده، ورجل من بني أسد يزجر الطير قائم ينظر إليه فلما رأى أول يده صفقت على يد أمير المؤمنين يد طلحة وهي شلاء قال إنا لله وإنا إليه راجعون أول يد صفقت على يدي شلاء بوشك أن لا يتم هذا الأمر (١) ثم نزل طلحة والزبير وبايعه الناس بعدهما، وهذه الأخبار مع كثرتها وانتشارها في كتب السير وكافة كتب العلماء وظهورها واستفاضتها تتضمن نقيض ما ادعاه المخالف من إكراه أمير المؤمنين (ع) على البيعة ويبطل ما تعلق به من من ذلك من شك في الخبر الذي أورده الواقدي عن العثمانية المتظاهرة بعداوة أمير المؤمنين (ع).
على أن الواقدي قد أثبت في كتابه الذي صنفه في حرب البصرة ما يوافق الأخبار التي قدمنا ذكرها ويضاد ما خالفها في معناه، فقال حدثني عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد قال لما قتل عثمان أقبل الناس

---

(١) العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٦٩) والطبري (ج ٥ ص ١٥٣).

على علي ليبايعوه فتأبى عليهم وقالوا بايعنا لا تخلف أمرك فأبى عليهم فمدوا يده وبسطوها وقبضوها فقالوا بايعنا لا نجد غيرك ولا نرضى إلا بك; وروى إسماعيل بن محمد عن محمد بن سعد عن أبيه قال أرسل علي ابن أبي طالب (ع) إلى أبي ليبايع فقال له إذا لم يبق غيري بايعتك فقال علي (ع) خلوا سعدا وأرسل إلى أسامة بن زيد فقال له أسامة أنا لك طوع ولكن اعفني الخروج بالسيف فقال له علي لم أكره أحدا على بيعته وأن جميع من بايعه كان مؤثرا له داعيا إليه في ذلك على ما قدمناه والحمد لله.

قال الشيخ المفيد أدام الله تأييده: وقد دللنا على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام من جهة النص عليه بها من رسول الله صلى الله عليه وآله وباختياره له من ذوي العقول والعلم والفضل والرأي على ما يذهب إليه المخالفون في ثبوت الإمامة وانعقادها وأنبأنا عن عصمته (ع) بما سلف وشرحنا القول في طريقها وأوضحناه وذكرنا الأخبار الواردة من طريق الخاصة والعامة في وجوب حقه وبرهان صوابه وتحريم خلافه وفي ذلك إبطال ما ذهب إليه كافة خصومنا على اختلافهم في تصويب محاربيه والوقوف في ذلك والشك فيه وفي ما أصلناه من ذلك ورسمناه في معناه غني عن تكليف كلام في فساد مذهب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد على ما شرحناه عنهما في صدر هذا الكتاب من شبهات المذهب الرذل وإبطال مذهب الأصم وأتباعه ونقض شبهات الحوشية في تصويب الجماعة وإفساد ما ذهب إليه كل فريق منهم في تخطئتهم بأسرهم وإقامة البرهان على صحة ما ذهب إليه الشيعة ومن شاركهم من قبائل المعتزلة والمرجئة والخوارج على أمير المؤمنين وضلال أهل البصرة وتخطئة محاربيه في هذين المقامين وضلالهم في ذلك عن طريق الرشاد وفيما أثبتناه عن عصمته (ع) وحقه أيضا دليل مقنع في إبطال مذهب الخوارج المبدعة في إنكار التحكيم وترك القتال عند الموادعة حسب ما قدمناه

ونحن نشفع ذلك بأسباب فتنة البصرة على ما بطن منها عن كثير من الناس وظهر منها للجمهور ونورد بعد هذا الباب الذي ذكرناه الأخبار الواردة بصورة الأمر في القتال وكيفية ما جرى فيه على ترتيب ذلك في مواضعه المقتضية لذكره فيها ونأتي به على الترتيب والنظام إن شاء الله تعالى.

الناكثان:

فصل: فإن ظاهر الفتنة بالبصرة فهو ما أحدثه طلحة والزبير من نكث البيعة التي بذلاها لأمير المؤمنين (ع) طوعا واختيارا وإيثارا وخروجهما عن المدينة إلى مكة على إظهار منهما ابتغاء العمرة فلما وصلاها اجتمعا مع عائشة وعمال عثمان الهاربين بأموال المسلمين إلى مكة طمعا فيما احتجبوه منها وخوفا من أمير المؤمنين (ع) واتفاق رأيهم على الطلب بدم عثمان والتعلق عليه في ذلك بانحياز قتلة عثمان وحاصريه وخاذليه من المهاجرين والأنصار وأهل مصر والعراق وكونهم جندا له وأنصارا واختصاصهم به في حربهم منه ومظاهرته لهم بالجميل وقوله فيهم الحسن من الكلام; وترك إنكار ما صنعوه بعثمان والإعراض عنهم في ذلك، والمصيب معهم في جنده إلى ما ذكرناه وشبهوا بذلك على الضعفاء واغتروا به السفهاء وأوهموهم بذلك لظلم عثمان والبراءة من شئ يستحق به ما صنع به القوم من إحصاره وخلعه والمنازعة إلى دمه فأجابهم إلى مرادهم من الفتنة ممن استغووه بما وصفناه وقصدوا البصرة لعلمهم أن جمهور أهلها من شيعة عثمان وأصحاب عامله وابن عمه كان بها وهو عبد الله بن كريز بن عامر وكان ذلك منهم ظاهرا وباطنا بخلافه كما تدل عليه الأخبار ويوضح عن صحة الحكم به الاعتبار ألا ترى أن طلحة والزبير وعائشة بإجماع العلماء بالسير والآثار هم الذين

كانوا أوكد السبب لخلع عثمان وحصره وقتله وأن أمير المؤمنين (ع) لم يزل يدفعهم عن ذلك (١) ويلطف في منعهم عنه ويبذل الجهد في إصلاح حاله مع المنكرين عليه، العائبين له; المحتجين عليه بأفعاله وأحداثه فمن أنكر ما ذكرناه أو شك في شئ مما وصفناه فهو بعيد عن علم الأخبار ناء عن معرفة السير والفتن والآثار ومكابر يحمل نفسه على جحد لا على اضطرار وهذا باب لا يحسن مكالمة الخصوم فيه إلا مع الإنصاف والاطلاع على ما جاءت به الأخبار ومخالطة العلماء من أهل الأخبار في الإسلام وأما من لا معرفة له بالروايات أو منقطع عنها إلى صناعة الكلام أو عامي له غفلة أو مترف مشغول باللذات فلا وجه لمجاراته في هذا الباب وأمثاله طرقه السمع والأخبار وسبيله ملاقاة الخاصة والعلماء والاستفادة مما عندهم من علمه على ما ذكرناه.

أسباب الخروج على عثمان:

فصل ونحن نثبت بتوفيق الله مختصرا من الأخبار فيما ذكرناه من كون طلحة والزبير وعائشة فيما صنعوه في أيام عثمان من أوكد أسباب ما تم عليه من الخلع والحصر وسفك الدم والفساد فمن ذلك ما رواه أبو حذيفة إسحاق بن بشر القرشي وأثبته في كتابه الذي صنفه في مقتل عثمان وكان هذا الرجل أعني أبا حذيفة من وجوه أصحاب الحديث المنتسبين إلى السنة والمباينين للشيعة يهتم فيما يروونه لمفارقة خصومه ولا يظن تخرصا فيما يجتنيه من جميع الأخبار، فقال حدثني محمد بن إسحاق عن الزهري لما قدم أهل مصر في ستمائة راكب عليهم عبد الرحمن بن عديس البكري فنزلوا ذا خشب وفيهم كنانة بن بشير

---

(١) في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ١ - ص ٢٥٦) كان عبيد الله بن عمر بن الخطاب يمدح عليا بأن لم يشترك في قتل عثمان.

الكناني وأبو عمر بن بديل بن ورقاء الخزاعي وأبو عروة الليثي واجتمع
معهم حكيم بن جبلة العبدي في طائفة من أهل البصرة وكميل بن زياد
ومالك الأشتر وصعصعة بن صوحان وحجر بن عدي في جماعة من
قراء الكوفة الذين كانوا سيرهم عثمان منها إلى الشام حين شكوا أحداثه
التي أنكرها عليه المهاجرون والأنصار (١) فاجتمع القوم على عيب
عثمان وجهروا بذكر أحداثه فمر بهم عمر بن عبد الله الأصم وزياد بن
النظر فقالا إن شئتم بلغنا عنكم أزواج النبي صلى الله عليه وآله فإن أمرنكم أن
تقدموا فاقدموا فقالوا لهما إفعلا واقصدوا عليا آخر الناس فانطلق
الرجلان فبدءا بعائشة وأزواج النبي بعدها ثم أنبئا أصحابه صلى الله عليه وآله
فأخبروهم الخبر فأمروهما أن يقدموا المدينة وصاروا إلى أمير المؤمنين
فأخبراه واستأذناه للقوم في دخول المدينة فقال لهما أتيتما أحدا قبلي؟
قالا نعم أتينا عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وآله بعدها وأصحابه من المهاجرين
والأنصار فأمروا أن يقدموا فقال علي لكني لا آمرهم إلا أن يستغيثوا
بمن قرب فإن أغاثهم فهو خير لهم وإن أبى فهم أعلم، فخرج الرجلان
إليهم جميعا وتسرع إليهم جماعة من المدينة واجتمعوا مع أهل حسب
وذو مروات فلما بلغ عثمان اجتماعهم أرسل إلى علي (ع) وقال:
أخرج يا أبا الحسن إلى هؤلاء القوم وردهم عما جاؤوا إليه.
فخرج إليهم فلما رأوه رحبوا به وقالوا له قد علمت يا أبا الحسن
ما أحدثه هذا الرجل من الأعمال الخبيثة وما يلقاه المسلمون منه ومن
عماله وكنا لقيناه واستعتبناه فلم يعتبنا وكلمناه فلم يصغ إلى كلامنا
وأغراه ذلك بنا وقد جئنا نطالبه بالاعتزال عن إمرة المسلمين واستأذنا
في ذلك الأنصار والمهاجرين وأزواج النبي أمهات المؤمنين فأذنوا لنا

----

(١) ذكر الطبري (ج ٥ ص ٨٥) وابن الأثير (ج ٣ ص ٥٣)
تسفير الجماعة إلى الشام وفي رسائل الخوارزمي ص ٧٧ إشارة إليه.

في ورود المدينة ونحن على ذلك، فقال لهم أمير المؤمنين يا هؤلاء تريثوا لا تسرعوا إلى شئ لا تعرف عاقبته فإنا كنا قد عتبنا على هذا في شئ وإنه قد رجع عنه فارجعوا; فقالوا هيهات يا أبا الحسن لا نقنع منه إلا بالاعتزال عن هذا الأمر ليقدم به من يوثق بإمامته، فرجع أمير المؤمنين إلى عثمان وأخبره بمقالتهم فخرج عثمان حتى أتى المنبر فخطب الناس وجعل يتكلم ويدعو إلى نصرته ودفاع القوم عنه فقام إليه عمرو بن العاص فقال يا عثمان إنك قد ركبت بالتهمة وقد ركبوها منك فتب إلى الله، فقال له عثمان وإنك لهاهنا يا بن النابغة (١) ثم رفع يده إلى السماء وقال أتوب إلى الله اللهم إني أتوب إليك; فأنفذ أمير المؤمنين (ع) إلى القوم بما جرى من عثمان وما صار إليه من التوبة والاقلاع فساروا إلى المدينة بأجمعهم وسار إليهم عمرو بن معدي كرب في ناس كثيرين فجعل يحرض على عثمان ويذكر إثرته فقال:

أما هلكنا ولا يبكي لنا أحد * قالت قريش ألا تلك المقادير
والحر في الصيف قد تدمي جوارحه * نعطي السوية مما أخلص الكير
نعطي السوية يوم الضرب قد علموا * ولا سوية إذ كانت دنانير

وانظم إليهم من المهاجرين طلحة والزبير وجمهور الأنصار على ذلك فخرج إليهم أمير المؤمنين (ع) فقال لهم يا هؤلاء اتقوا الله ما لكم وللرجل أما رجع عما أنكرتموه أما تاب على المنبر توبة جهر بها، ولم يزل عليه السلام يلطف بهم حتى سكنت فورتهم.

ثم سأله أهل مصر أن يلقاه في عزل عبد الله بن سعيد بن أبي سرح عنهم واقترح أهل الكوفة عزل سعيد بن العاص عنهم وسأل أهل النهروان أن يصرف ابن كريز عنهم ويعدل عما كان عليه من منكر

---

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١١١) وشرح النهج الحديدي (ج ١ - ص ١٦٣) ذكر إنكار عمرو، على عثمان وما قاله فيه.

الأفعال فدخل عليه أمير المؤمنين (ع) ولم يزل حتى أعطاه ما أراد القوم من ذلك وبذل لهم العهود والأيمان.
فخرج أمير المؤمنين إلى القوم بما ضمنه له عثمان ولم يزل بهم حتى تفرقوا فلما سار أهل مصر ببعض الطريق نظروا وإذا براكب على الطريق مسرع فلما دنا تأملوه فإذا هو غلام عثمان على ناقة من نوقه فاسترابوا به فقالوا له أين تذهب؟ فقال بعثني عثمان في حاجة له قالوا إلى أين بعثك؟ فارتج عليه وتلعثم في كلامه فنهروه وزبروه فقال أنفذني إلى مصر فقالوا فيما أنفذك؟ قال لا علم لي فزاد استرابهم فيه ففتشوه فلم يجدوا إلى معه شيئا فأخذوا أدواته ففتشوها وإذا فيها كتاب من عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح وهو إذا أتاك كتابي هذا فاضرب عنق عمرو بن بديل وعبد الرحمن البكري واقطع أيدي وأرجل علقمة وكنانة وعروة ثم دعهم يتشحطون في دمائهم فإذا ماتوا فأوقفهم على جذوع النخل.
فلما رأوا ذلك قبضوا على الغلام وعادوا إلى المدينة فاستأذنوا علي ابن أبي طالب (ع) ودفعوا إليه الكتاب ففزع عليه السلام لذلك فدخل على عثمان فقال إنك وسطتني أمرا بذلت الجهد فيه لك وفي نصيحتك واستوهبت لك من القوم فقال عثمان فماذا؟ فأخرج إليه الكتاب ففضه وقرأه فأنكره فقال له علي أتعرف الخط؟ قال الخط يتشابه، قال أتعرف الختم؟ قال الختم ينقش عليه، قال فهذا البعير الذي على باب دارك تعرفه؟ قال هو بعيري ولم آمر أحدا ولا يركبونه قال فغلامك من أنفذه؟ قال انفذ بغير أمري.
فقاله له أمير المؤمنين عليه السلام أما أنا فمعتزلك وشأنك وأصحابك وخرج من عنده ودخل داره وأغلق عليه بابه ولم يأذن لأحد من

القوم في الوصول إليه. (١)
وخرج إليهم طلحة والزبير وقالا لهم قد اعتزل علي بن أبي طالب وانتدبنا معكم على هذا الرجل فاجتمع القوم على حصره فلما علم أن القوم قد حصروه وحقق العزيمة على خلعه كتب إلى معاوية يستدعيه بجنود الشام، وكتب إلى عبد الله بن عامر يستدعيه بجنود البصرة وفارس لينتصر بهم ويدفعهم عن نفسه وعرف أهل مصر وأهل العراق والحجاز إنه قد استفز عليهم أهل الشام وشيعته من أهل البصرة وفارس وخوزستان فجدوا في حصاره وتولى ذلك منه طلحة والزبير ومنعاه الماء وضيقا عليه وكان طلحة على حرس الدار يمنع كل أحد يدخل إليه شيئا من الطعام والشراب ويمنع من في الدار أن يخرج عنها إلى غيرها (٢).
فصل: فهل يخفى على عاقل براءة أمير المؤمنين (ع) مما قرفوه به ناكثوا عهده من التأليب على عثمان والسعي في دمه مع ما رويناه من الحديث عمن سميناه، أم هل يرتاب عاقل فيما فعله طلحة والزبير فيما تولياه من حصر عثمان حتى آل ذلك إلى قتله وهما من بعده يقرفان عليا بما تولياه ويدعيان لأنفسهما البراءة بما صنعاه ويجعلان شبهتهما في استحلال قتاله عليه السلام دعوى الباطل المعروف بهتانا ممن ادعاه وهذا يكشف أن الأمر فيما ادعياه وأظهراه من الطلب بدم عثمان كان بخلافه على ما بيناه مما جاءت به الأخبار فيما تولاه طلحة والزبير في عثمان ما رواه أبو إسحاق جبلة بن زفر قال رأيت طلحة والزبير يرفلان في أدراعهما

---

(١) الطبري (ج ٥ - ص ١٠٧ إلى ص ١١٢).
(٢) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ١٢٢) وشرح النهج لابن أبي الحديد (ج ١ - ص ١٦٧) والعقد الفريد (ج ٢ - ص ٢٦٧) أن طلحة ممن أعان على عثمان وألب الناس عليه.

في عثمان ثم جائا من بعد إلى علي (ع) فبايعاه طايعين غير مكرهين ثم صنعا ما صنعا، وروى أبو حذيفة القرشي عن الحصين بن عبد الرحمان عن عمرو بن جاران عن الأحنف بن قيس قال قدمت المدينة وساق حديثا طويلا من أمر عثمان إلى أن قال لما لقيت الفتنة والناس قد اجتمعوا على حصر عثمان وهو على خطر فأتيت طلحة والزبير فقلت لهما ما أرى هذا الرجل إلا مقتولا فمن تأمراني أن أبايع وترضونه لي فقالا عليا فخرجت حتى أتيت مكة وبها عائشة فدخلت عليها فقلت إني لأحسب هذا الرجل مقتولا فمن تأمريني أن أبايع فقالت بايع عليا فقضيت حجتي ثم مررت بالمدينة وقد قتل عثمان فبايعت عليا ثم عدت إلى البصرة فإذا عائشة وطلحة والزبير قد جاؤنا يطلبون بدم عثمان ويأمروننا بقتال علي ابن أبي طالب فطال تعجبي من ذلك (١).

وروى أبو حذيفة عن رجاله أنه لما اجتمع الناس على عثمان أنفذوا إليه اخلع نفسك فقال لا أخلع سربالا سربلنيه الله (٢) وكتب إلى معاوية يستدعيه بجنود الشام وإلى عبد الله بن عامر بن كريز يستدعيه بجند البصرة وخرج عثمان حتى صعد المنبر فلما بدأ بالخطبة قال إليه رجل من الأنصار وقال له أقم كتاب الله يا عثمان فقال هو لك ثم أعادها ثانية فقال هو لك فأعادها ثالثة فقنع وأجلس فقام ناس من الأنصار فخلصوه وحصب عثمان بالحصى حتى سقط مغشيا عليه فحمله بنو أمية حتى أدخلوه الدار وجاءه علي (ع) يسأله عن خبره فثارت بنو أمية إليه بصوت واحد يا علي كدرت علينا العيش وعملت بنا العمل والله لئن بلغت الذي تريد لنخبثن عليك الدنيا فخرج علي مغضبا فقال القوم للعباس بن الزبرقان

---

(١) رواه ابن حجر الهيتمي في تطهير الجنان بهامش الصواعق المحرقة ص ١١٣ ط سنة ١٣١٢ ه والعقد الفريد (ج ٢ - ص ٢٨٢).

(٢) تاريخ الطبري (ج ٥ - ١١٨).

وكانت أخته تحت الحرث بن الحكم أخي مروان بن الحكم أتبع الرجل وقل له ما لك ولابن عمك فاتبعه وقال له ذلك فقال عليه السلام وهو مغضب فعل الله وفعل يجني ما يجني واسأل عن أمره واتهم مع ذلك أما والله لولا مكاني لأحتز الذي فيه عيني عثمان.

إنكار طلحة على عثمان:

ولما أبى عثمان أن يخلع نفسه تولى طلحة والزبير حصاره والناس معهما على ذلك فحصروه حصرا شديدا ومنعوه الماء وأنفذ إلى علي يقول إن طلحة والزبير قد قتلاني من العطش، والموت بالسلاح أحسن فخرج معتمدا على يد المسور بن مخرمة الزهري حتى دخل على طلحة بن عبيد الله وهو جالس في داره يسوي نبلا وعليه قميص هندي فلما رآه رحب به ووسع له على الوسادة فقال له علي عليه السلام إن عثمان قد أرسل إلي إنكم قد هلكتموه عطشا وإن ذلك ليس بالحسن والقتل بالسلاح أحسن وكنت آليت على نفسي أن لا أرد عنه أحدا بعد أهل مصر وأنا أحب أن تدخلوا عليه الماء حتى تروا رأيكم فيه، فقال طلحة لا والله لا ننعمه عينا ولا نتركه يأكل ولا يشرب، فقال علي (ع) ما كنت أظن أن أكلم أحدا من قريش فيردني دع ما كنت فيه يا طلحة فقال طلحة ما كنت أنت يا علي في ذلك من شئ فقام علي (ع) مغضبا وقال ستعلم يا بن الحضرمية أكون في ذلك من شئ أم لا ثم انصرف.

وروى أبو حذيفة بن إسحاق بن بشير القرشي أيضا قال حدثني يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال والله إني لأنظر إلى طلحة وعثمان محصور وهو على فرس أدهم وبيده الرمح يجول حول الدار وكأني أنظر إلى بياض ما وراء الدرع (١).

---

(١) في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٢ – ص ٤٠٤) كان طلحة يوم قتل عثمان مقنعا بثوب يرمي الدار بالسهام وإنه حمل الذين حاصروه إلى دار بعض الأنصار فتسوروا منها على عثمان فقتلوه والزبير يقول اقتلوه فقد بدل دينكم وإنه لجيفة على الصراط.

وروى أبو إسحاق قال لما اشتد الحصار بعثمان عمد بنو أمية على إخراجه ليلا إلى مكة وعرف الناس فجعلوا عليه حرسا وكان على الحرس طلحة بن عبيد الله وهو أول من رمى بسهم في دار عثمان، قال وأطلع عثمان وقد اشتد به الحصار وظمأ من العطش فنادى أيها الناس اسقونا شربة من الماء واطعمونا مما رزقكم الله فناداه الزبير بن العوام: يا نعثل لا والله لا تذوقه.

وروى أبو حذيفة القرشي عن الأعمش عن حبيب بن ثابت عن تغلبة بن يزيد الحماني قال أتيت الزبير وهو عند أحجار الزيت فقلت له يا أبا عبد الله قد حيل بين أهل الدار وبين الماء فنظر نحوهم وقال وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب فهذه الأحاديث في جملة كثيرة في هذا المعنى وهي كاشفة عما ذكرناه من أدغال القوم من التظاهر بطلب دم عثمان وهم تولوا سفكه ولم يظهر أحد منهم إلا الذم عليه، ولما بايع الناس عليا أظهروا الندم على ما فرط منهم وقرفوا بما صنعوا وأثاروا الفتنة التي رجع عليهم ما كانوا آملوه فيها منه وهو الظاهر منهم والباطن كان مخالفا للظاهر منهم فيما ادعوه بعثمان.

إنكار عائشة على عثمان:

فأما تأليب عائشة على عثمان فهي أظهر مما وردت به الأخبار من تأليب طلحة والزبير عليه، فمن ذلك ما رواه محمد بن إسحاق صاحب السيرة عن مشايخه عن حكيم بن عبد الله قال دخلت يوما بالمدينة إلى المسجد فإذا كف مرتفعة وصاحب الكف يقول: أيها الناس العهد قريب هذان نعلا رسول الله (١) وقميصه وكأني أرى ذلك القميص

---

(١) في الأغاني (ج ٤ - ص ١٧٨) أن جماعة من أهل الكوفة شهدوا على الوليد بن عتبة وأخافهم عثمان فاستجاروا بعائشة فأخرجت نعل رسول الله إلى المسجد تقول:
ترك عثمان سنة صاحب هذا النعل.

يلوح تقول وإن فيكم فرعون هذه الأمة فإذا هي عائشة وعثمان يقول لها اسكتي ثم يقول للناس إنها امرأة وعقلها عقل النساء فلا تصغوا إلى قولها، وروى الحسن بن سعد قال رفعت عائشة ورقة من المصحف بين عودتين من وراء حجلها وعثمان قائم ثم قالت يا عثمان أقم ما في هذا الكتاب فقال لتنتهين عما أنت عليه أو لأدخلن عليك جمر النار فقالت له عائشة أما والله لئن فعلت ذلك بنساء النبي يلعنك الله ورسوله وهذا قميص رسول الله لم يتغير وقد غيرت سنته يا نعثلي (١).

وروى الليث بن أبي سليمان عن ثابت الأنصاري عن ابن أبي عامر مولى الأنصار قال كنت في المسجد فمر عثمان فنادته عائشة يا غدر يا فجر أخفرت أمانتك وضيعت رعيتك ولولا الصلاة الخمس لمشى إليك الرجال حتي يذبحوك ذبح الشاة فقال عثمان: (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين).

وروى محمد بن إسحاق والمدايني وحذيفة قال لما عرفت عائشة أن الرجل مقتول تجهزت إلى مكة جاءها مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فقالا لها إنا لنظن أن الرجل مقتول وأنت قادرة على الدفع عنه فإن تقيمي يدفع الله بك عنه قالت ما أنا بقاعدة وقد قدمت ركابي وغريت غرائري وأوجبت الحج على نفسي فخرج من عندها مروان

---

(١) في كامل ابن الأثير (ج ٣ – ص ٨٠) والنهاية (ج ٤ – ص ١٦٦) بمادة نعثل وتاج العروس إن عائشة سمت عثمان نعثلا وهو أما رجل يهودي أو الشيخ الأحمق أو رجل طويل اللحية بمصر.

يقول: (زخرف قيس على البلاد حتى إذا اضطربت) فسمعته عائشة فقالت: أيها المتمثل هلم قد سمعت ما تقول أتراني في شك من صاحبك والله لوددت أنه في غرارة من غرايري حتى إذا مررت بالبحر قذفته فيه فقال مروان قد والله تبنيت قد والله تبنيت قال فسارت عائشة فاستقبلها ابن عباس بمنزل يقال له الصلعاء وابن عباس يريد المدينة فقالت يا بن عباس إنك قد أوتيت عقلا وبيانا وإياك أن ترد الناس عن قتل الطاغية، وهذه أيضا جملة من كثير ورد بها أخبار في تأليب عائشة على عثمان والسعي في دمه اقتصرنا عليها كراهة الإملال بالتطويل وفيها أوضح دليل على أن تظاهرها من بعد بطلب دمه ومباينة أمير المؤمنين عليه السلام وجمع الجموع لحربه والاجتهاد في نقض عهده وأمرها بسفك دمه لم يكن الباطن فيه كالظاهر بل كان لغير ذلك فيما اشتهر عند المعتبرين لأعمال القوم قديما وحديثا وأغراضهم في الأفعال وما فيه من يصرح القول عنهم في عداوتها له (ع) فليتأمل أولو الأبصار بما رويناه وليمعن النظر فيما ذكرناه ويجد الأمر فيه على ما وصفناه والله المستعان.

ندم طلحة والزبير من البيعة:

فصل: قد قدمناه من القول فيما كان قد عمد عليه طلحة والزبير في خلاف أمير المؤمنين (ع) والمباينة له والتحيز عنه وهو لما كرها ولايته وأنكرا إمرته ولم يؤثرا من الناس بيعته لما كانا عليه من الطمع في الولاية للأمر دونه والتأمر على الناس بذلك وفاتهم منه ما أملاه وندما على إفراطهما فيما صنعاه مع التسخير لهما من الله تعالى في بذل بيعتهما له (ع) طوعا واختيارا سنح لهما الاعتلال في تسويغ خلافهما له بدعوى إكراهه لهما على البيعة فتعلقا بذلك وجعلاه حجة لهما في خلافه

فظن به تمام الشبهة التي قصداها بعمد الأمر على الجهل فلما وضح لهما
تهافت ما اعتمداه من ذلك بظهور اختيارهما لبيعته وإيثارهما لتقدمه عليهما
والرضا بإمامته واشتهر ذلك عند الكافة من الخاصة والعامة وعلما أنه
لا حجة لهما في دفع الظاهر بدعوى الباطن وأنه لو تم لهما التلبيس بدعوى
الكراهة الباطنية لم تتم لهما حجة لأنه لا يسع أحد كراهة بيعة المحق ولا
يسوغ لأحد خلاف المهاجرين والأنصار في الرضا بما يجتمعون عليه
من الرضا بإمامة المرتضى عليه السلام في ظاهر الحال فكيف بمن يرضى
برضاء الله له في الباطن والظاهر على كل حال ولأنهما لم يجدا شبهة
يتعلقان بها في كراهة إمامة أمير المؤمنين (ع) مع جمعه للفضل وتقدم
الإيمان والذب عن الإسلام والجهاد في الدين والبلاء الحسن مع الرسول
والعلم الظاهر الذي لا يختلف فيه اثنان من العلماء مع الزهد في الدنيا
والورع عن محارم الله وحسن التدبير وصواب الرأي والرحم الماسة
منه برسول الله صلى الله عليه وآله وما كان سنه فيه من الأمور الدالة على استحقاقه
التقدم على كافة الأنام من الأمة فلم يول عليه واليا قط ولا أنفذه في
سرية إلا وهو أميرها وسيدها ورئيسها وقائدها وعظيمها وإنه لم
يفسد أحد على عهد النبي أمرا إلا ندبه إليه فقوي تلافي فارطه به (ع)
وكان الأمر إذا أعضل في شئ ناطه به وأنجزه وكفى به وأغناه
ورفع إليه من بعده صلى الله عليه وآله من تقدمه في مقامه عند معضل
الأمور فاستعلموا منه ما كان خافيا عليهم من أحكام الملة وصواب
التدبير في مصالح الأمة فعلم طلحة والزبير أن التعلق في خلافه بكراهة البيعة
شبهة داحضة لا يثبت لهما به حجة عند أحد من الفضلاء والعقلاء وإنه
لو ثبت ما ادعياه من إكراههما على البيعة لكان أسوء لحالهما عند الأمة
ولكان له (ع) في حكم الشريعة ذلك إذ للإمام القهر على طاعته
والإكراه على الإجابة إلى ما يلزم للأمة كف الفتنة وشمول المصلحة

فلما علم الرجلان ذلك ووضح لهما ما ذكرناه في معانيه ولم يكونا ممن يخيل عليهما فساد الدعوى لما ادعياه وقصورهما عن غرضهما فيه: عدلا إلى التظاهر بطلب دم عثمان وزعما أن الذي كان منهما قد بانا منه وادعيا إن التوبة لا تصلح أن تتم لهما إلا ببذل الجهد في طلب قاتليه والاقتصاص من ظالميه فاشتبه الأمر بما سارا إليه مما ذكرناه عنهما على المستضعفين واستغويا به كثيرا من العامة البعداء عن فقه الدين وسلكت عائشة في خلافها لأمير المؤمنين (ع) مسلكها في ذلك فتظاهرت به من الطلب بدم عثمان والاقتصاص من قاتله ومعلوم في شريعة المسلمين أن ذلك ليس لهما ولا إليهما وإنهما فيما تكلفاه منه على شبهة باطلة عند الناظرين لأنهما لم يكونا أولياء لدم عثمان ولا بينه وبينهما نسب يسوغهما للتخاصم في دمه.

المرأة والحجاب:

ولا إلى النساء أيضا الدخول في شئ من ذلك على وجه من الوجوه إذ ليس عليهن جهاد ولا لهن أمر ولا نهي في البلاد والعباد مع ما خص به الله أزواج النبي في الحكم المضاد ولما صنعته هذه المرأة وتبينت فيه بالخلاف فيه للدين وقص الله تعالى في محكم التنزيل حيث يقول جل اسمه: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن) وفرض عليهن سبحانه التحصن والتجلبب ولا يتعرفن إلى أحد فجاء بضد ذلك من التبرج وهتك الحجاب واطراح الجلباب وإظهار الصورة وإبداء الشخص والتهتك بين العامة فيما لا عذر لها فيه مع ما ارتكبته من قتال ولي الله الذي فرض عليها إعظامه وإجلاله وأوجب عليها طاعته وحرم عليها معصيته وسفكت فيما صنعت دماء المؤمنين وأثارت الفتنة التي شانت بها المسلمين وأنى يواطئ ذلك ما أمرها الرسول به في الحديث المشهور

دخل ابن أم كلثوم وهو أعمى على النبي صلى الله عليه وآله فقال لها قبل دخوله ادخلي الخباء يا عائشة فاستتري به من هذا الرجل فقالت يا رسول الله إنه أعمى ولن يراني فقال صلى الله عليه وآله إن لم يراك فإنك ترينه (١).

وقال سبحانه فيما أدب به أصحاب نبيه: (يا أيها الذين آمنوا
لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إنائه
ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث
إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق
وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن
وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا
إن ذلكم كان عند الله عظيما) (٢).

فبين الله عز اسمه أن خطاب المؤمنين من أصحابه لأزواج نبيه يؤذيه وإن الانبساط لهن يشق عليه ويؤلمه وصانهن لصيانته واحتراسه فنهى أن يأنس بهن أحد أو يسألهن متاعا إلا من وراء حجاب ونهى عن اللبث في بيته بعد نيل الحاجة من طعامه وغير ذلك لئلا يطول مقامهم فيه فتأنس أزواجه بهم أو يأنسون بكلامهن فكيف هذا يوافق لما فعلته المرأة من مخالطتها للقوم ومسافرتها معهم وإطالة النجوى لهم وكونها بمحمل من لا يحتشم في خطاب ولا كلام ولا أمر

---

(١) مثل هذا الحديث ما رواه الخازن في تفسيره (ج ٥ ص ٥٧) والبغوي في تفسيره بهامشه كلاهما عن الترمذي وأبي داود عن أم سلمة قالت: كنت وميمونة بنت الحرث إذا أقبل ابن أم كلثوم فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك بعد ما نزل الأمر بالحجاب فقال رسول الله احتجبا منه فقلنا إنه أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال صلى الله عليه وآله أفعمياوتان أنتما ألستما تبصرانه.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٣.

ونهى ويؤنس بها في كل حال وتصير بذلك كأمير العسكر وقائد الجيش الذي لا يتمكن من الاستخفاء عن أصحابه بحال وإن هذا لعجيب عند من فكر فيه، والحكم بالعصيان لله عز وجل والاطراح والاستخفاف بنواهيه غير مشكل على كل ذي عقل ومن اشتبه عليه ضلالها فهو يعد من الأموات هذا مع قول الله عز وجل: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وعند كل ذي لب عرف الشرع ودان بالإسلام إن أزواج عثمان وبناته وبنات عمه من بني أمية الذين هم أمس رحما من عائشة لو كلفن ما تكلفن للقتال وإن كن عاصيات خارجات عن شريف الإسلام فما ظنك بالبعيدة نسبا النائية عنه عقلا ومذهبا المقرفة على قتله الساعية في دمه الداعية إلى خلعه المانعة عن نصرته وما الذي أحدثه بعد إنكارها عليه مما يوجب رجوعها عما كانت عليه معتقدة فهل تراه أحدث عملا صالحا بعد قتله أو أحياه الله لها فسألها نصرته أم أوحى الله إليها من باطن أمره ما كان مستورا عنها، كلا. لكن الأمر فيما قصدته من حرب أمير المؤمنين (ع) وتظاهرت عليه به من عداوته كان أظهر من أن تخفيه بالعلل والأباطيل وقد أجمع أهل النقل عنها على ما ذكرناه في باطن الأمر وأوضحناه في وجوه الحجاج وبيناه.

عائشة تبغض عليا:

فصل: فمن ذلك ما رواه كافة العلماء عنها إنها كانت تقول: لم يزل بيني وبين علي من التباعد ما يكون بين بنت الإحماء، وقالت في خبرها عن قصة الذين رموها بصفوان بن المعطل وما كان منها في غزوة بني المصطلق وهجر رسول الله لها وإعراضه عنها واستشارته في أسامة بن

زيد قالت وكان عبدا صالحا مؤمنا وذكر له قذف القوم بصفوان فقال له أسامة لا تظن يا رسول الله إلا خيرا فإن المرأة مأمونة وصفوان عبد صالح ثم استشار عليا عليه السلام فقال له يا رسول الله النساء عليك كثيرة سل عن الخبر بريرة خادمتها وابحث عن سر خبرها منها فقال له رسول الله فتول أنت يا علي تقريرها فقطع لها علي (ع) خشبا من النخل وخلا بها يسألها ويتهددها ويرهبها لا جرم إني لا أحب عليا أبدا (١).

فهذا تصريح منها ببغضها له ومقتها إياه ولم يكن منه ذلك عليه السلام إلا النصيحة لله ولرسوله واجتهاده في الرأي ونصحه وامتثاله لأمر النبي صلى الله عليه وآله ومسارعته لطاعته.

ومن ذلك ما رواه كافة العلماء من حديث عكرمة وابن عباس وإن عكرمة أخبره عن حديث حدثته عائشة في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله الذي توفى فيه حتى انتهت من ذلك إلى قولها فخرج رسول الله متوكئا على رجلين من أهل بيته أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر فقال

---

(١) روى المفسرون وأرباب الحديث قصة الإفك النازل فيها قوله تعالى: (إن الذين جاؤوا بالإفك) الآية. وارتاحوا لتنزيه (صاحبة الجمل) عما قيل فيها، روى ذلك البخاري (ج ٣ – ص ٣٣) ومسلم (ج ٢ – ص ٤٥٥) والخازن في تفسيره (ج ٥ – ص ٤٦) والبغوي بهامشه وابن جرير الطبري في التاريخ (ج ٣ – ص ٦٧) بالإسناد إلى عروة بن الزبير عن عائشة وإلى سعيد بن المسيب عنها وإلى علقمة بن وقاص عنها وإلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عنها فالمصدر لنقل الحديث عائشة فقط وأصبحت هذه الإشاعة حديث أندية المدينة ؟ ذلك نبي الله صلى الله عليه وآله لأنه لم يتفق ومقامه الطافح بالعظمة القدسية وهنا يقول ابن العربي الأندلسي في أحكام القرآن (ج ٢ – ص ٩٤) شاور النبي صلى الله عليه وآله أسامة بن زيد وعليا (ع) في أمرها فقال له أمير المؤمنين إن الله تعالى لم يضيق عليك والنساء كثير فاسأل الجارية تصدقك،

هذا كل ما في علبة القوم وما أدري ولا المنجم يدري كيف تغافل المسلمون عن نقل هذا الحادث الشائع الذي نزل القرآن في افتضاح من أشاعه فلم يذكر أحد ما روته عائشة وانفردت بنقله مع شدة حرصهم على حفظ ما لا أهمية له من الحوادث، أكلهم تواصوا بالكتمان والعادة تبعده أم أن للقصة تخريجا آخرا ولم تكن بذلك الظهور.

نعم، أوقفنا الشيخ الجليل الثبت علي بن إبراهيم القمي من علماء القرن الثالث على حقيقة سترتها الأحقاد فروى في تفسيره (ص ٤٥٣) عن رجال أجلاء ثقات عن زرارة بن أعين قال سمعت الباقر (ع) يقول لما مات إبراهيم بن رسول الله حزن عليه النبي صلى الله عليه وآله فقالت له عائشة

ما الذي يحزنك عليه إنه ابن جريح القبطي فبعث النبي عليا ليقتله
فخاف منه جريح فتسلق نخلة في بستان فانكشف ثوبه فإذا ليس
له ما للرجال فرجع علي (ع) إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بما رأى فقال
صلى الله عليه وآله الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت ثم نزلت هذه الآية:
(إن الذين جاؤوا بالإفك) وفي ص - ٦٤٠ - من التفسير روى عن
الصادق أن رسول الله كان عالما بكذبها ولكنه أراد أن يدفع القتل
عن جريح وترجع المرأة عن ذنبها.
وفي شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٢ - ص ٤٥٧) كانت
لعائشة جرأة على رسول الله حتى كان منها في أمر مارية ما كان من
الحديث الذي أسرته إلى الزوجة الأخرى وأدى إلى تظاهرهما عليه فنزل
فيهما قرآنا يتلى في المحاريب يتضمن وعيدا غليظا عقيب تصريح
بوقوع الذنب.
ولم تخف هذه الظاهرة على شيخنا المفيد ولكنه مشى في نقل القصة
عنها مع المؤرخين ليسجل عليها اعترافا بالمباينة لأمير المؤمنين التي
لا يستحق فيها شيئا جاء به من قبل نفسه وإنما هو ممتثل أمر رسول الله
في تعقيب المرأة لتعترف بالحقيقة ويستبين الحال.

عبد الله بن العباس لعكرمة فلم تسم لك الآخر قال لا والله ما سمته فقال أتدري من هو؟ قال لا، قال ذلك علي بن أبي طالب وما كانت والله أمنا تذكره بخير وهي تستطيع.
والرواية المشهورة عن ابن عباس حين أنفذه أمير المؤمنين (ع)
إلى عائشة وهي بالبصرة نازلة في قصر ابن خلف يأمرها بالرحيل إلى وطنها والرجوع إلى بيتها والحديث مشهور مثبت في كتب (الجمل) وغيرها أن ابن عباس قال لها إن أمير المؤمنين يأمرك أن ترتحلي إلى بيتك فقالت رحم الله أمير المؤمنين وإن تربدت له وجوه ورغمت له معاطس، هذا مع الأخبار التي لا ريب فيها ولا مرية في صحتها لاتفاق الرواة عليها أنها لما قتل أمير المؤمنين جاء الناعي فنعى أهل المدينة فلما سمعت عائشة بنعيه استبشرت وقالت متمثلة:

فإن يك ناعيا فلقد نعاه * لنا من ليس في فيه التراب
فقالت لها زينب بنت أبي سلمى ألعلي تقولين؟ فتضاحكت ثم قالت أنسى فإذا نسيت فذكروني ثم خرت ساجدة شكرا على ما بلغها من قتله ورفعت رأسها وهي تقول (١).
فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر
هذا وقد روي عن مسروق أنه قال دخلت عليها فاستدعت غلاما باسم عبد الرحمن قالت عبدي قلت لها فكيف سميتيه عبد الرحمن قالت حبا لعبد الرحمن بن ملجم قاتل علي.

----
(١) البيتان في تاريخ الطبري (ج ٦ ص ٨٧).

والخبر مشهور أنه لما بعث إليها أمير المؤمنين بالبصرة أن ارتحلي عن هذه البلدة قالت لا أريتم مكاني هذا فقال لها أمير المؤمنين أم والله لترتحلين أو لأبعثن إليك نسوة من بكر بن وائل يأخذنك بشفار حداد فقالت لرسوله ارتحل فبالله أحلف ما كان مكان أبغض إلي من مكان يكون هو فيه، وأمثال هذا مما لو أثبتناه لطال به الكتاب ومما يؤكد ما ذكرناه من أن غرض القوم كان في مباينة أمير المؤمنين (ع) ومظاهرته بالخلاف وأنه لم يكن لإقامة حق واجتهاد ورأي في إصابة طاعة وحوز مثوبة بل كان لضغاين بينه وبينهم لأسباب سالفة وآنفة أو طمع في عاجل أو حسد له وبغي عليه.

عائشة تفرح وتحزن:

وإن حكم المرأة لما ذكرناه ظاهر لذوي الاعتبار، وما أجمع على نقله رواة الآثار، ونقلة السير والأخبار أنه لما قتل عثمان بن عفان خرج البغاة إلى الآفاق فلما وصل بعضهم إلى مكة سمعت بذلك عائشة فاستبشرت بقتله وقالت قتلته أعماله إنه أحرق كتاب الله وأمات سنة رسول الله فقتله الله (١) ومن بايع الناس؟ فقال لها الناعي لم أبرح المدينة حتى أخذ طلحة بن عبد الله نعاجا لعثمان وعمل مفاتيح لأبواب بيت المال ولا شك أن الناس قد بايعوه فقالت أي هذا الأصيبع وجدوك لها محسنا وبها كافيا ثم قالت شدوا رحلي فقد قضيت عمرتي لأتوجه إلى

---

(١) في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٢ – ص ٤٦٠) كانت عائشة أشد الناس عليه تأليبا وتحريضا فلما سمعت بقتله قالت أبعده الله وأملت أن تكون الخلافة في طلحة فتعود الإمرة تيمية فلما سمعت أن البيعة تمت لعلي (ع) صاحت واعثماناه قتل عثمان مظلوما، ونقل ذلك عن شيخه المعتزلي أبي يعقوب يوسف اللمعاني.

منزلي فلما شدوا رحالها واستوت على مركبها سارت حتى بلغت (سرفا) موضع معروف بهذا الاسم لقيها إبراهيم بن عبيد بن أم كلاب فقالت ما الخبر؟ فقال قتل عثمان قالت قتل نعثل؟ ثم قالت أخبرني عن قصته وكيف كان أمره؟ فقال لها أحاط الناس بالدار وبه ورأيت طلحة بن عبد الله قد غلب على الأمر واتخذ مفاتيح على بيوت الأموال والخزائن وتهيأ ليبايع له فلما قتل عثمان مال الناس إلى علي بن أبي طالب (ع) ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره وخرجوا في طلب علي يقدمهم الأشتر ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر رحمه الله حتى أتوا عليا وهو في بيت سكن فيه فقالوا له بايعنا على الطاعة لك فتفكر ساعة فقال الأشتر يا علي أن الناس لا يعدلون بك غيرك فبايع قبل أن تختلف الناس.

قال وكان في الجماعة طلحة والزبير فظننت أن سيكون بين طلحة والزبير وعلي كلام قبل ذلك فقال الأشتر لطلحة قم يا طلحة فبايع ثم قم يا زبير فبايع فما تنتظران فقاما فبايعا وأنا أرى أيديهما على يد علي يصفقانهما ببيعته ثم صعد علي بن أبي طالب المنبر فتكلم بكلام لا أحفظه إلا أن الناس بايعوه يومئذ على المنبر وبايعوه من الغد فلما كان اليوم الثالث خرجت ولا أعلم ما جرى بعدي.

فقالت يا أخا بني بكر أنت رأيت طلحة بايع عليا؟ فقلت إي والله رأيته بايعه وما قلت إلا رأيت طلحة والزبير أول من بايعه فقالت إنا لله أكره والله الرجل وغصب علي بن أبي طالب أمرهم وقتل خليفة الله مظلوما ردوا بغالي ردوا بغالي فرجعت إلى مكة.

قال وسرت معها فجعلت تسألني في المسير وجعلت أخبرها ما كان فقالت لي هذا بعهدي وما كنت أظن أن الناس يعدلون عن طلحة مع بلائه يوم أحد قلت فإن كان بالبلاء فصاحبه الذي بويع ذو بلاء وعناء فقالت يا أخا بني بكر لا تسلك غير هذا فإذا دخلت مكة وسألك لناس ما رد

أم المؤمنين فقل القيام بدم عثمان والطلب به.
وجاءها يعلى بن منبه فقال لها قد قتل خليفتك الذي كنت تحرضين على قتله فقالت برأت إلى الله ممن قتله.
قال الآن; ثم قال لها اظهري البراءة ثانيا من قاتله فخرجت إلى المسجد فجعلت تتبرء ممن قتل عثمان، وهذا الخبر يصرح مضمونه عما ذكرناه من أنها لم تزل مقيمة على رأيها في استحلالها دم عثمان حتى بلغها أن أمير المؤمنين قد بويع وبايعه طلحة والزبير فقلبت الأمر وأظهرت ضد الذي كانت عليه من الرأي وأنه لو تم الأمر لطلحة لأقامت ما كانت عليه وإن طلحة والزبير كانا في الأول على عثمان وإنما رجعا عنه لما فاتهما مما كانا يأملانه من ذلك ولم يرجعا عنه لما أظهراه من بعد الندم على قتل عثمان والدعاء إلى قتله ولا رجعا عنه استبصارا بضلالة ما كانا يأملانه في ذلك وإن الذي ادعته الحشوية لهم من اجتهاد الرأي. باطل ومنحل وإن دعوى المعتزلة في الشبهة عليهما فيما صارا إليه من خلاف أمير المؤمنين عليه السلام ليس بصحيح.
بل الحق في ذلك ما ذهبت إليه الشيعة في تعمدها خلافه وأسباب ذلك العداوة له والشنئان مع الطمع في الدنيا والسعي في عاجلها والميل للتأمر على الناس والتملك لأمرهم وبسط اليد عليهم وإن الرجلين خاصة لما أيسا من نيل ما طمعا فيه من الأمر فوجدا الأمة لا تعدل بأمير المؤمنين أحدا وعرفا رأي المهاجرين والأنصار فمن أرادا الحظوة عنده بالبدار إلى بيعته وظنا بذلك شركاه في أمره فلما استويا بالحال من بعد وصح لهما رأيه (ع) وتحققا أنهما لا يليان معه أمرا فامتحنا ذلك مع ما غلب في ظنهما مما ذكرناه بأن صارا إليه بعد استقرار الأمر ببيعة المهاجرين والأنصار وبني هاشم وكافة الناس إلا من شذ من بطانة عثمان وكانوا على خفاء لأشخاصهم مخافة على دمائهم من أهل الإيمان

فصارا إلى أمير المؤمنين فطلب منه طلحة ولاية العراق وطلب منه
الزبير ولاية الشام فأمسك علي عن إجابتهما في شئ من ذلك فانصرفا
وهما ساخطان وقد عرفا ما كان غلب في ظنهما قبل من رأيه (ع)
فتركاه يومين أو ثلاثة أيام ثم صارا إليه واستأذنا عليه فأذن لهما وكان
في علية داره فصعدا إليه وجلسا عنده بين يديه وقالا يا أمير المؤمنين قد
عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدة وقد جئناك لتدفع إلينا
شيئا نصلح به أحوالنا ونقضي به حقوقا علينا فقال عليه السلام قد عرفتما
مالي (بينبع) فإن شئتما كتبت لكما منه ما تيسر فقالا لا حاجة لنا في مالك
(بينبع) فقال لهما ما أصنع؟ فقالا له أعطنا من بيت المال شيئا لنا فيه
كفاية فقال سبحان الله وأي يد لي في بيت المال وذلك للمسلمين وأنا
خازنهم وأمين لهم فإن شئتما رقيتما المنبر وسألتما ذلك ما شئتما فإن أذنوا فيه
فعلت وأنى لي بذلك وهو لكافة المسلمين شاهدهم وغائبهم لكني أبدي لكما
عذرا فقالا ما كنا بالذي نكلف ذلك ولو كلفناك لما أجابك المسلمون
فقال لهما ما أصنع؟ قالا قد سمعنا ما عندك ثم نزلا من العلية وكان في
أرض الدار خادمة لأمير المؤمنين سمعتهما يقولان والله ما بايعنا بقلوبنا
وإن كنا بايعنا بألسنتنا فقال أمير المؤمنين عليه السلام (إن الذين
يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على
نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) فتركاه يومين
آخرين وقد جائهما الخبر بإظهار عائشة بمكة ما أظهرته من كراهة أمره
وكراهة من قتل عثمان والدعاء إلى نصره والطلب بدمه وأن عمال
عثمان قد هربوا من الأمصار إلى مكة بما احتجبوه من أموال المسلمين
ولخوفهم من أمير المؤمنين ومن معه من المهاجرين والأنصار وأن
مروان بن الحكم بن عم عثمان ويعلى بن منبه خليفته وعامله كان باليمن
وعبد الله بن عامر بن كريز ابن عمه وعامله على البصرة وقد

اجتمعوا مع عائشة وهم يدبرون الأمر في الفتنة، فصار إلى أمير المؤمنين عليه السلام وتيمما وقت خلوته فلما دخلا عليه قالا يا أمير المؤمنين قد استأذناك للخروج في العمرة لأنا بعيدان العهد بها إئذن لنا فيها فقال والله ما تريدان العمرة ولكنكما تريدان الغدرة، وإنما تريدان البصرة فقالا اللهم غفرا ما نريد إلا العمرة فقال عليه السلام احلفا لي بالله العظيم إنكما لا تفسدان علي أمر المسلمين ولا تنكثان لي بيعة ولا تسعيان في فتنة فبذلا ألسنتهما بالأيمان المؤكدة فيما استحلفهما عليه من ذلك فلما خرجا من عنده لقيهما ابن عباس فقال لهما إذن لكما أمير المؤمنين؟ قالا نعم.

فدخل على أمير المؤمنين فابتداه عليه السلام فقال يا ابن عباس أعندك الخبر قال قد رأيت طلحة والزبير فقال (ع) إنهما استأذناني في العمرة فأذنت لهما بعد أن استوثقت منهما بالأيمان أن لا يغدرا ولا ينكثا ولا يحدثا فسادا والله يا ابن عباس وإني أعلم أنهما ما قصدا إلا الفتنة فكأني بهما وقد صارا إلى مكة ليسعيا إلى حربي فإن يعلى بن منبه الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفق ذلك وسيفسدان هذان الرجلان علي أمري ويسفكان دماء شيعتي وأنصاري.

قال عبد الله بن عباس إذا كان ذلك عندك يا أمير المؤمنين معلوما فلم أذنت لهما وهلا حبستهما وأوثقتهما بالحديد وكفيت المسلمين شرهما.

فقال له عليه السلام يا ابن عباس أتأمرني بالظلم أبدأ وبالسيئة قبل الحسنة وأعاقب على الظنة والتهمة وأوآخذ بالفعل قبل كونه كلا والله لا عدلت عما أخذ الله علي من الحكم والعدل ولا ابتدأ بالفصل. يا ابن عباس إنني أذنت لهما وأعرف ما يكون منهما، ولكني استظهرت بالله عليهما والله لأقتلنهما ولأخيبن ظنهما ولا يلقيان من الأمر مناهما وأن الله يأخذهما بظلمهما لي ونكثهما بيعتي وبغيهما علي وهذا الخبر والذي تقدم مع ما ذكرناه من وجودهما في أثر مصنفات أصحاب السيرة وقد أورده

أبو مخنف لوط بن يحيى في كتابه الذي صنفه في حرب الجمل وجاء به الثقفي عن رجال الكوفيين، والشاميين، وغيرهم ولم يورد أحد من أصحاب الآثار نقيضه في معناه ولا ثبت ضده في فحواه، ومن تأمل ذلك علم أن القوم لم يكونوا فيما صنعوه على جميل طوية في الدين ولا للمسلمين، وإن الذي أظهروه من الطلب بدم عثمان إنما كان تشبيها وتلبيسا، على العامة والمستضعفين ولولا ما جعلوه من شعارهم بدعوى الانتصار بعثمان، والتظاهر بتظليم قاتليه وخاذليه والندم على ما فرط منهم فيه لما اختلف اثنان من العلماء وأتباعهم في صواب رأي المسلمين مما كان في عثمان وأنهم إنما اجتمعوا على خلعه وقتله باستحقاقه ذلك بالأحداث التي أحدثها في الدين ولكنهم ضلوا بما أظهروه وأفسدوا إفسادا عظيما بما أظهروه، ولم يثر المستضعفين في هذا الباب إلا لنأيهم عن معرفة الأخبار وتدبر الآثار واشتبه الأمر فيه على جماعة النظار بجهلهم بما أثبتناه في ذلك من الحديث، وبعدهم عن معرفة طرقه ولعل جمهورهم لم يسمع بشئ منه فضلا عن تدبره وكل من ضل عن سبيل الحق إنما ضل بالتقليد، وحسن الظن بمن لا يحسب حسن الظن لله فيه واعتقاد فضل من قد خرج عنه بسوء الرأي، وطريق الإنصاف، فيما ذكرناه والنظر فيما وصفناه والتأمل لما أثبتناه من الأخبار فيه وشرحناه والرجوع إلى أهل السير وإلى اختلافهم في الآراء والمذهب وإلى كتبهم المصنفة في الفتن تعرف ذلك منهما ومن تدبر الأمر يجده على ما وصفناه والله ولي التوفيق.

براءة أمير المؤمنين من الدم:

باب آخر في القول فيما يتصل بالمقدم من الكلام في معانيه ثم قد اشتبه الأمر في رأي أمير المؤمنين عليه السلام ومذهبه في حصر عثمان

وقتله وتشعب أقوال المختلفين في ذلك، فلم أحد أحدا من متكلمي
أصحابنا الإمامية حصر القول في ذلك، ولا كلاما في معناه يوضح
عن الغرض الملتبس على العقلاء وكان كل فريق عدا الإمامية من أهل
القبلة يقولون في ذلك بظن أو ترجيم، ولا يضع يده في شئ منه على
معرفة ويقين، والذي تدل الدلائل عليه من رأي أمير المؤمنين (ع)
فيما صنعه القوم بعثمان من الحصار ومطالبته بالخلع، ومنعه الطعام
والشراب، لعدم الإجابة لهم على ما دعوه إليه من اعتزال الأمر ثم
الهجوم عليه بالقتل وإلقائه على بعض المزابل لا يريدون الصلاة عليه
ولا الدفن له ويمنعون من ذلك على ما أجمعت عليه رواة الآثار والأخبار
والمتفق على صحته العلماء بالسير من الآثار فقد كره (ع) لجملة من ذلك
واعتزل القوم فيه غير أنه لم يواطئ على كراهة غيره، على نيته فيه ولا
وافق سواه من مخالفيه على طويتهم في معناه، وذلك أنه عليه السلام
لم يشرع مع القوم في دعاء عثمان إلى الاعتزال، ولا رأى ما رأوه من
حصاره وما ولي ذلك من أفعالهم به وأنه عليه السلام علم عاقبة الأمر
في ذلك وتحققها ولم يخف عليه ما يكون في مستقبل الأوقات في الفتنة
بذلك، والاختلاف والحروب، وسفك الدماء، فإن مخالفيه لقديم
العداوة له والبغضاء منهم له (ع) والشنئان والحسد والبغي عليه
بالطغيان سيقرفونه بقتل عثمان، والسعي في دمه بهتانا له في ذلك على
ما ذكرناه من الظغناء في الدين البعداء عن علمه، ولم يصر إلى الاعتزال
مما صنعه القوم بالرجل لولائه ولاعتقاد الجميل فيه، وكيف يكون
اعتزاله لهم فيما رأوه من خلعه وحصره وقتله واعتقاد الحق له عليهم
وثبوت إمامته بحكم الله في ذلك كما ظنه أولياء الرجل وهو عليه السلام
يعلم أنه مظلوم بدفعه عن الأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله وتقدم عليه من لا يستحق
ذلك والتصغير من شأنه والحط بذلك له عن قدره والإغراء في السعاية

بذلك في جحد فضله وإنكار فضله وتظلمه من القوم جميعا في مقام
على التلويح والتصريح والتحقيق والتعريض.
بقوله (ع) اللهم إني استعديك على قريش فإنهم ظلموني ومنعوني
حقي وصغروا شأني ومنعوني حقي أي إرثي في مقام مشهور.
وقوله (ع) في مقام آخر اللهم اجز قريشا عني الجوازي فقد
ظلموني ومنعوني حقي وصغروا شأني ومنعوني إرثي.
وقوله (ع) في مقام آخر لم أزل مظلوما منذ قبض رسول الله.
وقوله (ع) اللهم اجز عمرا لقد ظلم الحجر والمدر.
وقوله (ع) والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد عهد النبي صلى الله عليه وآله
إلي أن الأمة ستغدر بك من بعدي.
وقوله (ع) في مقام آخر لما قبض الله نبيه لم يكن يرى أحدا
بهذا الأمر منا أهل البيت حتى قوي عليه غيرنا فابتزنا حقنا منه.
وقوله (ع) لما مضى نبينا صلى الله عليه وآله وتقلدها أبو بكر والله ليعلم إني
أولى بها منه كقميصي هذا وقبض قميصه بيده.
وقوله صلى الله عليه وآله في خطبته المشهورة أما والله لقد تقمصها ابن
قحافة وأنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل
ولا يرقى إلي الطير، فسدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا، وطفقت
أرتأي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم
فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن، حتى يلقى ربه
فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق
شجى، أرى تراثي نهبا، حتى إذا حضر أجله جعلها في صاحبه عمر
فيا عجبا بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته.
وفي كلامه المشهور حتى انتهى إلى الشورى فذكر عمر وقال
فجعلها شورى في ستة! زعم إني أحدهم فيا لله وللشورى متى اختلج الريب

في مع الأولين حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر.
ثم انتهى في كلامه إلى بيعة عثمان فذكر عبد الرحمن في اختياره لعثمان عليه وقال ونهض واحد لضغنه ومال الآخر لصهره وكان عبد الرحمن صهرا لعثمان على أخته في الكلام الثابت في الخطبة إلى آخرها
وقوله (ع) في أول خطبة خطبها بعد قتل عثمان وبيعة الناس له قد مضت أمور كنتم فيها غير محمودي الرأي أما لو أشاء لقلت ولكن عفا الله عما سلف سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همته بطنه وفرجه يا ويله لو قص جناحه وقع رأسه لكان خيرا له حتى انتهى إلى قوله وقد أهلك الله فرعون وهامان وقارون.
فيما يتصل بهذه الخطبة إلى آخرها.
وقوله (ع) عند بيعة عبد الرحمن لعثمان يوم الشورى والله ما أملت إلا ما أمل صاحبك من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم (١)
ثم انصرف في أمثاله لهذا الكلام كثيرا إن قصدنا إثباته لطال به الكتاب وفي ثبوت النص على أمير المؤمنين بالإمامة في القرآن والأخبار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله أوضح دليل على أنه (ع) لم يكن قاضيا بتقديم أحد عليه في مقام النبوة ولا مصوبا لهم في ادعاء الإمامة فكيف وقد تظافرت الأخبار بما ذكرناه ومما كشف به عن عقيدته فيه ورأيه في القوم على ما بيناه ولو لم يكن نص عليه بالإمامة ولا ورد عنه مقال في إنكار ما صنعه القوم في التقديم عليه في الأمر لكان الدليل القاهر على فضله (ع) بثبوته عن جماعتهم بذلك كافيا في كراهة أمرهم وإنكاره عليهم ولو فسد الطريق في ذلك أجمع واشتبه الأمر فيه لم يعترض ريب في إنكاره إحداث عثمان بن عفان التي أجمع على إنكارها المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان وما تظاهرت به الأخبار من

----

(١) تقدم بيان هذا المثل.

مواليه (ع) على الإنكار في مقام بعد مقام.
ما نقم به على عثمان:
ألا ترى إلى ما جاءت به الأخبار من إنكاره (ع) إدراء الحد عن عبيد الله بن عمر بن الخطاب وقد استحق القود بقتله الهرمزان ومن قتل معه من أهل العهد بغير حق بمقتضى شريعة الإسلام ولما طالبه القوم للقود منه تعلل عثمان تارة بأن أباه قتل ولا يرى قتله اليوم لئن لا يجترأ المسلمون بذلك وتواتر عليهم الهموم والغموم ولما خاف من الاضطراب له والفساد فرد عليه أمير المؤمنين (ع) هذا الرأي وأعلمه أن حدود الله لا تسقط ولا يجوز تطبيقها بمثل هذا الاعتلال (١)
فعدل عثمان إلى تعلل آخر بأن في إسقاط الحد عن ابن عمر خلافا على رأي أمير المؤمنين فيه ومضادته فيما دعاه إليه وأشار به عليه في حكم الله تعالى وقال الهرمزان رجل غريب لا ولي له وأنا ولي من لا ولي له وقد رأيت العفو عن قاتله فقال له أمير المؤمنين ليس للإمام أن يعفو عن حق يتعلق بالمخلوقين إلا أن يعفو الأولياء عنه وليس له أن يعفو عن ابن عمر ولكن إن أردت أن تدرأ الحد عنه فأد الدية إلى المسلمين الذين عم أولياء الهرمزان أو أقسمها مع ما في بيت المال على مستحقه فلما رأى أمير المؤمنين دفاع عثمان عن الحد الواجب في حكم الله وتعلله في ذلك قال له أما أنت فلمطالب بدم الهرمزان يوم يعرض

---

(١) في صحيح البخاري (ج ٢ – ص ٢٦٢) وصحيح مسلم (ج ٢ – ص ٣٢) والمستدرك عليهما للحاكم (ج ٤ – ص ٣٧٩) ومسند أحمد (ج ٣ – ص ٣٨٦) وسنن أبي داود والسجستاني (ج ٤ – ص ١٣٢) أن النبي صلى الله عليه وآله قال الحدود لا تسقط بحال فلم يقبل شفاعة أحد في سارقة الحلي حتى قطع يدها.

الله الخلق للحساب وأما أنا فأقسم بالله فإنني لأن وقعت عيني على عبيد الله بن عمر لأخذت حق الله منه وإن رغم آنف من رغم فاستدعى عثمان عبيد الله ليلا وأمره بالهرب من أمير المؤمنين (ع) فخرج من المدينة ليلا وقد أصحبه عثمان كتابا أقطعه فيه قرية من قرى الكوفة وهي (كويفة ابن عمر) فلم يزل بها حتى ولي أمير المؤمنين (ع) فكان من جملة المعاندين له واجتهد في حربه مع جند الشام فقتله الله بغيضه ولقاه أعماله وكفى المسلمين شره.

ولما ورد أهل الكوفة يتظلمون من الوليد بن عقبة بن أبي معيط ويشهدون عليه بشرب الخمر وسكره وصلاته فيها بالناس الفجر وهو سكران وأنه قاء بالخمر ونام في موضعه حتى حمل منه وجعل مواضع القرآن شعرا مشهورا، فاغتاظ عثمان من الشهود وتغير عليهم وأمر بضربهم فصاروا إلى أمير المؤمنين (ع) يشكون إليه أمرهم وما حل بهم من عثمان فقام (ع) حتى دخل عليه فلما رآه عثمان قال ما لك يا ابن أبي طالب أحدث أمر؟ قال نعم حدث أمر عظيم، قال وما ذاك؟ قال عطلت الحدود وضربت الشهود، فقال عثمان فما ترى؟ قال أرى أن تعزل أخاك عن الكوفة وتستدعيه وتقيم عليه الحد قال أنظر في هذا (١).

ولما كان من إنكار أبي ذر وإحداث عثمان ما كان ودخل عليه في بعض الأيام وعنده قوم يمدحونه بالأباطيل فأخذ بيده كفا من التراب وضرب وجوههم فقال له عثمان ويلك ما هذا تضرب وجوه المسلمين بالتراب قال إنه لم أفعل إلا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله إذا رأيتم

----

(١) ابن الأثير (ج ٣ - ص ٤٠) حوادث سنة ٣٠، والأغاني (ج ١ - ص ٢٠ و ج ٤ ص ١٧٦) وتاريخ اليعقوبي (ج ٢ - ص ١٤٢).

المداحين فاحثوا في وجوههم التراب وقد رأيت هؤلاء يتقربون
بالأباطيل إليك ويمدحونك بما ليس فيك فقال عثمان كذبت فهو إذا
يكذبه ويغلظ له في القول وأبو ذر يخاصمه إذ دخل أمير المؤمنين
فقال له عثمان يا علي أما ترى هذا الكذاب كيف يكذب على رسول الله
فقال له علي انزل له يا عثمان فيما قال بمنزلة مؤمن آل فرعون قال الله تعالى
(إن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
فغضب عثمان وقال اسكت بفيك التراب فجثا (ع) على ركبتيه ثم قال
بل بفيك التراب سيكون (١) ولما حضر الوليد لإقامة الحد عليه أخذ
عثمان السوط فألقاه إلى من حضر من الصحابة وقال وهو مغضب
من شاء منكم فليقم الحد على أخي فأحجم القوم عن ذلك فنهض أمير
المؤمنين (ع) وبيده السوط إلى الوليد فلما رآه الوليد يقصد نحوه
ليضربه نهض من موضعه لينصرف فبادر إليه فقبضه وشتمه الوليد
فسبه علي (ع) بما كان أهله وتعتعته حتى أثبت إقامة الحد عليه
فاستشاط عثمان من ذلك وقال له ليس لك أن تعنفه يا علي ولا لك أن
تسبه فقال له عليه السلام بل لي أن أقهره على الصبر على الحد وما سببته
إلا لما سبني بباطل وقلت فيه حقا ثم ضربه بالسوط وكان له رأسان
أربعين جلدة في الحساب بثمانين فحقدها عليه عثمان.
ولما ورد عثمان طريد رسول الله وهو الحكم بن أبي العاص الذي
لعنه الله وقد كان نفاه النبي من المدينة إلى الطائف وذلك أنه كان يؤذي
النبي حتى بلغ من أذاه له أنه كان يتسلق على حائط بيته ليراه مع أزواجه
فضربه صلى الله عليه وآله وهو متطلع عليه ولما وقعت عيناه في عينه كلح في
وجه النبي ثم نزل وكان النبي إذا مشى مشى خلفه الحكم يتخلع في
مشيته يحكيه وكان من رسول الله صلى الله عليه وآله التفاتة إليه فقال له كن كما

----

(١) راجع تاريخ اليعقوبي (ج ٢ – ص ١٤٨) ط النجف.

أنت فلا يقدر على المشي بعدها إلا مخلجا وكان يقف نصب عينه فإذا
تكلم صلى الله عليه وآله يذكر شيئا من الوحي إليه وشرع لأمته من الدين شيئا
ووعظهم وأنذرهم أو وعدهم أو رغبهم وعلم شيئا من الحكم لوى شدقيه
في وجهه يحكيه ويعيب به فلما طال ذلك منه على رسول الله وقد كان
يداري قومه من قبل بالصبر عليه فنفاه إلى الطائف وأباح دمه متى
وجد بالمدينة وقضى رسول الله والحكم مطرودا فلما ولي أبو بكر جاءه
عثمان فسأله في رده فامتنع عليه وقال له قد مضى رسول الله ولم يأذن له
في الرد فإني لا أرده فلما مات أبو بكر وولي عمر جاءه عثمان يسأله في
رده فقال له لقد كنت سألت رسول الله في ذلك فلم يجبك وسألت أبا
بكر فلم يجبك ولست أرى إجابتك إلى ما سألت فأمسك يا عثمان فإني
لا أخالف صاحبي (١).
ولما ولي عثمان الأمر استدعاه من الطائف إلى المدينة وآواه وحباه
وأعطاه وقطعه المربد بمدينة الرسول فعظم ذلك على المسلمين وقالوا آوى
طريد رسول الله وحباه وأعطاه وصاروا إلى أمير المؤمنين (ع)
فسألوه أن يكلمه في إخراجه عن المدينة ورده إلى حيث نفاه النبي
فجاءه أمير المؤمنين وقال له قد علمت يا عثمان أن النبي قد نفى هذا الرجل
عن المدينة ولم يرده وأن صاحبيك سلكا سبيله في تبعيده واتبعا سنته
في ذلك وقد عظم على المسلمين ما صنعت في رده وإيوائه فاخرجه عن
المدينة واسلك في ذلك سنة النبي صلى الله عليه وآله فقال يا علي قد علمت مكان
هذا الرجل مني وأنه عمي وقد كان النبي صلى الله عليه وآله أخرجه عن المدينة
لبلاغه ما لم يصلح عليه وقد مضى النبي لسبيله ورأى أبو بكر وعمر
ما رأياه وأنا أرى أن أصل رحمي وأقضي حق عمي وهو ليس شر أهل

---

(١) الإصابة لابن حجر (ج ١ - ص ٣٤٥) والاستيعاب
بهامشها ص ٣١٧.

الأرض وفي الناس من هو شر منه.
فقال (ع) والله لئن بقيت يا عثمان ليقول الناس فيك ما هو شر من هذا ولما كان من عثمان من تفريق ما في بيت المال على أوليائه وأقربائه وإخراج خمس مال إفريقية إلى مروان بن الحكم وتسويغه إياه (١) وجاءه زيد بن ثابت بمائة ألف درهم من بيت المال وإقطاعه من أقطع من أرض المسلمين وإجازته الشعراء بكثير من مال المسلمين أعظم المسلمون ذلك وفزعوا إلى علي (ع) فدخل عليه ووعظه وذكر له ما عليه المسلمون من إنكاره بما عمله فسكت عثمان ولم يجبه بحرف فلما طال على أمير المؤمنين سكوته قال له بماذا أرجع إلى المسلمين عنك؟ ألك عذر فيما فعلت؟ قال انصرف يا ابن أبي طالب فسأخرج إلى المسجد وتسمع مني جواب ما سألت عنه.
ثم خرج عثمان بعد وقت العصر حتى صعد المنبر واجتمع المسلمون لسماع كلامه فقال: معشر الناس قد بلغني خوضكم في بري أهل بيتي ووصلي لهم وحباي لمن حبوت من أهلي وأوليائي وأقربائي أن رسول الله من بني هاشم فحبا أهله ووصلهم وجعل لهم الخمس نصيبا ووفره عليهم ونحلهم صفو الأموال وأغناهم عن السؤال وأن أبا بكر حبا أهله وخصهم بما شاء من المال وأن عمر حبا بني عدي واصطفاهم وخصهم بالإكرام والإعظام وأعطاهم ما شاء من المال وإن بني أمية وعبد شمس أهلي وخاصتي وأنا أخصهم بما شئت من المال أما والله لو قدرت على مفاتيح الجنة لسلمتها إلى بني أمية على رغم أنف من رغم.
فقام عمار بن ياسر فأخذ بطرف أنفه وقال والله إن أنفي أول أنف يرغم بذلك.

---

(١) في البداية لابن كثير (ج ٧ – ص ١٥٨) أن عثمان أعطى آل مروان ألفي دينار وعشرين ألف دينارا.

وتفرق المسلمون على سخط من مقالته وجاءه خزان بيت المال فألقوا المفاتيح بين يديه وقالوا لا حاجة لنا فيها وأنت تصنع في أموال الله ما تصنع.

ولما كتب المسلمون كتابا يذكرون فيه ما ينكرون من إحداثه التمسوا من يوصله إليه ليقف عليه فيرجع عن ذلك أو يعرفون رأيه فيه فوقع اختيارهم على عمار بن ياسر رحمه الله فضمن لهم عرض الكتاب عليه وأخذه واستأذن عليه حاجبه في إيصاله إليه فأذن له فدخل عليه وقد لبس ثيابه وهو يلبس خفيه فقال له مرحبا بك يا عمار فيما جئت؟ قال جئتك بهذا الكتاب فأخذه من يده فلما قرأه تغير واستشاط غضبا وقال له يا عاض بظر أمه أنت تجتري علي وتلقاني بما أكره ووثب إليه فدفعه حتى انصرع على الأرض وداس بطنه وعورته حتى أغمي عليه فلم يصل الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة وعرف المسلمون ذلك فأنكروه.

وقال فيه أمير المؤمنين ما هو مشهور، وروى ذلك محمد بن إسحاق عن الزهري وأبو حذيفة القرشي عن رجاله وغيرهما من أصحاب السير وقد كان من أمير المؤمنين (ع) له وعظ مشهور في مقامات أخر وكان بينه وبينه هنات ومهاجرات ومباينات في أوقات متفرقات.

فمن ذلك ما رواه أبو حذيفة القرشي قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثني الحسن بن عبد الله عن عبيد الله بن عباس عن عكرمة قال كان بين عثمان بن عفان وبين علي (ع) كلام على عهد عمر بن الخطاب فقال له ما تقول في فما ذنبي والله ما تحبكم قريش أبدا بعد سبعين رجلا قتلتم منهم يوم بدر كأنهم شنوف الذهب.

علي ينصح عثمان:
وروى المدائني عن علي بن صالح قال ذكر ابن دأب قال لما عاب الناس على عثمان ما عابوا كلموا عليا فيه فدخل عليه وقال إن الناس ورائي قد كلموني فيك فوالله ما أدري ما أقول لك وما أعرف شيئا تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه إنك لتعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شئ فنخبرك عنه ولا خلونا بشئ فنبلغكه وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصبحت رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا وما ابن أبي قحافة ولا ابن أبي الخطاب بأولى بشئ من عمل الخير منك وأنت أقرب إلى رسول الله وقد نلت من صهره ما لا ينالا ولا سبقاك إلى شئ فالله الله في نفسك فإنك والله لا تبصر من عمى ولا تعلم من جهل وإن الطريق لواضح بين وإن أعلام الدين لقائمة تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدى وهدي فأقام سنة معلومة وأمات بدعة متروكة فوالله إن كلا لبين وإن السنن لقائمة لها أعلام وإن البدع لظاهرة لها أعلام وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وضل به فأمات سنة معلومة وأحي بدعة متروكة وإني سمعت رسول الله يقول: يؤتي يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتطم في غمرة جهنم وإني أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقماته فإن عذابه شديد أليم وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه كان يقال يقتل في هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة وتلبس أمورها عليها وتنشب الفتن فلا يبصرون الحق لعلو الباطل يموجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا.
فقال له عثمان كلم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم فقال (ع) ما كان في المدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله

وصول أمرك إليهم فقال عثمان والله قد علمت ما تقول أما والله لو كنت بمكاني ما أغضبتك ولا عتبت عليك ولا جئت منكرا ولا عملت سوءا إن وصلت رحما أو سددت خلة (١).

ثم خرج عثمان فجلس على المنبر مغضبا وقال: أما بعد فإن لكل شئ آفة ولكل أمر عاهة، وأن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون يقولون لكم ويقولون أمثال النعام يتبعون أول ناعق أحب مواردها إليها البعيد لا يشربون إلا نغصا ولا يردون إلا عكرا لا يقوم لهم رائد وقد أعيتهم الأمور وتعذرت عليهم المكاسب ألا فقد والله عبتم علي بما أقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطأكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له ما أحببتم أو كرهتم وأوطأت لكم كتفي وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم علي أما والله لأنا عز نفرا وأقرب ناصرا وأكثر عددا وأقمن إن قلت هلم أتى إلي ولقد أعددت لكم أقرانكم وكشرت لكم عن نابي وأخرجتم مني خلقا لم أكن أحسنه ومنطقا لم أكن به أنطق فكفوا عني ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم فإني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا ألا فما تفقدون من حقكم والله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي وما وجدتكم تختلفون عليه فما بالكم.

فقال مروان بن الحكم إن شئتم حكمنا بيننا وبينكم السيف فنحن وأنتم كما قال الشاعر:

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكم * مغارسكم تبنون في دمن الثرى

فقال عثمان لمروان اسكت أسكتك الله دعني وأصحابي ثم نزل

---

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٩٦ و ص ٩٧).

عثمان (١) فلما كان بعد أيام عاد إليه علي (ع) فوعظه فقال لست أبدء بك وإني لأعلم شأنك لي دعني وأصحابي فقال (ع) لقد أديت إليك ما أوجب الله علي وخرج من عنده.

خطبة عثمان:

فلم يكن بأسرع من أن عثمان خرج إلى المسجد فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أما بعد أيها الناس فوالله ما عاب من عاب منكم شيئا أجهله وما جئت شيئا إلا وأنا أعرفه ولكني منتني نفسي وكذبتني نصيحتي وضل عني رشدي ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من زل فليتب ومن أخطأ فليتب ولا تتمادى بالهلكة فإن من تمادى في الجور كان أبعد عن الطريق فأنا أول من اتعظ أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه فمثلي نزع وتاب فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم فوالله لئن ردني الحق عبدا لأكونن له كالمرقوق إن ملك صبر وإن عتق شكر وما عن الله مذهب إلا إليه فلا يعجزن عنكم خياركم أن يدنوا إلي لئن أبت يميني لتتابعني شمالي.

فقام إليه المقداد بن عمر فقال يا عثمان ليس بواصل لك ما ليس معك الله الله في نفسك فأتمم على ما قلت (٢).

ولما نزل عثمان وجد مروان ابن الحكم وسعيد بن العاص ونفرا من بني أمية فجلس فقال له مروان يا أمير المؤمنين أتكلم أم أصمت فقالت له نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بل أصمت فأنتم والله قاتلوه ومؤثموه

---

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٩٦ و ص ٩٧) وابن الأثير (ج ٣ - ص ٥٨).

(٢) في الطبري (ج ٥ - ص ١١١) نسب القول إلى سعيد بن زيد

أنه قال مقالة لا ينبغي أن ينزع عنها فأقبل عليها مروان قال لها وما أنت في هذا فوالله لقد مات أبوك ولا يحسن أن يتوضأ فقالت مهلا عن ذكر الآباء فإنك تخبر عنه وهو غائب تكذب عليه وأن أباك لا يستطيع أن يدفع عنه أما والله لولا أنه عمه وأنه يناله غمه لأخبرتك عنه ولم أكذب عليه ثم أعرض مروان عنها وقال أتكلم أم أسكت فقال له عثمان تكلم قال بأبي أنت وأمي والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع وكنت أول من رضى بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطين وبلغ السيل الزبى وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل والله لإقامة على خطيئة تستغفر منها أجمل من توبة تخوف عليها وأنت إن شئت تقربت بالتوبة ولم نقرر بالخطيئة وقد اجتمع على الباب مثل الجبال من الناس فقال عثمان فاخرج إليهم وكلمهم فإني أستحي منهم فخرج إليهم مروان وفتح الباب والناس يركب بعضهم بعضا قال: ما شأنكم قد اجتمعتم أيها الناس كأنكم جئتم لنهب شاهت الوجوه كل إنسان آخذ بأذن صاحبه إلا من أريد جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا أما والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا إلى منازلكم فإنا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا فرجع الناس وخرج بعضهم إلى أمير المؤمنين فقال خرج علينا مروان وقال كذا وكذا وقصوا عليه الخبر فخرج مغضبا حتى دخل على عثمان فقال يا عثمان أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلا بتحرفك عن دينك وبخدعك عن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه وأيم الله إني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك أذهبت والله شرفك وغلبت على أمرك

ثم انصرف عنه (١).
كتاب عثمان إلى معاوية:
وبعث عثمان في الحال المسور بن مخرمة الزهري بكتاب إلى معاوية ابن أبي سفيان:
أما بعد: فإني كتبت كتابي هذا والله ما أحسبه يبلغك وأنا حي وقد رأيتك ورضيت عنك بمكانك واطمأننت إلى نفسك ووثقت بأمنية من مناك ولن تنتهي بك الأمنية دون الذلة فإحداهما خير لك من الأخرى وإذا بلغك كتابي هذا فابعث إلي جيشا سريعا برجل معه من أهل ثقتك في نفسك واجعله حبيب بن مسلمة ثم أمره فليجعل اليومين يوما والليلتين ليلة والمنزلين منزلا وإن استطعت أن تفاجئني مفاجأة فقد التقت العصا ولم يبق إلا خذ وآت واعط وامنع وهات وهلم ونعم ولا يبين ذلك عاجل وأمر ناهض والدين مع أول صدمة والسلام (٢)
في أمثال ما أثبتناه من كلام أمير المؤمنين (ع) وإنكاره عليه في مقام بعد مقام واعتزاله أمره وأمر القوم حتى كان منه ومنهم ما كان وكيف يكون علي (ع) معتوبا لعثمان مع ما وصفناه أو راضيا بشئ من أفعاله على ما ذكرناه وكيف لا يكون ساخطا مع ما بيناه ومشاركا للقوم جميعا في تبديعه على ما قدمناه غير أنه لم يساعدهم على حصره ولا أعانهم على خلعه ولا شاركهم في قتله لما أسلفناه من القول في عائبة

---

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١١١ و ص ١١٢) وابن الأثير (ج ٣ - ص ٦٥).
(٢) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١١٥) أن معاوية لما وصل إليه الكتاب تربص وأظهر كراهية المخالفة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد علم باجتماعهم عليه فأبطأ في الأمر.

ذلك وعلمه بها وأحاطته بجميع ما كان منها ولإقامة الحجة على قارفيه بذمه في بطلان تزويرهم له وإيضاحه عن بهتانهم فيه عليه وليس ذلك بمناف لرأيه الذي بينا عنه وشرحناه ولنا في أحكام قتل عثمان وخاذليه وحاصريه ما سننبه عنه شافعا لهذا الفصل إن شاء الله.

الآراء في أحداث عثمان:

فصل: إعلم علمك الله الخير وجعلك من أهله ووفقك لما يرضيه أنني لم أجد أحدا حقق القول في آراء المنكرين على عثمان ما فعله من الأحداث ولا صوب مذهبهم في ذلك وأكثر من قال منهم قولا فهو مسند له إلى ظن تضعيف إمارته أو إلى عقد يسبق في ذلك كانوا على مذاهب وآراء متباينة وأغراض متنافية طائفة منهم تعلقوا عليه بأحداث لم ينكروا مثلها من غيره طمعا فيه واستقصاء مقاله وقصدوا إلى تقلد الأمر من بعده ونيل الرياسة بخلعها منه وقتله فمن هذه الطائفة من قدمنا من ذكر طلحة والزبير في حصر عثمان وتولى ذلك بنفسه وأعوانه وتغلب على بيت المال في حياته وجعل لأقفال أبوابه مفاتيح في يديه واجتهاده في سفك دمه بمنع الماء عنه وسعيه في إتلافه بذلك فلما تم الأمر في قتل الرجل تطاول منهم من تطاول الأمر وظن أنه مختار متابع فبطل زعمه بانصراف الناس إلى غيره واختيارهم سواه فلما فاته ما كان أمله ورجاه بالسعي الذي سعاه وانقياده لبيعة الإمام، أما طمعا أو خوفا فتعقب الرأي ونكث البيعة وخرج عن العهدة وفارق الإسلام ونصب الحرب له حتى آل أمره في ذلك إلى ما آل، ومنهم طائفة أرغمها عثمان بمنعه لها المراد منه وردها عن طلباتها وأبطل رسومها فحقدت عليه لذلك وسعت في خلعه وسفك دمه وظنت أن الأمر يصير من بعده إلى من يتمكن من قياده ويجبها إلى ملتمسها فلما تم ما سعت فيه فات القوم الذي رجت

لهم ما رجت من الأمر رجعت عن رأيها إلى نقضه وأظهرت الندم على ما فرط منها وتحيزت إلى الفرقة وصارت مع من ألب على الإمام القائم مجتهدة في إزالة الأمر عنه ومصيرة إلى من ترجوه معينا لها ومريدا ومطيعا لأمرها فعمت الجميع الخيبة مما رجت وكان عاقبة أمرهم خسرا وطائفة انتقضت عادتها بعثمان والإكرام لها والاعظام ممن تقدمه فصارت بذلك كارهة لأمره وساعية في خلعه وطائفة كان المتقدمون يقلدونهم الأعمال واستبدل بهم منها سواهم من الناس، وحرمهم ما كانوا يصلون إليه من بيت المال فسعت في ذلك في خلعه وعاونوا من أجله على قتله وطائفة استشنعت أحداثا كانت منه، واعتقدت فيه الضلال بذلك وقصدت في خلعه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وربما كان منهم غالطا فيما استشنعه وربما كان منهم مصيبا فيه غير أن الغرض كان منهم فيما صنعوه قصدا لنصرة الدين والإسلام وهذه الطائفة هي التي كانت الأصل في الإنكار عليه وبفعلها تسبب الأسباب في خلعه وقتله وطائفة منهم كانت تعتقد الحق في أصل الإمامة وطريقها وترى أن السالك سبيل عثمان في نيل المراد مشاركا فيما أنكروه منه ولم يكن الذين حملهم على معونة حاصريه وقاتليه ممن عددناه بشئ من أغراضهم على ما شرحناه وفصلناه بل كان غرضهم في ذلك بما لو تم لهم ما صنعوه فيمن تقدم لسارعوا إليه لكنه لم يتفق لهم في المتقدم واتفق لهم في المتأخر وأما خاذلوه فجمهورهم تنقسم أغراضهم في ذلك إلى أغراض من سميناه من خذله أو الشك في حاله وأحوال حاصريه وقاتليه، فذلك لم يجوزوا المعونة لهم عليه ولا تفردوا بالنصرة له منهم.

وأما أمير المؤمنين (ع) فلم يكن تفرده عن نصرته وترك النهوض بالدفاع عنه خذلانا له لرأي يستصوبه في خلعه وقتله بل كان رأيه عليه السلام تابعا في ذلك لعقيدته فيمن تقدم عليه من الأمراء من

كافة القوم وكان عالما بعواقب الأمور غير شاك في المصالح يرى الموادعة والمهادنة والرقود المسالمة إلى انقضاء المدة التي يعلم صواب التدبير فيها بذلك فامتنع (ع) من التحمل للدفاع عن حصره وقتله بمثل ما امتنع من دفاع المتقدمين عليه في الأمر وذلك لشيئين معروفين أحدهما عدم الأنصار له على مراده في ذلك والثاني لوخيم العاقبة في المباينة للجمهور ولما تقتضي الحرب وتوقع الفتنة وقد دفع عليه السلام عنه بالقول في أحوال اقتضت المصلحة دفاعه عنه وأمسك عن الإنكار لما كان القوم عليه والرأي في حصره وخلعه وقتله لما عرف من جميل العاقبة في ذلك ولو لم يكن (ع) مستودعا علم ذلك كما تذهب إليه الشيعة فيه لكانت مشاهدته للحال ودلائلها تكفيه وتقنعه فيما صنع ووراده في الأحوال والاختلاف بين ذو العقول فإن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فعمل عليه السلام في اختلاف الأقوال منه والأفعال على علمه بعواقب الأمور وشاهد الحال فلذلك التبس الأمر على الجمهور في رأيه (ع) في عثمان وقاتليه فنسبه بعض الناس إلى الرضا بما صنعه القوم بعثمان ونسبه آخرون إلى المواطاة عليه والتأليب ونسبه آخرون إلى الهوى في ذلك والتقصير فما كان يجب عليه لعثمان ونسبه آخرون إلى الكراهة لما أجرى القوم في حصر عثمان فادعوا أنه كان له مواليا وبأعماله راضيا ولكن العجز عن نصرته أقعده عنها ثم أكد الشبهة عليهم فيما ذكرناه من اختلاف الاعتقاد في ذلك ما قدمنا في ذكره من أفعاله (ع) المختلفة مع عثمان تارة ينكر عليه ما أنكره المسلمون وتارة يدفع عنه وينهي عن قتله القاصدين إلى ذلك من أهل الأمصار، وتارة ينكر على من منعه الماء ويغلظ لذلك ويغضب من خلافه فيه وتارة يجلس في بيته وهو يرى الناس يهرعون إلى قتله وترك الاجتهاد في طلب دمه فلا يكون منه وعظ في ذلك ولا تخويف بالله عز وجل في ذلك وهو

في ظاهر الحال مطاع معظم مسموع الأمر متبع في الرأي هذا مع هجره لعثمان أحيانا ومنازعته له حينا وصلحه أحيانا ومسالمته له حينا وتغليظ القول عليه أحيانا وسعيه في الصلح بينه وبين الناس زمانا وترك ذلك إلى الكف عنه زمانا هذا مع أن المحفوظ من قوله فيه بعد قتله مما تختلف ظواهره وتشتبه معانيه.

كقوله (ع): وقتا والله ما قتلت عثمان ولا مالئت في قتله.

وقوله (ع) حينا: الله قتل عثمان.

وقوله (ع) وقتا آخر: لو لم يدخل الجنة إلا قاتل عثمان لما دخلها ولو لم يدخل النار إلا قاتل عثمان لما دخلها.

وقوله (ع) وقتا آخر: والله ما غاضني قتل عثمان ولا سرني ولا أحببت ذلك ولا كرهته.

وقوله (ع): حينا آخر: أكبت الله قتلة عثمان.

وقوله (ع) عند مطالبة القوم بقتلة عثمان: من قتل عثمان فليقم فقام أربعة آلاف من الناس المتحيزين إليه فقال هؤلاء قتلة عثمان وكون قتلة عثمان خاصة أنصاره وأعوانه وأصحابه وإظهاره الولاية لهم والتعظيم والمودة والإكرام مع تقربهم إليه وائتمانه لهم.

وقوله (ع): اللهم اقتل قتلة عثمان في بر الأرض وبحرها في أمثال ما ذكرناه ولكن الأفعال والأقوال التي ذكرناها منه متلائمة غير مختلفة في معناها إذا دحض بعضها بعضا وحمل بعضها على بعض في الرأي الذي تقتضيه الأحوال ويوجبه النظر في العلم بالعواقب وتمام المصالح.

رأي الجاحظ في علي:

فصل: قد زعم الجاحظ أن أمير المؤمنين (ع) كان ممتحنا بعد

قتل عثمان بمحن عظيمة وذلك أن جميع من نصب له الحرب جعل الحجة عليه في دعواه عليه قتل عثمان، قال وظاهر الحال يوهم ذلك عليه لأنه كان مباينا له في الأحوال والأوقات وهاجرا له في زمان وأيام وكان المنكرون على عثمان من أهل مصر والعراق يلجأون إليه في السفارة بينه وبين عثمان وكان (ع) فيهم مسموع القول مطاعا معظما مأمونا ثم قعد عن نصرته وتقلد الأمر من بعده واستنصر على محاربيه بقتله فلم يشك القوم أنه قاتله قال وواحدة من هذه الخصال تريب فكيف بجميعها ثم قال: وقد علم الناس قد يكون في هذا المصر الذي يتولاه أميرا ووزيرا وعاملا من يوصل مثل عمله ويصلح لمثل رتبته ويمد عنقه إلى مثل ولايته ولا يتفق له من مراده من ذلك ويقصده الناظر بما يمنعه من صرفه والتدبر في عزله فيلزم بيته ويقصر مراعاته خوفا من بيعته في عزله وتولى مقامه فيموت حتف أنفه فلا يشك الناس أنه دس إليه من قتله ولو قتل ذلك الإنسان ذو غر لغرض لضره أو لطلب ماله لقطعوا أن أمير البلدة وضعه على ذلك ودبر الأمر فيه عليه وقد يجلس السلطان بعض الرعية لشئ يجده في نفسه عليه فيموت في الحبس حتف أنفه فيحلف خلق من الناس بالله أنه تقدم فخنقه ولا يشك الجمهور أنه واطأ على دمه ولو أقسم السلطان بالله أقساما أكدها على البراءة من دمه لجعلوا ذلك شبهة فيما ادعوه عليه من قتله، ثم قال هذا الرجل أعني الجاحظ أن أقوال علي في عثمان إنما اختلفت وتناقضت – بزعمه – لأنه كان محتاجا إلى التبرئ من دمه لكف أهل البصرة وأهل الشام عنه بذلك وكان محتاجا إلى إضافة دم عثمان إليه لاستصلاح رعيته وارتباطهم لنصرته وليس الأمر كما زعمه الجاحظ ولا القصد فيه كما توهمها وإنما حمل الجاحظ حال أمير المؤمنين (ع) في ما زعمه على أحوال أهل الدنيا ومن لا دين له ولا يقين ولا تقوى من يصنع ما يصنع

ويقول ما يقول لعمارة الدنيا ولا يبالي بعاقبة ذلك في الآخرة بل كانت أفعال علي (ع) وأقواله التي أثبتناها في ما تقدم على الأغراض التي أنبأنا عنها وأوضحنا عن اتفاقها ووفاقها للدين والنظر في مصالح المسلمين ومن تأمل ما ذكرناه وفكر فيه بقلب سليم وجده على ما وصفناه.

رأي العثمانية:

فصل: وقد زعمت العثمانية أن الذي يدل على مشاركة علي (ع) قتلة عثمان أشياء قد ثبتت بالأخبار وتظاهرت بها الآثار منها أنه تولى الصلاة بالناس يوم النحر وعثمان محصور ولم يستأذنه في ذلك وتغلب عليه فيه وهذا مما جعل الشافعي حجة في جواز صحة صلاة المتغلب بالناس يوم الجمعة والعيدين ورد به على أهل العراق وإنكارهم ذلك وقولهم لا تصح الصلاة في الجمعة والعيدين خلف المتغلب فحكى الربيع والمزني عن الشافعي أنه قال في هذه المسألة لا بأس بصلاة الجمعة والعيدين خلف الآمر فإن عليا (ع) صلى بالناس وعثمان محصور وقد روى أبو حذيفة القرشي عن محمد بن إسحاق وغيره أن قوما صاروا إلى عثمان وهو محصور وقالوا ما ترى إلى هؤلاء الذين يصلون بالقوم في يوم الجمعة بالناس وأنت على هذا الحال لم تأمرهم بذلك وقد كان طلحة بن عبيد الله صلى بهم يوم الجمعة في حصار عثمان فحكوا عن عثمان أنه قال إذا أحسنوا فاتبعوهم وإن أساؤا فاجتنبوهم الصلاة حسنة فصلوا إذا صلوا، فزعمت العثمانية أن عليا كان متهما بدم عثمان لصلوته بالناس يوم النحر عن غير إذنه وادعى الشافعي إنه كان متغلبا بذلك ولم يتعلق أحد من قرف طلحة بدم عثمان لصلوته بالناس يوم الجمعة وعثمان محصور ولا نسبوه إلى التغلب بذلك وبرؤه من دمه وهو الذي تولى حصره حتى قتله وكانت شبهتهم في براءة طلحة خلاف لأمير المؤمنين (ع) والتمويه في

حربه بالتظاهر لطلب دمه وعقول هؤلاء القوم عقول ضعيفة وأحلامهم أحلام سخيفة فلذلك ينقادون من الشبهة إلى ما ذكرناه.

ومما تعلق القوم به أيضا في قرف علي (ع) بدم عثمان بعد الذي ذكرناه وعددنا مقامه بالمدينة منذ حصر وقول أسامة بن زيد مشيرا عليه بالخروج عنها على ما رواه حذيفة القرشي عن رجاله قال قال أسامة ابن زيد لعلي لأنت والله يا أبا الحسن أعز علي من سمعي وبصري فأطعني واخرج إلى أرضك بينبع فإن قتل عثمان وأنت شاهد طلبك الناس بدمه وإن لم تشهد لم تعدك بك الناس أحدا، فقال ابن عباس لأسامة يا أبا محمد أتطلب أثرا بعد عين أبعد ثلاثة من قريش وروى يوسف بن دينار عن عبد الملك بن عمير اللخمي عن أبي ليلى قال سألني عبد الملك بن مروان حين قدم الكوفة عن قتل عثمان فأخبرته فقال أين كان علي يومئذ فقلت بالمقاعد يأمر فيطاع، وينهى فيطاع ولقد رأيته عند أحجار الزيت مختبيا بسيفه ومناد ينادي آمن الله هذا الناس كلهم إلا الشقي (نعثلا) فقال عبد الملك هل سمعت عليا يقول شيئا؟ فقال لا، وروى النخعي عن علقمة بن قيس قال أرسلت أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى علي وهو قاعد في المسجد: إن أمن لي خاصتي ومن في الدار من أهلي، فقال الناس كلهم آمنون إلا الشقي ابن أبي العاص وروى خالد الحذاء عن رجل من بني شيبان قال رأيت عليا يوم قتل عثمان يخطب الناس على المنبر وعليه السلاح فجعلت العثمانية هذه الأشياء شبها لها فيما قذفت به أمير المؤمنين (ع) من دم عثمان واحتجت أيضا في ذلك بما صنعه علي (ع) عند قتل عثمان من أخذ نجائبه وأدراعه وأورد في ذلك قول الوليد بن عقبة يخاطب بني هاشم ويعاتبهم عند قتل عثمان (١):

---

(١) ذكر أبو الفرج في الأغاني (ج ٤ – ص ١٧٤) في الرواية عن محمد بن حبيب أبياتا تسعة.

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم * ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بني هاشم كيف الهوادة بيننا * وعند علي درعه ونجائبه
بني هاشم كيف التودد بيننا * وتبر ابن أروى فيكم وجوائبه
بني هاشم إني وما كان منكم * كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه
هم قتلوه كي يكونوا مكانه * كما غدرت يوما بكسرى مرازبه
فإن لم تكونوا قاتليه فإنه * سواء علينا مسلموه وسالبه
واحتجوا أيضا بقول حسان بن ثابت الأنصاري في قتل عثمان:
ضحوا بأشمط عنوا السجود له * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
يا ليت شعري وليت الطير تخبرني * ما كان بين علي وابن عفانا
لتسمعن وشيكا في ديارهم * الله أكبر يا ثارات عثمانا
وله أيضا:
من عذيري من الزبير ومن * طلحة هاجا أمرا له إعسار
حين قالا للناس دونكم العلج * فشبت وسط المدينة نار
واصطلاها محمد بن أبي بكر * جهارا وخلفه عمار
وعلي في بيته يسأل الناس * رويدا وعنده الأخبار
باسطا كفه يريد ذراعيه * وفيه سكينة ووقار
خذلته الأنصار إذ حضر الموت * وكانت تعاند الأنصار
وكذلك اليهود ضلت عن الدين * بما زينت لها الأحبار
وأمثال ما ذكرناه والجواب عن * جميعه سهل قريب والمنة لله
الدفاع عن علي:
فصل: فأما الجواب عما تعلقوا به من قذف علي (ع) بدم عثمان
من حيث تولي الصلاة بالناس يوم النحر وعثمان محصور فهو مبني على

مذهبين: أحدهما الشيعة القائلين بالنص على علي القاطعين على
إمامته بلا فصل، وهو أنه إذا كان الإمام المفترض الطاعة فله أن يتولى
كلما يتمكن من توليه مما اقتضته إمامته، والإمامة تقتضي إمامة
المسلمين في الصلاة والتقدم عليهم في الجهاد، وإقامة الحدود والأحكام
وليس متى تولى الإمام شيئا مما له توليته عند الإمكان دل ذلك على أنه
ساع في دم إنسان ومريد لقتله على كل حال والجواب على المذهب الآخر
وهو القول بالاختيار إن الإمام إذا غير وبدل وأحدث ما ينفسخ به
عقده فلا فاضل الناس أن يتولى أمر الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر إلى أن يعقد الإمام من بعده وعلى مذهب القوم الذين رأوا
إقامة الإمام بالاختيار إن في خلع عثمان باحداثه قد زال فرض طاعته
بذلك وكان للأفاضل منهم أن يقدموا في الصلاة بهم من يرون إلى أن
يتم الأمر في العقد لمن يستحق ذلك; ولو كان هناك من يعتقد أن
إمامة عثمان لم تزل بأحداثه، إلا أنه ممنوع من الصلاة بالناس لكان
للأفاضل أن يتولوا الصلاة نيابة عنه في تلك الحال فعلى كل المذهبين
اللذين ذكرناهما لا تجب بصلاة علي يوم النحر بالناس وعثمان محصور
أن يقضى عليه بأنه كان مريدا لقتله، فضلا أن يكون مشاركا فيه
وقد روى الخصم عن عثمان لما أوذن بصلاة طلحة بالناس، واستؤذن
في الصلاة معه، قال لهم إذا أحسنوا فاتبعوهم وإذا أساؤا فاجتنبوهم
فحكم لصلاتهم بالحسن وإن كان محصورا لم يأذن فيها لهم ولم يولهم ذلك
إلا أنه أباحه ووصف المصلين بأنهم في ذلك محسنون فإن تعلق المخالف
على علي عليه السلام في قتل عثمان بصلاته بالناس وهو محصور لولا أنه
تعنت بذلك عادل عن طريق الإنصاف وأما تعلقهم بقعود أمير المؤمنين
عليه السلام بالمدينة حتى قتل عثمان، وتركه الخروج منها ومباعدة القوم
فيما صنعوه وما أشار عليه أسامة من الخروج وتحذيره في قعوده بمطالبة

القوم له بدم عثمان فليس أيضا ما ثبتت به الحجة على ما ادعوه من قبل إنه لا يمتنع أن يكون مقامه بالمدينة في تلك الحال لتدبير الدفاع عنه ولو كان خرج عنها لتعجل من قتل القوم له ما تأخر ولم يكن أيضا يؤمن أن يتعدى القتل منه إلا غيره وتحدث فتنة لا يتلافى صلاحها فجلس (ع) لذلك ولم يجلس لمعونة على قتل عثمان، بل لو خرج من المدينة في حال حصر القوم الرجل لكانت التهمة إليه في قتله أسرع مع ما ذكرناه من المحذور، وأما نقلهم جواب ابن عباس لأسامة وقوله أبعد ثلاثة من قريش تطلب أثرا بعد عين، فليس فيه أيضا دليل على إيثار ابن عباس لأمير المؤمنين (ع) قتل الرجل ولا فيه حجة على أنهما شركا يفي ذلك من تولاه وإنما يدل على إيثار ابن عباس أن يكون الأمر فيهم بعد عثمان، ولسنا ننكر أن يكون عليا كان مؤثرا للتمكن من الأمر بعد عثمان ليقيم بذلك حدود الله وينفذ به أحكامه، وينظر في مصالح المسلمين، ومن آثر ذلك من أهله فهو محمود وهذا يستمر على مذهب الشيعة الإمامية والزيدية والجارودية والقائلين بالنص عليه وعلى مذهب أصحاب الاختيار معا.

فأما أصحاب النص فيقولون إنه الإمام المفترض الطاعة على الأنام وكان يجب أن يجتهد بالتوصل بما للأئمة إقامته وتولي ما لهم توليته وأن لا يفرط في ذلك ولا يهمله وإذا كان مقامه لما ذكرناه كان به محمودا ولم يجز صرف الغرض فيه إلى ما ادعاه الخصوم من خلافه مع أنه لم ينكر إنما كان مقامه بالمدينة لدفاع ما كان يحذر من إمامة من لا يستحق الأمر بعد قتل عثمان فأقام لدفاعهم عن ذلك لوجوده بينهم وعلمه برأي الناس في تقديمه على غيره ولو كان نائبا عن المدينة لغلب على الأمر من يعسر على الأمة صرفه عنه ممن لا يؤمن على الدين وهو مستمر على أصول أصحاب أهل الاختيار كما استمر على أصول

أصحاب النص وليس فيه دليل على ما يتعلق به القوم من قذفه بقتل عثمان حسبما بيناه وشرحناه.

وأما قبض أمير المؤمنين (ع) عند قتل عثمان النجائب والادراع (١) التي قبضها مما كان منسوبا إلى عثمان والتعلق بشعر الوليد بن عقبة على ما أثبتناه عنه فيما سلف وسطرناه فليس أيضا بحجة لقاذف علي (ع) بقتل عثمان وذلك أنه لو لم يقبض ذلك علي (ع) لأسرع إلى قبضه ونهبه وتملكه من ليس له ذلك بحق من الرعية واحتاط بقبضه وإحرازه لأربابه وقد كان هو الإمام باتفاق الجمهور بعد عثمان وللأمام أن يحتاط لأموال المسلمين وتركات من قضى بينهم ليصل إلى مستحقيه دون غيرهم وليس إذا التمس الوليد بن عقبة ما لا يستحق فمنع منه كان ذلك لغلول المانع له بما التمسه ولا لتغلبه عليه ولا قول الوليد أيضا مسموع ولا شهادته مقبولة مع نزول القرآن بتفسيقه، قال تبارك وتعالى اسمه (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وقد روى أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة حين أنفذه النبي صلى الله عليه وآله إلى قوم يقبض منهم الصدقات فعاد مدعيا عليهم أنهم منعوه من ذلك وخرجوا إلى حربه فأعد رسول الله جماعة لحربهم فورد وارد بتكذيب الوليد وإنهم على الإسلام والطاعة فأنزل الله تعالى ما أثبتناه فيه (٢).

وجاء في الحديث المشهور أن الوليد قال لأمير المؤمنين في محاورة

---

(١) روي في الأغاني (ج ٤ – ص ١٨٥) أن أمير المؤمنين (ع) أخذ من دار عثمان إبل الصدقة والسلاح، أقول وليس لأحد رد عليه بعد أن تمت البيعة فكان الخليفة المطلق يتصرف بما يراه من الصلاح.

(٢) رواه البغوي في تفسيره بهامش تفسير الخازن (ج ٦ – ص ١٨٥ والآلوسي في روح المعاني (ج ٢٦ – ص ١٤٤).

جرت بينهما أنا أبسط منك لسانا وأحد سنانا قال عليه السلام اسكت يا فاسق فأنزل الله تعالى هذه الآية: (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون (١) وبعد فلو كانت الأدراع والنجائب التي قبضها أمير المؤمنين (ع) بعد قتل عثمان ملكا له، لكان أولاده وأزواجه أحق بها من الوليد وكان ارتباط علي (ع) ليوصلها إلى ورثته أولى من تسليمها للوليد وأمثاله من بني أمية الذين ليس لهم من تركة عثمان نصيب على حال فكيف وقد ذكر الناس في هذه الأدراع والنجائب إنها من الفيئ الذي يستحقه المسلمون فغلب عليها عثمان واصطفاها لنفسه فلما بايع الناس عليا انتزعها (ع) من موضعها ليجعلها في مستحقيها فما في ذلك من تهمة بقتل عثمان لولا العمى والخذلان. وأما شعر حسان ابن ثابت وما تضمنه من التعريض على أمير المؤمنين (ع):

وليت شعري فليت الطير تخبرني * ما كان بين علي وابن عفانا
ليسمعن وشيكا في ديارهم * الله أكبر يا ثارات عثمانا

فهو لعمري قذف بدم عثمان فلم يكن قوله حجة لنصغي إليه ولا كان عدلا فتقبل شهادته وقد نص التنزيل على رد شهادته فقال الله عزل وجل: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا منهم شهادة أبدا أولئك هم الفاسقون) ولا خلاف أن حسان كان ممن قذف عائشة وجلده النبي صلى الله عليه وآله على قذفه وإذا كان القرآن حاصرا على المسلمين قبول شهادة الفاسقين فوجب رد شهادة حسان وأن لا يقبل منه على حال مع أنه لا خلاف بين أهل العراق من أن القاذف مردود الشهادة وإن تاب فعلى قول

---

(١) أنظر الدر المنثور للسيوطي (ج ٤ - ص ١٧٨) وتفسير الخازن (ج ٣ - ص ٢٧٠) والأغاني (ج ٤ - ص ١٨٥) وابن أبي الحديد (ج ٢ - ص ١٠٣).

هذه الفرقة شهادة حسان مردودة على كل حال وأما من ذهب إلى أن القاذف تقبل شهادته عنه التوبة فبينهم في ذلك اختلاف فمنهم من يقول أنه يشترط في توبته أن يقف في الموضع الذي قذف فيه فيكذب نفسه ويظهر التوبة من جرمه ولم يدع أحد أن حسان كذب نفسه ظاهرا ورجع عن قذفه مختارا فلا توبة له على قول هذا الفريق وأما الفريق الآخر فإنهم قبلوا شهادة القاذف بعد توبته ولم يشترط في توبته ما ذكرناه فليس معهم دليل على أنه تاب والظاهر منه القذف الذي يستحق به التفسيق ورد الشهادة في دين الإسلام فلا تعلق في قول حسان في قذف أمير المؤمنين (ع) بدم عثمان على كل حال على أن حسان مذموم مردود القول باتفاق أهل الإسلام وعلى كل مذهب لأهل القبلة وذلك أنه قال في يوم الغدير بمحضر من النبي صلى الله عليه وآله في أمير المؤمنين ما قال وشهد له بالإمامة والنص فيها عليه من الله تعالى فردته المعتزلة بذلك وأنكرته الحشوية ودفعته الخوارج وكذبه جميع من سميناه ولم يحتج فيه إلا على مذهب الشيعة الإمامية والجارودية دون من سواهما من فرق الأمة على ما ذكرناه وقوله الذي قدمنا ذكره وأشرنا إليه على الإجمال هو هذا:

يناديهم يوم الغدير نبيهم * بخم وأسمع بالنبي مناديا
يقول فمن مولاكم ووليكم * فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا * وما لك فينا في المقالة عاصيا
فقال له قم يا علي فإنني * رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فمن كنت مولاه فأنت وليه * فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه * وكن للذي عادى عليا معاديا (١)

---

(١) كفاية الطالب للحافظ الكنجي ص ١٧ ط نجف وتذكرة الخواص ص ٢٠ ومناقب الخوارزمي ص ٨٠.

وهذا القول مقبول عند الشيعة لأنه قاله بمحضر من رسول الله
ومشهده فلم ينكر عليه فصارت الحجة في صوابه شهادة رسول الله
بحقه والناصبة بأجمعها ترد عليه وتكذبه فيه ثم تقبل قوله في القذف
الباطل وحال الفتنة الظاهرة ولا شاهد لهم على ما ادعوه ثم هو في وصفه
لعثمان بأنه ظلم فيما صنع به وإنه كان بريئا عند الله ومن أهل التقى
والإيمان مردود الشهادة عند جميع حاصري عثمان وقاتليه من المهاجرين
والأنصار والتابعين بإحسان وعند كافة الشيعة والمعتزلة والخوارج
حين قال:
ضحوا بأشمط عنوان السجود له * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
إذ كان حسان مكذبا في قوله على مذهب ما ذكرناه من أهل القبلة
ومردود الشهادة بما سلف له من قذف المحصنات لم يعتمد في الحجة
بقوله المفترى به ومن برهان شمله الخذلان ثم هو في قول له آخر يكذب
عند الشيعة بأجمعها وجمهور المعتزلة والمرجئة والحشوية القائلين بأن
أمير المؤمنين (ع) كان أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وأبي علي الجبائي
وابنه ورهطهما ومن شركهما في الوقف وترك القطع في التفضيل لأحد
من الخلفاء الأربعة على غيره وذلك في مرثيته لأبي بكر:
إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها * بعد النبي وأوفاها بما حملا
الثاني التالي المحمود مشهده * وأول الناس ممن صدق الرسلا
وهذا يكشف لك عن سقوط من تعلق في شئ من الدين بقول
حسان من إبطال من جعل قوله حجة على كل حال وتبيين أنه كان في ما يقول
نظما ونثرا على مذهب الشعراء الذين لا يتقون السيئات ولا يتورعون
عن الخطيئات ولا يبالون بارتكاب الزلات ويقدمون على الأباطيل في
ارتكاب الموبقات ممن وصفهم الله تعالى في كتابه فقال (والشعراء

يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) وقد كان حسان ممن يشكر نعمة عثمان عليه وإحسانه إليه ولم يكن ممن يرجع إلى تقوى فيحجزه من الباطل فيما ادعاه وإن امرأ يعتمد على قول حسان وأمثاله في القدح على أمير المؤمنين ويصوب استنفار الناس عليه وإغرائهم به لخفيف الميزان عند الله بين الخسران وبالله المستعان

فتنة الجمل:

باب: الخبر عند ابتداء فتنة أصحاب البصرة في تدبيرها والاجتماع منهم على العمل عليها وما جاءت به الأخبار المتظافرة في ذلك قد أسلفنا القول في أسباب هذه الفتنة والدواعي إليها والأغراض التي كانت فيها وذكرنا من براهين الحق على ما أصلناه من المذهب الصحيح في ذلك وإبطال شبهات الضالين فيه ونحن نبدأ بشرح القصة في ابتداء أمر أصحاب الفتنة، وما عملوا عليه فيها وتجدد من رأيهم في تدبيرها حسبما جاءت به الأخبار المستفيضة بين العلماء بالسير والحوادث المشهورة.

فصل: لما تم أمر البيعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) واتفق على طاعته كافة بني هاشم ووجوه المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأيس طلحة والزبير مما كانا يرجوان به من قتل عثمان بن عفان من البيعة لأحدهما بالإمامة وتحققت عائشة بنت أبي بكر تمام الأمر لعلي بن أبي طالب أمير المؤمنين واجتماع الناس عليه وعدو لهم عن طلحة والزبير وعلمت أنه لا مقام لهما بالمدينة بعد خيبتهما مما أملاه من الأمر وعرف عمال عثمان أن أمير المؤمنين لا يقرهم على ولاياتهم وأنهم إن ثبتوا في أماكنهم أو صاروا إليه طالبهم الخروج مما في أيديهم من أموال الله عز وجل وحذروا من عقابه على تورطهم في خيانة المسلمين وتكبرهم على المؤمنين واستحقاقهم بحقوق المتقين واجتبائهم الفجرة

الفاسقين عمل كل فريق منهم على التحرز منه واحتال في الكيد له
واجتهد في تفريق الناس عنه فسار القوم من كل مكان إلى مكة استعاذة
بها وسكنوا إلى ذلك المكان وعائشة بها وطمعوا في تمام كيدهم لأمير
المؤمنين للحيز إليها والتمويه على الناس بها وكانت عائشة يقدرها كثير
من الناس لمكانها من النبي صلى الله عليه وآله وأنها من أمهات المؤمنين وابنة أبي
بكر المعظم عند الجمهور وإن كل عدو لعلي بن أبي طالب (ع)
يلتجأ إليها متى أظهرت المباينة له ودعت إلى حربه وإفساد أمره فلما
تواترت الأخبار عليها وهي بمكة وتحيزها عن عثمان لقتل المسلمين له
قبل أن تعرف ما كان من أمر المسلمين بعده عمدت على التوجه إلى المدينة
راجية بتمام الأمر بعد عثمان لطلحة والزبير زوج أختها فلما صارت
ببعض الطريق لقيت الناعي لعثمان فاستبشرت بنعيه له وما كان من أمر
الناس في اجتماعهم على قتله ثم استخبرت عن الحال بعده فأخبرت أن
البيعة تمت لأمير المؤمنين بعده وأن المهاجرين والتابعين لهم بإحسان
وكافة أهل الإيمان اجتمعوا على تقديمه والرضاء به فساءها ذلك
وأحزنها وأظهرت الندم على ما كان منها في التأليب على عثمان والكراهة
لتمام الأمر لعلي بن أبي طالب فأسرعت راجعة إلى مكة فابتدأت
بالحجر فتسترت فيه ونادى مناديها باجتماع الناس إليها فلما اجتمعوا
تكلمت من وراء الستر تدعو إلى نصرة عثمان وتنعاه إلى الناس وتبكيه
وتشهد أنه قتل مظلوما وجاءها عبد الله بن الحضرمي عامل عثمان على
مكة فقال قرت عينك قتل عثمان وبلغت ما أردت من أمره فقالت
سبحان الله أنا طلبت قتله إنما كنت عاتبة عليه من شئ أرضاني فيه (١)

----

(١) في تاريخ اليعقوبي (ج ٢ - ص ١٥٢) ط النجف كان بين
عثمان وعائشة منافرة وذلك أنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب
وصيرها أسوة غيرها من نساء رسول الله وأن عثمان ليخطب في
بعض الأيام إذ دلت عائشة قميص رسول الله صلى الله عليه وآله ونادت يا معشر
المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنته فقال (رب
اصرف عني كيدهن إن كيدهن عظيم).

قتل عثمان والله من عثمان بن عفان خيرا منه وأرضى عند الله وعند المسلمين
والله ما زال قاتله – تعني أمير المؤمنين (ع) – مؤخرا منذ بعث محمد صلى الله عليه
وآله
وبعد أن توفي عدل عنه الناس إلى الخيرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله
ولا يرونه أهلا للأمر ولكنه رجل يحب الإمرة والله لا تجتمع عليه
ولا على أحد من ولده إلى قيام الساعة.
ثم قالت: معاشر المسلمين إن عثمان قتل مظلوما ولقد قتل عثمان
من إصبع عثمان خير منه وجعلت تحرض الناس على خلاف أمير المؤمنين
وتحثهم على نقض عهده ولحق إلى مكة جماعة من منافقي قريش وصار
إليها عمال عثمان الذين هربوا من أمير المؤمنين ولحق بها عبد الله بن
عمر بن الخطاب وأخوه عبيد الله ومروان بن الحكم بن أبي العاص
وأولاد عثمان وعبيده وخاصته من بني أمية وانحازوا إليها وجعلوها
الملجأ لهم في ما دبروه من كيد أمير المؤمنين (ع) وجعل كل من ينحاز
عن أمير المؤمنين حسدا له وبغضا أو شانئا له أو خوفا من استيفاء الحقوق
عليه أو لإثارة فتنة أو أدغال في الملة ينضم إليها وهي على حالتها وسنتها
تنعى إليهم عثمان وتبرء من قاتله وتشهد له بالعدم والإحسان وتخبر أنه
قتل مظلوما وتحث الناس على فراق أمير المؤمنين والاجتماع على خلعه
ولما عرف طلحة والزبير حالها وحال القوم عمدا على اللحاق بها
والتعاضد على شقاق أمير المؤمنين فاستأذناه في العمرة على ما قدمناه
وذكرنا الخبر في معناه وشرحناه وسارا إلى مكة خالعين الطاعة ومفارقين
للجماعة فلما ورد إليهما فيمن تبعهما من أولادهما وخاصتهما وخالصتهما طافا
في البيت طواف العمرة وسعيا بين الصفا والمروة وبعثا إلى عائشة عبد

الله بن الزبير وقالا له امض إلى خالتك فاهد إليها السلام منا وقل لها إن طلحة والزبير يقرءاك السلام ويقولان لك إن أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوما وأن علي بن أبي طالب ابتز الناس أمرهم وغلبهم عليه بالسفهاء الذين تولوا قتل عثمان ونحن نخاف انتشار الأمر به فإن رأيت أن تسيري معنا لعل الله يرتق بك فتق هذه الأمة ويشعب بك صدعهم ويلم بك شعثهم ويصلح بك أمورهم فأتاها عبد الله فبلغها ما أرسلاه به فأظهرت الامتناع من إجابتها إلى الخروج عن مكة.

وقالت يا بني لم أمر بالخروج لكني رجعت إلى مكة لأعلم الناس ما فعل بعثمان إمامهم وأنه أعطاهم التوبة فقتلوه تقيا نقيا بريا فيرون في ذلك رأيهم ويثيرون على من أبقرهم أمرهم وغصبهم أمرهم من غير مشورة من المسلمين ولا مؤامرة بتكبر وتجبر ويظن أن الناس يرون له حقا كما كانوا يرونه لغيره هيهات هيهات يظن ابن أبي طالب يكون في هذا الأمر كابن أبي قحافة لا والله ومن في الناس مثل ابن أبي قحافة تخضع إليه الرقاب ويلقى إليه المنقاد وليها والله ابن أبي قحافة وخرج منها كما دخل ثم وليها أخو بني عدي فسلك طريقه ثم مضيا فوليها ابن عفان فركبها رجل له سابقة ومصاهرة لرسول الله وأفعال مع النبي مذكورة لا يعمل أحد من الصحابة مثلما عمله في ذات الله وكان محبا لقومه فمال بعض الميل فاستتبناه فتاب ثم قتل فيحق للمسلمين أن يطلبوا بدمه فقال لها عبد الله فإذا كان هذا قولك في علي يا أمه ورأيك في قاتلي عثمان فما الذي يقعدك عن المساعدة على جهاد ابن أبي طالب وقد حضرك من المسلمين من فيه غنى وكفاية فيما تريدين فقالت يا بني أفكر فيما قلت وترجع إلي فرجع عبد الله إلى طلحة والزبير بالخبر.

فقالا قد أجابت أمنا والحمد لله إلى ما نريد ثم قالا له باكرها في غد فذكرها أمر المسلمين واعلمها إنا قاصدان إليها لنجدد بها عهدا ونحكم

معها عقدا فباكرها عبد الله وأعاد عليها بعض ما أسلفه من القول إليها فأجابته إلى الخروج ونادى مناديها أن أم المؤمنين تريد أن تخرج تطلب بدم عثمان فمن كان يريد أن يخرج فليتهيأ للخروج معها وصار إليها طلحة فلما أبصرت به قالت يا أبا محمد قتلت عثمان وبايعت عليا فقال يا أمه ما مثلي إلا كما قال الأول:

ندمت ندامة الكسعى لما * رأت عيناه ما صنعت يداه

وجاءها الزبير فسلم عليها فقالت له يا أبا عبد الله اشتركت في دم عثمان ثم بايعت لعلي وأنت والله أحق بالأمر منه فقال لها الزبير أما ما صنعت مع عثمان فقد ندمت منه وهربت إلى ربي من ذنبي من ذلك ولن أترك الطلب بدم عثمان والله ما بايعت عليا إلا مكرها التفت به السفهاء من أهل مصر والعراق واستلوا سيوفهم وأخافوا الناس حتى بايعوه وصار إلى مكة عبد الله ابن أبي ربيعة وكان عامل عثمان على صنعاء فدخلها وقد انكسر فخذه وكان سبب ذلك ما رواه الواقدي عن رجاله أنه لما اتصل بابن ربيعة حصر الناس لعثمان أقبل سريعا لنصرته فلقيه صفوان بن أمية وهو على فرس يجري وعبد الله بن أبي ربيعة على بغل فدنا منها الفرس فحادت فطرحت ابن أبي ربيعة وكسرت فخذه وعرف أن الناس قد قتلوا عثمان فصار إلى مكة بعد الظهر فوجد عائشة يومئذ بها تدعو إلى الخروج لطلب دم عثمان فأمر بسرير فوضع له سرير في المسجد ثم حمل ووضع عليه وقال للناس من خرج لطلب دم عثمان فعلى جهازه فجهز ناسا كثيرا ولم يستطع الخروج معهم لما كان برجله.

وروى عبد الله بن السائب قال رأيت عبد الله بن أبي ربيعة على سرير في المسجد يحرض الناس على الخروج في طلب دم عثمان ويحمل من جاء وكان يعلى بن منبه التميمي حليف بني نوفل عاملا لعثمان على الجند فوافى الحج ذلك العام فلما بلغه قول ابن أبي ربيعة خرج من داره

وقال أيها الناس من خرج لطلب دم عثمان فعلي جهازه وكان قد صحب ابن أبي ربيعة مالا جزيلا فأنفقه في جهاز الناس إلى البصرة.

وروى الواقدي قال حدثني سالم بن عبد الله عن أبيه عن جده قال سمعت يعلى بن منبه يقول وهو مشتمل بصرة فيها عشرة آلاف دينار وهي عين مالي أقوي من طلب بدم عثمان فجعل يعطي الناس واشترى أربعمائة بعير وأناخها بالبطحاء وحمل عليها الرجال (١).

ولما اتصل بأمير المؤمنين (ع) خبر ابن أبي ربيعة وابن منبه وما بذلاه من المال في شقاقه والإفساد عليه قال والله إن ظفرت بابن منبه وابن أبي ربيعي لأجعلن أموالهما في سبيل الله، ثم قال بلغني إن ابن منبه بذل عشرة آلاف دينار في حربي من أين له عشرة آلاف دينار؟ سرقها من اليمن ثم جاء بها لئن وجدته لأخذته بما أقر به فلما كان يوم الجمل وانكشف الناس هرب يعلى بن منبه ولما رأت عائشة اجتماع من اجتمع بمكة إليها من مخالفة علي والمباينة له والطاعة لها في حربه تأهبت للخروج وكانت في كل يوم تقيم مناديها ينادي بالتأهب للخروج وكان المنادي ينادي فيقول من كان يريد المسير فليسر فإن أم المؤمنين سائرة إلى البصرة تطلب بدم عثمان بن عفان المظلوم.

وروى الواقدي عن أفلح بن سعيد عن يزيد بن زياد عن عبد الله ابن أبي رافع عن أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله قالت كنت مقيمة بمكة تلك السنة حتى دخل المحرم فلم أر إلا رسول طلحة والزبير جاءني عنهما يقول إن أم المؤمنين عائشة تريد أن تخرج للطلب بدم عثمان فلو خرجت معها رجونا أن يصلح بكما فتق هذه الأمة فأرسلت إليهما والله ما بهذا أمرت ولا عائشة لقد أمرنا الله أن نقر في بيوتنا لا نخرج للحرب أو للقتال مع أن أولياء عثمان غيرنا والله لا يجوز لنا عفو ولا صلح ولا

----

(١) الطبري (ج ٥ – ص ١٦٦).

قصاص وما ذاك إلا لولد عثمان وأخرى نقاتل علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ذو البلاء والعناء وأولى الناس بهذا الأمر والله ما أنصفتما رسول الله في نسائه حيث تخرجوهن إلى العراق وتتركوا نساءكم في بيوتكم ثم أرسلت إلى عائشة فنهتها أشد النهي عن طلحة والزبير في الخروج لقتال علي (ع) وذكرتها أمورا تعرفها وقالت لها أنشدك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لك اتق الله واحذري أن تنبحك كلاب الحوأب فقالت نعم وردعتها بعض الردع ثم رجعت إلى رأيها في المسير (١).

مؤامرة الناكثين:

فصل: فلما تحقق عزم القوم على المسير إلى البصرة وظهر تأهبهم لذلك اجتمع طلحة والزبير وعائشة وخواصهم من قومهم وبطانتهم وقالوا نحب أن نسرع النهضة إلى البصرة فإن بها شيعة عثمان وأنصاره وعامله عبد الله بن عامر وهو قريبه ونسيبه وقد عمل على استعداد

---

(١) في تذكرة الخواص ص ٣٨ ذكر نهي أم سلمة لها فلما رأتها لا تقبل قالت:

نصحت ولكن ليس للنصح قابل * ولو قبلت ما عنفتها العواذل
كان بها قد ردت الحرب رحلها * وليس لها إلا الترحل راحل

وفي المحاسن والمساوي للبيهقي (ج ١ - ص ٢٣١) أن أم سلمة حلفت أن لا تكلم عائشة من أجل مسيرها إلى حرب علي فدخلت عائشة عليها يوما وكلمتها فقالت أم سلمة ألم أنهك ألم أقل لك قالت إني أستغفر الله كلميني فقالت أم سلمة يا حائط ألم أنهك ألم أقل لك فلم تكلمها أم سلمة حتى ماتت.

الجنود من فارس وبلاد المشرق لمعونته على الطلب بدم عثمان وقد كاتبنا معاوية بن أبي سفيان أن ينفذ لنا الجند من الشام فإن أبطئنا عن الخروج خفنا أن يدهمنا علي (ع) بمكة أو في بعض الطريق فيمن يرى رأيه في عداوة عثمان خوفا من أن يفرق كلمتنا وإذا أسرعنا المسير إلى البصرة وأخرجنا عامله منها وقتلنا شيعته بها واستعنا بأمواله منها كنا على الثقة من الظفر بابن أبي طالب وإن أقام بالمدينة سيرنا إليه جنودا حتى نحصره فيخلع نفسه أو نقتله كما قتل عثمان وإن سار فهو كالئ ونحن جامون وهو على ظاهر البصرة ونحن بها متحصنون فلا يطول الزمان إلا بفل جموعه وإهلاك نفسه أو إراحة المسلمين من فتنته.

أم سلمة تحذر عائشة:

وبلغ أم سلمة اجتماع القوم وما خاضوا فيه فبكت حتى اخضل خمارها ثم أدنت ثيابها فلبستها ومشت إلى عائشة لتعظها وتصدها عن رأيها في مظاهرة أمير المؤمنين (ع) بالخلافة وتقعدها عن الخروج مع القوم فلما صارت إليها قالت إنك عدة رسول الله بين أمته وحجابك مضروب على حرمته وقد جمع القرآن ذيلك فلا تبدنيه وأملك خفرك فلا تضحيها الله الله من وراء هذه الآية قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد إليك لفعل بل نهاك عن الفرط في البلاء وإن عمود الدين لا يقام بالنساء إن انثلم ولا يشعب بهن إن انصدع فصدع النساء غض الأطراف وحف الأعطاف وقصر الوهادة وضم الذيول وما كنت قائلة لو أن رسول الله عارضك ببعض الفلاة ناصة قلوصا من منهل إلى آخر قد هتكت صداقته وتركت عهدته أن يغير الله بك لهواك على رسول الله أتدرين والله لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي ادخلي الفردوس لاستحيت أن ألقى رسول

الله صلى الله عليه وآله هاتكة حجابا قد ستره علي اجعلي حصنك بيتك وقاعة البيت قبرك حتى تلقينه وأنت على ذلك أطوع ما تكوني له ما لزمتيه وانظري بنوع الدين ما حلت عنه.

فقالت لها ما أعرفني بوعظك واقبلني لنصحك ولنعم المسير مسير فزعت إليه وأنا بين سائرة ومتأخرة فإن أقعد فمن غير جزع وإن أسير فإلى ما لا بد من الازدياد منه.

فلما رأت أم سلمة أن عائشة لا تمتنع عن الخروج عادت إلى مكانها وبعثت إلى رهط من المهاجر بن والأنصار قالت لهم لقد قتل عثمان بحضرتكم وكانا هذان الرجلان أعني طلحة والزبير يشيعان عليه كما رأيتم فلما قضى أمره بايعا عليا وقد خرجا الآن عليه زعما أنهما يطلبان بدم عثمان ويريدان أن يخرجا حبيسة رسول الله معهم وقد عهد إلى جميع نسائه عهدا واحدا أن يقرن في بيوتهن (١) فإن كان مع عائشة عهد سوى ذلك تظهره وتخرجه إلينا نعرفه فاتقوا الله عباد الله فإنا نأمركم

---

(١) في تفسير روح المعاني للآلوسي (ج ٢٢ - ص ٦) عند قوله تعالى (وقرن) روى البزار عن أنس أن النساء جئن إلى رسول الله بعد نزول الآية فقلن لقد ذهب الرجال بالفضل والجهاد فهل لنا عمل ندرك به فضل المجاهدين فقال: من قعدت منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين. قال الآلوسي وقد يحرم عليهن الخروج الزيارة والمسجد ويكون محرما كبيرة إذا تحققت الفتنة بخروجهن وفي الدر المنثور للسيوطي (ج ٥ - ص ١٩٦) أن سودة بنت زمعة زوجة النبي صلى الله عليه وآله لم تحج بعد نزول الآية فقيل لها في ذلك قالت إني حججت واعتمرت وأمرني ربي تعالى شأنه أن أقر في بيتي فلا أخرج حتى تخرج جنازتي قال وأخرج مسروق إن عائشة كلما قرأت (وقرن في بيوتكن) تبكي حتى تبل خمارها.

بتقوى الله والاعتصام بحبله والله ولي لنا ولكم.
فشق كثيرا على طلحة والزبير عند سماع هذا القول من أم سلمة ثم أنفذت أم سلمة إلى عائشة فقالت لها وقد وعظتك فلم تتعظي وقد كنت أعرف رأيك في عثمان وإنه لو طلب منك شربة ماء لمنعتيه ثم أنت اليوم تقولين إنه قتل مظلوما وتريدين أن تثيري لقتال أولى الناس بهذا الأمر قديما وحديثا فاتق الله حق تقاته ولا تعرضي لسخطه فأرسلت إليها عائشة أما ما كنت تعرفيه من رأيي في عثمان فقد كان ولا أجد مخرجا منه إلا الطلب بدمه وأما علي فإني آمره برد هذا الأمر شورى بين الناس فإن فعل وإلا ضربت وجهه بالسيف حتى يقضي الله ما هو قاض فأنفذت إليها أم سلمة أما أنا فغير واعظة لك من بعد ولا مكلمة لك جهدي وطاقتي والله إني لخائفة عليك البوار ثم النار والله ليخيبن ظنك ولينصرن الله ابن أبي طالب على من بغى وستعرفين عاقبة ما أقول والسلام
علي يجاهد الناكثين:
فصل: ولما اجتمع القوم على ما ذكرناه من شقاق أمير المؤمنين والتأهب للمسير إلى البصرة واتصل الخبر إليه وجاءه كتاب يخبره بخبر القوم دعا ابن عباس ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وسهل بن حنيف وأخبرهم بذلك وبما عليه القوم من المسير فقال محمد بن أبي بكر ما يريدون يا أمير المؤمنين؟ فتبسم عليه السلام وقال يطلبون بدم عثمان فقال محمد والله ما قتله غيرهم ثم قال علي أشيروا علي بما أسمع منكم القول فيه فقال عمار الرأي أن نسير إلى الكوفة فإن أهلها لنا شيعة وقد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة وقال ابن عباس الرأي عندي يا أمير المؤمنين أن نقدم رجالا إلى الكوفة فيبايعوا لك وتكتب إلى الأشعري أن يبايع لك ثم بعده المسير حتى نلحق بالكوفة فنعاجل القوم قبل أن يدخلوا

البصرة وتكتب إلى أم سلمة فتخرج معك فإنها لك قوة فقال أمير المؤمنين بل أنهض بنفسي ومن معي في اتباع الطريق وراء القوم فإن أدركتهم بالطريق أخذتهم وإن فاتوني كتبت إلى الكوفة واستمددت الجند من الأمصار وسرت إليهم.

وأما أم سلمة فإني لا أرى إخراجها من بيتها كما رأى الرجلان إخراج عائشة فبينما هم في ذلك إذ دخل عليهم أسامة بن زيد وقال لأمير المؤمنين فداك أبي وأمي لا تسر وحدك وانطلق إلى ينبع وخلف على المدينة رجلا وأقم بمالك فإن العرب لهم جولة ثم يصيرون إليك (١).

فقال له ابن عباس إن هذا القول منك يا أسامة على غير غل في صدرك فقد أخطأت وجه الرأي منه ليس هذا برأي (بعير يكون والله كهيئة الضبع في مغارتها) فقال أسامة فما الرأي قال ما أشرت به إليه وما رأى أمير المؤمنين لنفسه.

ثم نادى أمير المؤمنين عليه السلام في الناس تجهزوا للسير فإن طلحة والزبير قد نكثا البيعة ونقضا العهد وأخرجا عائشة من بيتها يريدان البصرة لإثارة الفتنة وسفك دماء أهل القبلة ثم رفع يديه إلى السماء فقال اللهم إن هذين الرجلين قد بغيا علي ونكثا عهدي ونقضا عقدي وشاقاني بغير حق سومهما ذلك اللهم خذهما بظلمهما واظفرني بهما وانصرني عليهما ثم خرج في سبعمائة رجل من المهاجرين والأنصار واستخلف على المدينة تمام بن عباس وبعث قثم بن عباس إلى مكة (٢)

---

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ – ص ١٦٠) ذكر هذا الرأي لابن عباس.

(٢) تاريخ الطبري (ج ٥ – ص ١٦٩) وفي تذكرة الخواص ص ٢٠١ كان المأمون يقول لبني العباس لما ولي الأمر من تولاه قبل علي (ع) لم يولوا أحدا من بني العباس ولا بني هاشم فلما صارت إلى أمير المؤمنين ترك آل أبي طالب وأقبل على بني العباس فولى عبد الله البصرة وعبيد الله اليمن ومعبدا مكة وقثم البحرين وما ترك أحدا ممن ينتمي إلى العباس إلا ولاه فهلا نكافأه في ولده.

ولما رأى أمير المؤمنين المسير طالبا للقوم ركب جملا أحمر وراجزه يقول (١):

سيروا أبابيل وحثوا السيرا * كي تلحقوا طلحة والزبيرا
إذ جلبا شرا وعافا خيرا * يا رب أدخلهم غدا سعيرا

وسار مجدا في السير حتى بلغ (الربذة) فوجد القوم قد فاتوا فنزل بها قليلا ثم توجه نحو البصرة والمهاجرون والأنصار عن يمينه وشماله محدقون به مع من سمع بمسيرهم فأتبعهم حتى نزل (بذي قار) فأقام بها.

كتاب علي إلى أبي موسى الأشعري:

ثم دعا هاشم بن عتبة المرقال وكتب معه كتابا إلى أبي موسى الأشعري وكان بالكوفة من قبل عثمان أن يوصل الكتاب إليه ليستنفر الناس منها إلى الجهاد معه وكان مضمون الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم: من علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس: أما بعد فإني أرسلت إليك هاشم بن عتبة المرقال لتشخص معه من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي وأحدثوا في هذه الأمة الحدث العظيم فأشخص الناس إلى معه حين يقدم بالكتاب عليك فلا تحبسه فإني لم أقرك في المصر الذي أنت فيه إلا أن تكون من أعواني وأنصاري على هذا الأمر والسلام.

---

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٨٦) أن راجز علي (ع) قال
سيروا أبابيل وحثوا السيرا * إذ عزم السير وقولوا خيرا
حتى يلاقوا وتلاقوا خيرا * نغزوا بها طلحة والزبيرا

فقدم هاشم بالكتاب على أبي موسى الأشعري فأقرأه الكتاب وقال له ما ترى فقال له أبو السائب اتبع ما كتب به إليك فأبى أبو موسى ذلك وكسر الكتاب ومحاه وبعث إلى هاشم بن عتبة يخوفه ويتوعده بالسجن فقال السائب بن مالك فأتيت هاشما فأخبرته بأمر أبي موسى.

فكتب هاشم إلى أمير المؤمنين.

أما بعد: يا أمير المؤمنين فإني قدمت بكتابك على أمرء شاق عاق بعيد الرحم ظاهر الغل والشقاق وقد بعثت إليك بهذا الكتاب مع المحل ابن خليفة الطائي وهو من شيعتك وأنصارك وعنده علم ما قبلنا فاسأله عما بدا لك واكتب إلي برأيك أتبعه والسلام (١).

فلما قدم الكتاب إلى علي (ع) وقرأه دعا الحسن ابنه وعمار بن ياسر وقيس بن سعد وبعثهم إلى أبي موسى وكتب معهم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد: يا ابن الحايك والله إني كنت لا أرى بعدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلا ولا جعل لك فيه نصيبا وقد بعثت لك الحسن وعمارا وقيسا فأخل لهم المصر وأهله واعتزل عملنا مذموما مدحورا فإن فعلت وإلا أمرتهم أن ينابذوك على سواء إن الله لا يحب الخائنين فإن أظهروا عليك قطعوك إربا إربا والسلام على من شكر النعم ورضي البيعة وعمل لله رجاء العاقبة

كتاب علي إلى أهل الكوفة:

فلما قدم الحسن وعمار وقيس الكوفة مستنفرين لأهلها وكان في كتابه معهم:

بسم الله الرحمن الرحيم. من علي بن أبي طالب إلى أهل الكوفة

---

(١) رواه في شرح النهج الحديدي (ج ٣ - ص ٢٩١) عن أبي مخنف.

أما بعد (١) فإني أخبركم من أمر عثمان حتى يكون أمره كالعيان لكم إن الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين أكثر استعتابه وأقل عتابه (٢) وكان طلحة والزبير أهون سيرهما إليه الوجيف وقد كان من عائشة فيه فلتة غضب فلما قتله الناس وبايعاني غير مستنكرين طائعين مختارين وكان طلحة والزبير أول من بايعني على ما بايعا به من كان قبلي ثم استأذناني في العمرة ولم يكونا يريدان العمرة فنقضا العهد وأذنا في الحرب وأخرجا عائشة من بيتها يتخذانها فتنة فسارا إلى البصرة واخترت السير إليهم معكم ولعمري إياي تجيبون إنما تجيبون الله ورسوله والله ما قاتلتهم وفي نفسي شك وقد بعثت إليكم ولدي الحسن وعمارا وقيسا مستنفرين لكم فكونوا عند ظني بكم والسلام (٣).

خطبة الحسن وعمار وقيس بالكوفة:

ولما نزل الحسن (ع) وعمار وقيس الكوفة ومعهم كتاب أمير المؤمنين (ع) قام فيهم الحسن (ع) فقال:

أيها الناس قد كان من أمير المؤمنين (ع) ما يكفيكم جملته وقد أتيناكم مستنفرين لكم لأنكم جبهة الأنصار وسنام العرب وقد نقضا طلحة والزبير بيعتهما وخرجا بعائشة وهي من النساء وضعف رأيهن كما قال الله تعالى: (الرجال قوامون على النساء) أما والله لئن لم تنصروه

---

(١) في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٣ - ص ٢٩١) مصر بعث الكتاب مع ابن عباس ومحمد بن أبي بكر.

(٢) الاستعتاب طلب العتبى وهي الرضا ومراده (ع) أنه كان يكثر من طلب رضاه ويقل من عتابه وتعنيفه.

(٣) رواه الشيخ الطوسي في الأمالي ص ٧٨ والسيد الرضي في النهج (ج ٢ - ص ٣) باختصار.

لينصرنه الله يتبعه من المهاجرين والأنصار وسائر الناس فانصروا ربكم ينصركم. ثم قام عمار بن ياسر فقال:
يا أهل الكوفة إن كانت هانت عندكم الدنيا فقد انتهت إليكم أمورنا وأخبارنا أن قاتلي عثمان لا يعتذرون إلى الناس من قتله وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجيهم فيه وقد كان طلحة والزبير أول من طعن عليه وأول من أمر بقتله وسعى في دمه فلما قتل بايعا عليا طوعا واختيارا ثم نكثا على غير حدث كان منه وهذا ابن رسول الله وقد عرفتم إنه أنفذه إليكم يستنفركم وقد اصطفاكم على المهاجرين والأنصار.
ثم قام قيس بن سعد فقال:
أيها الناس إن هذا الأمر لو استقبلنا به أهل الشورى لكان علي أحق الناس به لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله وكان قتال من أبى ذلك حلالا فكيف بالحجة على طلحة والزبير وقد بايعاه طوعا ثم خلعا حسدا وبغيا وقد جاءكم علي في المهاجرين والأنصار ثم أنشأ يقول:
رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا * عليا وأبناء الرسول محمد
وقلنا لهم أهلا وسهلا ومرحبا * نمد يدينا من هدى وتودد
فما للزبير الناقض العهد حرمة * ولا لأخيه طلحة فيه من يد
أتاكم سليل المصطفى ووصيه * وأنتم بحمد الله عارضة الندي
فمن قائم يرجى بخيل إلى الوغى * وضم العوالي والصفيح المهند
يسود من أدناه غير مدافع * وإن كان ما نقضيه غير مسود
فإن يك ما نهوى فذاك نريده * وإن نخط ما نهوى فغير تعمد (١)

---

(١) روى الشيخ الطوسي في الأمالي ص ٩٤ و ص ٨٧ بعضها للنجاشي مع زيادة لم تذكر هنا وقال إن النجاشي أجاب بالتسليم والطاعة.

خطبة أبي موسى الأشعري:

فلما فرغ القوم من كلامهم قام أبو موسى الأشعري فقال:

أيها الناس إن تطيعوا الله باديا وتطيعوني ثانيا تكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوي إليكم المضطر ويأمن فيكم الخائف أن عليا إنما يستنفركم لجهاد أمكم عائشة وطلحة والزبير حواري رسول الله ومن معهم من المسلمين وأنا أعلم بهذه الفتن أنها إذا أقبلت شبهت وإن أدبرت أسفرت وإن هذه الفتنة نافذة كداء البطن تجري بها الشمال والجنوب وتشتبك أحيانا فلا ندري ما تأتي أشيموا سيوفكم وقصروا رماحكم وقطعوا أوتاركم والزموا البيوت خلوا قريشا إذا أبوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالإمرة وترتق فتقها وتشعب صدعها فإن فعلت فلنفسها وإن أبت فعليها ما جنت سمها في أديمها استنصحوني ولا تستشفوني يسلم لكم دينكم ودنياكم ويشقى بهذه الفتنة من جناها (١).

نهضة زيد وأصحابه:

فقام زيد بن صوحان وكانت يده قطعت يوم جلولاء ثم قال:

يا أبا موسى تريد أن ترد الفرات عن أدراجه أنه لا يرجع من حيث بدا فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد ويلك (آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)، ثم قال: أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين وأطيعوا ابن سيد المرسلين وانفروا إليه أجمعون تصيبوا الحق وتظفروا بالرشد قد والله نصحتكم فاتبعوا رأيي ترشدون.

---

(١) رواها ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج ٣ - ص ٣٩٣) بزيادة.

ثم قام عبد خير (١) وقال لأبي موسى أخبرني يا أبا موسى هل كانا هذان الرجلان بايعا لعلي فيما بلغك وعرفت؟ قال نعم، قال فهل جاء علي (ع) بحدث يحل عقدة بيعته حتى ترد بيعته كما ردت بيعة عثمان؟ قال أبو موسى لا أعلم قال له عبد خير لا دريت نحن غير تاركيك حتى تدري حينئذ خبرني يا أبا موسى هل تعلم أحدا خارجا من هذه الفتنة التي تزعم أنها عمياء تحذر الناس منها؟ أما تعلم أنها أربع فرق: علي (ع) يظهر بالكوفة وطلحة والزبير بالبصرة ومعاوية بالشام وفرقة أخرى بالحجاز لا غناء بها ولا يقاتل بها عدو.

فقال أبو موسى الفرقة القاعدة عن القتال خير الناس فقال عبد خير غلبك عليك غشك يا أبا موسى (٢) فقام رجل من بجيلة فقال شعرا:

وحاجك عبد خير يا بن قيس * فأنت اليوم كالشاة الربيض
فلا حقا أصبت ولا ضلالا * فأنت اليوم تهوى بالحضيض
أبا موسى نظرت برأي سوء * تؤول به إلى قلب مريض
وتهت فليس تفرق بين خير * ولا شر ولا سود وبيض
وتذكر فتنة شملت وفيها * سقطت وأنت ترزح بالجريض (٣)

قال وبلغ أمير المؤمنين ما كان من أمر أبي موسى وتخذيله الناس عن نصرته فقام إليه مالك الأشتر (ره) فقال يا أمير المؤمنين إنك قد بعثت إلى الكوفة رجلا قبل هذين فلم أره أحكم شيئا وهذان أخلق من بعثت أن ينشب بهم الأمر على غير ما تحب ولست أدري ما يكون فإن رأيت جعلت فداك أن تبعثني في أثرهم فإن أهل الكوفة أحسن لي طاعة وإن

---

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٨٩) هو الخيواني.
(٢) ابن الأثير (ج ٣ - ص ٩٠) والطبري ج ٥ - ص ١٩٠
(٣) يقال رزح الرجل: ضعف وذهب ما بيده والجريض ابتلاع الريق غيضا وهما.

قدمت عليهم رجوت أن لا يخالفني أحد منهم فقال أمير المؤمنين (ع) الحق بهم على اسم الله فأقبل الأشتر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس بالمسجد الأعظم فأخذ لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم وقال لهم اتبعوني إلى القصر فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس فاقتحم القصر وأبو موسى في المسجد الأعظم يخطب الناس ويثبطهم عن نصرة علي (ع) وهو يقول أيها الناس هذه فتنة عمياء تطأ خطامها النائم فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي والساعي فيها خير من الراكب إنها فتنة باقرة كداء البطن أتتكم من قبل مأمنكم تدع الحليم فيها حيران كابن أمس إنا معاشر أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أعلم بالفتنة أنها إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت أسفرت.

وعمار والحسن وقيس يقولون له اعتزل عملنا لا أم لك وتنح عن منبرنا وأبو موسى يقول لعمار هذه يدي بما سمعت من رسول الله يقول ستكون بعدي فتنة القاعد فيها خير من القائم.

فقال له عمار إنما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لك خاصة ستكون فتنة أنت فيها يا أبا موسى قاعدا خير منك قائما.

الأشتر إلى القصر:

فبينا هم في الكلام إذ دخل غلمان أبي موسى ينادون يا أبا موسى هذا الأشتر اخرج من المسجد ودخل عليه أصحاب الأشتر فقالوا له اخرج من المسجد يا ويلك أخرج الله روحك إنك والله لمن المنافقين فخرج أبو موسى وأنفذ إلى الأشتر أن أجلني هذه العشية قال قد أجلتك ولا تبت في القصر هذه الليلة واعتزل ناحية عنه ودخل الناس ينتهبون

----

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ – ص ١٩٠).

متاع أبي موسى فأتبعهم الأشتر بمن أخرجهم من القصر وقال لهم إني أجلته فكف الناس عنه (١) ثم صعد الحسن (ع) المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر جده النبي صلى الله عليه وآله فصلى عليه ثم ذكر فضل أمير المؤمنين وإنه أحق بالأمر من غيره وأن من خالفه على ضلال.

ثم نزل فصعد عمار فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ثم قال:

أيها الناس إنا لما خشينا على هذا الدين أن يهدم جوانبه وأن يتعرى أديمه نظرنا لأنفسنا ولديننا فاخترنا عليا (ع) خليفة ورضيناه إماما فنعم الخليفة ونعم المؤدب مؤدب لا يؤدب وفقيه لا يعلم وصاحب بأس لا ينكر وذو سابقة في الإسلام ليس لأحد من الناس غيره وقد خالفه قوم من أصحابه حاسدون له وباغون عليه وقد توجهوا إلى البصرة فاخرجوا إليهم رحمكم الله فإنكم لو شاهدتموهم وحاججتموهم تبين لكم أنهم ظالمون.

خطبة الأشتر:

ثم خرج الأشتر رحمه الله وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس اصغوا لي بأسماعكم وافهموا لي بقلوبكم إن الله عز وجل قد أنعم عليكم بالإسلام نعمة لا تقدرون قدرها ولا تؤدون شكرها كنتم أعداء يأكل قويكم ضعيفكم وينتهب كثيركم قليلكم وتنتهك حرمات الله بينكم والسبيل مخوف والشرك عندكم كثير والأرحام عندكم مقطوعة وكل أهل دين لكم قاهرون فمن الله عليكم بمحمد صلى الله عليه وآله فجمع شمل هذه الفرقة وألف بينكم بعد العداوة وكثركم بعد أن كنتم قليلين ثم قبضه الله وحوله إليه فحوى بعده رجلان ثم ولي بعدهما رجل نبذ كتاب الله وراء ظهره وعمل في أحكام الله بهوى نفسه فسألناه أن

----

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ – ص ١٩٠).

يعتزل لنا نفسه فلم يفعل وأقام على أحداثه فاخترنا هلاكه على هلاك ديننا ودنيانا ولا يبعد الله إلا القوم الظالمين وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكانا وأعظمهم في الإسلام سهما ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأفقه الناس في الدين وأقرأهم للكتاب وأشجعهم عند اللقاء يوم البأس وقد استنفركم فما تنتظرون؟ أسعيد أم الوليد؟ الذي شرب الخمر وصلى بكم على سكر وهو سكران منها واستباح ما حرمه الله فيكم أي هذين تريدون قبح الله من له هذا الرأي ألا فانفروا مع الحسن ابن بنت نبيكم ولا يتخلف رجل له قوة فوالله ما يدري رجل منكم ما يضره وما ينفعه وإني لكم ناصح شفيق عليكم إن كنتم تعقلون أو تبصرون أصبحوا إن شاء الله غدا عادين مستعدين وهذا وجهي إلى ما هناك بالوفاء

خطبة حجر بن عدي:

ثم قام حجر بن عدي الكندي وقال:

أيها الناس هذا الحسن بن أمير المؤمنين وهو من عرفتم أحد أبويه النبي صلى الله عليه وآله والآخر الإمام الرضي المأمون الوصي صلى الله عليهما الذين ليس لهم شبيه في الإسلام سيد شباب أهل الجنة وسيد سادات العرب أكملهم صلاحا وأفضلهم علما وعملا وهو رسول أبيه إليكم يدعوكم إلى الحق ويسألكم النصر السعيد من ودهم ونصرهم والشقي من تخلف عنهم بنفسه عن مواساتهم فانفروا معه رحمكم الله خفافا وثقالا واحتسبوا في ذلك الأجر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

فأجاب الناس بأجمعهم بالسمع والطاعة.

وقد ذكر الواقدي أن عليا أنفذ إلى أهل الكوفة رسلا وكتب إليهم كتابا عند خروجه من المدينة وقبل نزوله بذي قار وقال في حديث آخر رواه أنه أنفذ إلى القوم من الربذة حين فاته رد طلحة والزبير

من الطريق ثم اتفق الواقدي وأبو مخنف وغيرهما من أصحاب السيرة على ما ذكرناه من إنفاذ الرسل وكتب الكتب من ذي قار إلى أهل الكوفة يستنفرهم للجهاد معه والاستعانة بهم على أعدائه الناكثين لعهده الخارجين لحربه فكان مما رواه الواقدي أن قال حدثني عبيد الله بن الحرث بن الفضل عن أبيه قال لما عزم علي (ع) على المسير من المدينة لرد طلحة والزبير بعث محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر إلى الكوفة وكان عليها أبو موسى الأشعري فلما قدما عليه أساء القول لهما وأغلظ وقال: إن بيعة عثمان لفي رقبة صاحبكم وفي رقبتي ما خرجنا منها.

ثم قام على المنبر وقال:

أيها الناس إنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن أعلم منكم بهذه الفتنة فاحذروها إن عائشة كتبت إلي أن اكفني من قبلك وهذا علي بن أبي طالب قادم إليكم يريد أن يسفك بكم دماء المسلمين فكسروا نبلكم واقطعوا أوتاركم واضربوا الحجارة بسيوفكم.

فقال محمد بن الحنفية (رض) لمحمد بن أبي بكر يا أخي ما عند هذا خير ارجع بنا إلى أمير المؤمنين نخبره الخبر فلما رجعا إليه وأخبراه الحال وقد كان كتب معهما كتابا إلى أبي موسى الأشعري أن يبايع من قبله على السمع والطاعة وقال له في كتابه أخرج الناس عن حجزتك وارفع عنهم سوطك واجلس بالعراق فإن خففت فاقبل وإن ثقلت فاقعد فلما قرأ الكتاب قال أثقل ثم أثقل.

كتاب علي إلى أهل الكوفة:

ولما بلغ علي ما قال وصنع غضب غضبا شديدا وبعث عمار بن ياسر والحسن (ع) وكتب معهم كتابا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين

إلى أهل الكوفة من المؤمنين والمسلمين. أما بعد: فإن دار الهجرة تقلعت بأهلها فانقلعوا منها، وجاشت جيشان المرجل، وكانت فاعلة يوم ما فعلت، وقد ركبت المرأة الجمل، ونبحتها كلاب الحوأب، وقامت الفتنة الباغية يقودها، يطلبون بدم هم سفكوه، وعرض هم شتموه; وحرمة انتهكوها، وأباحوا ما أباحوا، يعتذرون إلى الناس دون الله يحلفون لكم لترضون عنهم، فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين; اعملوا رحمكم الله أن الجهاد مفترض على العباد فقد جاءكم في داركم من يحثكم عليه، ويعرض عليكم رشدكم، والله يعلم أني لم أجد بدا من الدخول في هذا الأمر، ولو علمت أن أحدا أولى به مني لما تقدمت إليه وقد بايعني طلحة والزبير طائعين غير مكرهين ثم خرجا يطلبان بدم عثمان وهما اللذان فعلا بعثمان ما فعلا وعجبت لهما كيف أطاعا أبا بكر وعمر في البيعة وأبيا ذلك علي وهما يعلمان أني لست بدون واحد منهما مع أني قد عرضت عليهما قبل أن يبايعاني إذا أحبا بايعت لأحدهما فقالا لا ننفس على ذلك بل نبايعك ونقدمك علينا بحق فبايعا ثم نكثا والسلام.

علي (ع) في الطريق:

ولما سار عليه السلام من المدينة انتهى إلى فيد وكان قد عدل إلى جبال طي حتى سار معه عدي بن حاتم في ستماءة رجل من قومه فقال عليه السلام لابن عباس ما الرأي عندك في أهل الكوفة فقال له ابن عباس أنفذ عمارا فإنه رجل له سابقة في الإسلام وقد شهد بدرا فإنه إن تكلم هناك صرف الناس إليك وأنا أخرج معه وابعث معنا الحسن ابنك ففعل ذلك فخرجوا حتى قدموا على أبي موسى الأشعري فلما وصلوا الكوفة قال ابن عباس للحسن ولعمار إن أبا موسى عاق فإذا

رفقنا به أدركنا حاجتنا منه فقالا افعل ما شئت.
فقال ابن عباس لأبي موسى أن عليا أرسلنا إليك لما يطرقه سرعتك إلى طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ومصيرك إلى ما أحببنا أهل البيت وقد علمت فضله وسابقته في الإسلام ويقول لك إن تبايع له الناس ويقرك على عملك ويرضى عنك فانخدع أبو موسى وصعد المنبر فبايع لعلي ساعة من النهار ثم نزل.

خطبة عمار بالكوفة:

فقال عمار: الحمد لله حمدا كثيرا فإنه أهل على نعمته التي لا يحصيها ولا يقدر قدرها ولا يؤدى شكرها أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور الواضح والسلطان القاهر والأمين الناصح والحكيم الراجح رسول رب العالمين وقائد المؤمنين وخاتم النبيين بالصدق وصدق المرسلين وجاهد في الله حتى أتاه اليقين.
ثم إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) حفظه الله ونصره نصرا عزيزا وابرم له أمرا رشيدا بعثني إليكم وابنه يأمركم بالنفر إليه فانظروا إليه واتقوا وأطيعوا الله والله لو علمت أن على وجه الأرض بشرا أعلم بكتاب الله وسنة نبيه منه ما استنفرتكم إليه ولا بايعته على الموت يا معشر أهل الكوفة الله الله في الجهاد فوالله لئن صارت الأمور إلى غير علي (ع) لتصيرن إلى البلاء العظيم والله يعلم أني قد نصحت لكم وأمرتكم بما أخذت بيقيني وما أريد أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب أستغفر الله لي ولكم.
ثم نزل فصبر هنيئة ثم عاد إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس هذا ابن عم رسول نبيكم قد بعثني إليكم استنصركم
إلا أن طلحة والزبير قد سارا نحو البصرة وأخرجا عائشة معهما للفتنة
ألا وإن الله قد ابتلاكم بحق أمكم وحق أبيكم وحق ربكم أولى
وأعظم عليكم من حق أمكم وأبيكم ولكن الله قد ابتلاكم لينظر
كيف تعملون فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا في سبيل الله وانفروا
إلى خليفتكم وصهر نبيكم فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قد بايعوه
بالمدينة وهي دار الهجرة ودار السلام أسأل الله أن يوفقكم.
ثم نزل فصعد الحسن بن علي عليهما السلام على المنبر فحمد الله وأثنى
عليه وذكر جده فصلى عليه وذكر فضل أبيه وسابقته وقرابته من
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه أولى بالأمر من غيره ثم قال
معاشر الناس إن طلحة والزبير بايعا عليا طايعين غير مكرهين ثم نفرا
ونكثا بيعتهما له فطوبى لمن خف في مجاهدة من جاهده فإن الجهاد معه
كالجهاد مع النبي صلى الله عليه وآله.
ثم نزل وكان أمير المؤمنين (ع) كتب مع ابن عباس كتابا إلى
أبي موسى الأشعري وغلظ فيه فقال ابن عباس قلت في نفسي أقدم
على رجل وهو أمير بمثل هذا الكتاب أن لا ينظر في كتابي ونظرت أن
أشق كتاب أمير المؤمنين وكتبت من عندي كتابا عنه لأبي موسى:
أما بعد فقد عرفت مودتك إيانا أهل البيت وانقطاعك إلينا وإنما
فرغب إليك لما نعرف من حسن رأيك فينا فإذا أتاك كتابي فبايع لنا
الناس والسلام.
فدفعه إليه فلما قرأه أبو موسى قال لي أنا الأمير أو أنت؟ قلت
أنت الأمير فدعا الناس إلى بيعة علي فلما بايع قمت وصعدت المنبر فرام
إنزالي منه فقلت أنت تنزلني عن المنبر؟ وأخذت بقائم سيفي فقلت أثبت
مكانك والله لئن نزلت إليك هذبتك به فلم يبرح فبايعت الناس لعلي

وخلعت أبا موسى في الحال واستعملت مكانه قرضة بن عبد الله
الأنصاري ولم أبرح من الكوفة حتى سيرت لعلي (ع) في البر والبحر
من أهلها سبعة آلاف رجل ولحقته بذي قار قال وقد سار معه من
جبال طي وغيرها ألفا رجل ولما صار أهل الكوفة إلى ذي قار ولقوا
عليا (ع) بها رحبوا به وقالوا الحمد لله الذي خصنا بمودتك وأكرمنا
بنصرتك فجزاهم خيرا.

خطبة علي بذي قار:

ثم قام وخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه ثم قال:
يا أهل الكوفة إنكم من أكرم المسلمين وأعدلهم سنة وأفضلهم في
الإسلام سهما وأجودهم في العرب مركبا ونصابا، حزبكم بيوتات العرب
وفرسانهم ومواليهم، أنتم أشد العرب ودا للنبي; وإنما اخترتكم ثقة بعد الله
لما بذلتم لي أنفسكم عند نقض طلحة والزبير بيعتي وعهدي، وخلافهما طاعتي
وإقبالهما بعائشة لمخالفتي ومبارزتي وإخراجهما لها من بيتها، حتى أقدماها
البصرة. وقد بلغني أن أهل البصرة فرقتان: فرقة الخير والفضل والدين
قد اعتزلوا وكرهوا ما فعل طلحة والزبير! ثم سكت عليه السلام، فأجابه
أهل الكوفة: نحن أنصارك وأعوانك على عدوك، ولو دعوتنا إلى أضعافهم
من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوناه فرد عليهم خيرا (١).

خطبة أخرى بذي قار:

ولما أراد (ع) المسير من ذي قار تكلم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:
إن الله عز وجل بعث محمدا للناس كافة ورحمة للعالمين، فصدع بما أمر به

---

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٩٠) روى خطبته (ع) بغير هذا اللفظ.

وبلغ رسالات ربه، فلما ألم به الصدع ورتق به الفتق وأمن به السبيل وحقن به الدماء وألف به بين ذوي الأحقاد والعداوة الواغرة في الصدور، والضغائن الكامنة في القلوب، قبضه الله عز وجل إليه حميدا وقد أدى الرسالة ونصح للأمة، فلما مضى صلى الله عليه وآله لسبيله دفعنا عن حقنا من دفعنا وولوا من ولوا سوانا ثم ولاها عثمان بن عفان فنال منكم ونلتم منه حتى إذا كان من أمره ما كان أتيتموني فقلتم بايعنا فقلت لكم لا أفعل; فقلتم بلى لا بد من ذلك، فقبضتم يدي فبسطتموها وتداككتم علي تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى لقد خفت إنكم قاتلي، أو بعضكم قاتل بعض; فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل، وقد علم الله سبحانه إني كنت كارها للحكومة بين أمة محمد، ولقد سمعته يقول! ما من وال يلي شيئا من أمر أمتي إلا أتى الله يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه على رؤوس الخلائق، ثم ينشر كتابه فإن كان عادلا نجا وإن كان جائرا هوى. ثم اجتمع علي ملؤكم وبايعني طلحة والزبير وأنا أعرف الغدر في وجهيهما والنكث في عينيهما ثم استأذناني في العمرة فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان فسارا إلى مكة واستخفا عائشة وخدعاها وشخص معها أبناء الطلقاء فقدموا البصرة وهتكوا بها المسلمين وفعلوا المنكر، ويا عجبا لاستقامتهما لأبي بكر وعمر وبغيهما علي وهما يعلمان إني لست دون أحدهما ولو شئت أن أقول لقلت، ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتابا يخدعهما فيه فكتماه عني وخرجا يوهمان الطغام أنهما يطلبان بدم عثمان والله ما أنكرا علي منكرا ولا جعلا بيني وبينهما نصفا وأن دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوب فيهما يا خيبة الداعي إلى ما ادعا وبماذا أجيب، والله إنهما لفي ظلالة صماء وجهالة عمياء وإن الشيطان قد دبر لهما حزبه واستجلب منهما خيله ورجاله ليعيد الجور إلى أوطانه ويرد الباطل إلى نصابه. ثم رفع يديه وقال: اللهم إن طلحة والزبير

قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي فاحلل ما عقدا وانكث ما أبرما ولا تغفر لهما أبدا وأرهما المساءة فيما عملا وأملا.

فقام الأشتر رضي الله عنه فقال: خفض عليك يا أمير المؤمنين فوالله ما أمر طلحة والزبير علينا بمحيل لقد دخلا في هذا الأمر اختيارا ثم فارقانا على غير جور عملناه ولا حدث في الإسلام أحدثناه; ثم أقبلا يثيران الفتنة علينا تائهين جائرين ليس معهما حجة ترى ولا أثر يعرف لقد لبسا العار وتوجها لمحو الديار، فإن زعما أن عثمان قتل مظلوما فليستقد آل عثمان منهما فأشهد أنهما قتلاه وأشهد الله يا أمير المؤمنين لئن لم يدخلا فيما خرجا منه ولم يرجعا إلى طاعتك وما كانا عليه لنلحقهما بابن عفان.

أبو التيهان:

وقام أبو الهيثم بن التيهان رحمه الله وقال يا أمير المؤمنين صبحهم الله بما يكرهون فإن أقبلوا قبلنا منهم وإن أدبروا لنجاهدنهم فلعمري ما قوم قتلوا النفس التي حرم الله قتلها وأخذوا الأموال وأخافوا أهل الإيمان بأهل أن يكف عنهم، فأقبل أمير المؤمنين (ع) على عدي بن حاتم فقال له يا عدي أنت شاهد لنا وحاضر معنا وما نحن فيه.

عدي بن حاتم:

فقال عدي شهدتك أو غبت عنك فأنا عندما أحببت هذه خيولنا معدة ورماحنا محددة وسيوفنا محمرة فإن رأيت أن نتقدم تقدمنا وإن رأيت أن نحجم أحجمنا نحن طوع لأمرك فأمر بما شئت نسارع إلى امتثال أمرك.

أبو زينب الأزدي:
وقام أبو زينب الأزدي فقال والله إن كنا على الحق إنك لأهدانا سبيلا وأعظمنا في الخير نصيبا وإن كنا على الضلالة والعياذ بالله أن نكون عليه، لأنك أعظمنا وزرا وأثقلنا ظهرا وقد أردنا المسير إلى هؤلاء القوم وقطعنا منهم الولاية وأظهرنا منهم البراءة وظاهرناهم بالعداوة ونريد بذلك ما يعلمه الله عز وجل وأننا ننشدك الله الذي علمك ما لم نكن نعلم ألسنا على الحق وعدونا على الضلال فقال (ع) أشهد لئن خرجت لدينك ناصرا صحيح النية قد قطعت منهم الولاية وأظهرت منهم البراءة كما قلت أنك لفي رضوان الله فأبشر يا أبا زينب فإنك والله على الحق فلا تشك فإنك إنما تقاتل الأحزاب فأنشأ أبو زينب يقول:
سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي * فإن خير الناس أتباع علي
هذا أوان طاب سل المشرفي * وقودنا الخيل وهز السمهري
ولما استقر أمر أهل الكوفة على النهوض لأمير المؤمنين (ع) وخف بعضهم لذلك بادر ابن عباس ومن معه من الرسل فيمن اتبعهم من أهل الكوفة إلى ذي قار للالتحاق بأمير المؤمنين وأخباره بما عليه القوم من الجد والاجتهاد في طاعته وأنهم لاحقون به غير متأخرين عنه وإنما تقدمهم ليستعد للسفر وللحرب وقد كان استخلف قرضة بن كعب على الكوفة على ما قدمناه ويحث الناس على اللحاق به.
فورد على أمير المؤمنين كتابا قد كتب إليه من البصرة ما صنعه القوم بعامله عثمان بن حنيف رحمه الله وما استحلوه من الدماء ونهب الأموال وقتل من قتلوه من شيعته وأنصاره وما أثاروه من الفتنة فيها فوجوده ابن عباس وقد أحزنه ذلك وغمه وأزعجه وأقلقه فأخبره بطاعة أهل الكوفة ووعده منهم بالنصرة فسر عند ذلك وأقام ينتظر أهل

الكوفة والمدد الذي ينتصر بهم على عدوه.

ابن حنيف مع الناكثين:

فصل: وكان من حديث القوم فيما صنعوه بعثمان بن حنيف رضي الله عنه ومن ذكرناه معه على ما جاءت به الأخبار واتفق عليه نقلة السير والآثار.

روى الواقدي وأبو مخنف عن أصحابهما والمدايني وابن دأب عن مشايخهما بالأسانيد التي اختصرنا القول بإسقاطها واعتمدنا فيها على ثبوتها في مصنفات القوم وكتبهم فقالوا إن عائشة وطلحة والزبير لما ساروا من مكة إلى البصرة أعدوا السير مع من اتبعهم من بني أمية وعمال عثمان وغيرهم من قريش حتى صاروا إلى البصرة فنزلوا حفر أبي موسى (١) فبلغ عثمان بن حنيف وهو عامل البصرة يومئذ وخليفة أمير المؤمنين وكان عنده حكيم بن جبلة فقال له حكيم ما الذي بلغك فقال خبرت إن القوم قد نزلوا حفر أبي موسى فقال له حكيم ائذن لي أن أسير إليهم فإني رجل في طاعة أمير المؤمنين (ع) فقال له عثمان توقف عن ذلك حتى أراسلهم فقال له حكيم إنا لله هلكت والله يا عثمان، فأعرض عنه وأرسل إلى عمران بن حصين وأبي الأسود الدؤلي فذكر لهما قدوم القوم البصرة وحلولهم حفر أبي موسى وسألهما المسير إليهم وخطابهم على ما قصدوا به وكفهم عن الفتنة فخرجا حتى دخلا على عائشة فقالا لها يا أم المؤمنين ما حملك على المسير؟ فقالت غضبت لكما من سوط عثمان وعصاه ولا أغضبت أن يقتل فقالا لها وما أنت من سوط عثمان وعصاه وإنما أنت

---

(١) سماه ابن جرير في التاريخ (ج ٥ - ص ١٧٣) الحفير ولم يضفه إلى أبي موسى وفي معجم البلدان (ج ٣ - ص ٣٠٤) الحفير بالتصغير ماء لباهلة بينه وبين البصرة أربعة أميال.

حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وإنا نذكرك الله أن يهراق الدماء في سبيلك فقالت وهل من أحد يقاتلني! فقال لها أبو الأسود الدؤلي نعم والله قتالا أهونه شديد، ثم خرجا من عندها فدخلا على الزبير فقالا له يا أبا عبد الله ننشدك الله أن يهراق الدماء في سبيلك فقال لهما ارجعا من حيث جئتما أن لا تفسدا علينا فأيسا منه وخرجا حتى دخلا على طلحة فقالا له ننشدك الله أن يهراق الدماء في سبيلك فقال لهما طلحة أيحب علي بن أبي طالب (ع) أنه إذا غلب على أمر المدينة أن الأمر له، وأنه لا أمر إلا أمره والله ليعلمن فانصرفا من حيث جئتما فانصرفا من عنده إلى عثمان ابن حنيف فأخبراه الخبر.

وروى ابن أبي سبرة عن عيسى بن عيسى عن الشعبي أن أبا الأسود الدؤلي وعمران لما دخلا على عائشة قالا لها ما الذي أقدمك هذا البلد؟ وأنت حبيسة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أمرك أن تقري في بيتك فقالت غضبت لكم من السوط والعصا، ولا أغضب لعثمان من السيف فقالا لها ننشدك الله أن يهراق الدماء في سبيلك وأن تحملي الناس بعضهم على بعض فقالت لهما إنما جئت لأصلح بين الناس وقالت لعمران بن الحصين ها أنت مبلغ عثمان بن حنيف رسالة فقال لا أبلغه عنك إلا خيرا فقال لها أبو الأسود أنا أبلغه عنك فهاتي، قالت له يا طليق ابن أبي عامر بلغني إنك تريد لقائي لتقاتلني، فقال لها أبو الأسود الدؤلي نعم والله لنقاتلنك فقالت وأنت أيضا يبلغني عنك ما يبلغني قم فانصرف عني فخرجا من عندها إلى طلحة فقالا له يا أبا محمد ألم تجمع الناس إلى حرب ابن عم رسول الله؟ الذي فضله الله كذا وكذا وجعلا يعددان مناقب أمير المؤمنين (ع) وفضائله وحقوقه فوقع طلحة بعلي وسبه ونال منه وقال إنه ليس أحد مثله أما والله ليعلمن غير ذلك، فخرجا من عنده وهما يقولان غضب هذا المدني، ثم دخلا على الزبير فكلماه مثل كلامهما لصاحبه فوقع أيضا في

علي (ع) وسبه، وقال لقوم كان بمحضرهم صبحوهم قبل أن يمسوكم فخرجا من عنده حتى صارا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه الخبر، فأذن عثمان للناس بالحرب (١).

فرح حفصة:

فصل: ولما بلغ عائشة نزول أمير المؤمنين (ع) بذي قار كتبت إلى حفصة بنت عمر:

أما بعد فلما نزلنا البصرة ونزل علي بذي قار والله داق عنقه كدق البيضة على الصفا أنه بمنزلة الأشقر، إن تقدم نحر وإن تأخر عقر فلما وصل الكتاب إلى حفصة استبشرت بذلك ودعت صبيان بني تيم وعدي وأعطت جواريها دفوفا وأمرتهن أن يضربن بالدفوف ويقلن ما الخبر ما الخبر علي كالأشقر بذي قار إن تقدم نحر وإن تأخر عقر، فبلغ أم سلمة (رض) اجتماع النسوة على ما اجتمعن عليه من سب أمير المؤمنين والمسرة بالكتاب الوارد عليهن من عائشة فبكت وقالت أعطوني ثيابي حتى أخرج إليهن وأوقع بهم.

أم كلثوم مع حفصة:

فقالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنين (ع) أنا أنوب عنك فإنني أعرف منك فلبست ثيابها وتنكرت وتخفرت واستصحبت جواريها متخفرات وجاءت حتى دخلت عليهن كأنها من النضارة فلما رأت إلى ما هن فيه من العبث والسفه كشفت نقابها وأبرزت لهن وجهها ثم قالت لحفصة إن تظاهرت أنت وأختك على أمير المؤمنين (ع) فقد تظاهرتما على أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل فأنزل الله عز وجل فيكما ما أنزل

---

(١) ابن الأثير (ج ٣ – ص ٨٢).

والله من وراء حربكما (١) وأظهرت حفصة خجلا وقالت إنهن فعلن هذا بجهل وفرقتهن في الحال.

خطبة عائشة بالمربد:

ولما بلغ عائشة رأي ابن حنيف في القتال ركبت الجمل وأحاط بها القوم وسارت حتى وقفت (بالمربد) واجتمع إليها الناس حتى امتلأ المربد بهم فقالت وهي على الجمل صه صه فسكت الناس واصغوا إليها فحمدت الله تعالى وقالت:

أما بعد فإن عثمان بن عفان قد كان غير وبدل فلم يزل يغسله بالتوبة حتى صار كالذهب المصفى فعدوا عليه وقتلوه في داره وقتل ناس معه في داره ظلما وعدوانا ثم آثروا عليا فبايعوه من غير ملائمة من الناس ولا شورى ولا اختيار فابتز والله أمرهم وكان المبايعون له يقولون خذها إليك واحذرن أبا حسن إنا غضبنا لكم على عثمان من السوط فكيف لا نغضب لعثمان من الغضب أن الأمر لا يصح حتى يرد الأمر إلى ما صنع عمر من الشورى فلا يدخل فيه أحد سفك دم عثمان.

فقال بعض الناس صدقت وقال بعض الناس كذبت واضطربوا بالفعال وتركتهم وسارت حتى أتت (الدباغين) وقد تحيز الناس بعضهم مع طلحة والزبير وعائشة وبعضهم متمسك ببيعة أمير المؤمنين والرضا به فسارت من موضعها ومن معها واتبعها على رأيها طلحة والزبير

---

(١) إشارة إلى ما جاء في سورة التحريم من قوله تعالى: (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به) الآية. ففي تفسير الخازن (ج ٧ - ص ٩٧) وروح المعاني للآلوسي (ج ٢٨ - ص ١٥٢) عن ابن عباس أن حفصة أسرت حديثا لرسول الله صلى الله عليه وآله إلى عائشة وكانتا متصافيتين وهما اللتان تظاهرتا عليه ونزل القرآن فيهما.

ومروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير حتى أتوا دار الإمارة فسألوا عثمان بن حنيف الخروج عنها فأبى عليهم ذلك واجتمع إليه أنصاره وزمرة من أهل البصرة فاقتتلوا قتالا شديدا حتى زالت الشمس وأصيب يومئذ من عبد القيس خاصة خمسمائة شيخ مخضوب من أصحاب عثمان ابن حنيف وشيعة أمير المؤمنين سوى من أصيب من ساير الناس وبلغ الحرب بينهم التزاحف إلى (مقبرة بني مازن) ثم خرجوا على مسناة البصرة حتى انتهوا إلى (الزابوقة) وهي ساحة دار (الرزق) (١)

فاقتتلوا قتالا شديدا كثر فيه القتلى والجرحى من الفريقين ثم إنهم تداعوا إلى الصلح ودخل بينهم الناس لما رأوا من عظيم ما ابتلوا به فتصالحوا على أن لعثمان بن حنيف دار الإمارة والمسجد وبيت المال ولطلحة والزبير وعائشة ما شاؤوا من البصرة ولا يحاجوا حتى يقدم أمير المؤمنين (ع) فإن أحبوا عبد ذلك الدخول في طاعته وإن أحبوا أن يقاتلوا، وكتبوا بذلك كتابا بينهم وأوثقوا فيه العهود وأكدوها وأشهدوا الناس على ذلك (٢) ووضع السلاح وآمن عثمان بن حنيف على نفسه وتفرق الناس عنه.

وطلب طلحة والزبير وأصحابهما عثمان حتى أتوا دار الإمارة وعثمان ابن حنيف غافل عنهم وعلى باب الدار السبابجة يحرسون بيوت الأموال

---

(١) في معجم البلدان (ج ٤ – ص ٣٦٦) إنها بالزاء المعجمة بعدها ألف ثم باء موحدة وبعدها واو ثم القاف مدينة المسامعة قرب البصرة وهم بنو مسمع بن شهاب بن بلع بن عمرو الخ. وفيها كانت وقعة الجمل

(٢) نص عليه في تاريخ الطبري (ج ٥ – ص ١٧٧) وابن الأثير (ج ٣ – ص ٨٤) وذكرا أن أسامة بن زيد قال أشهد إنهما بايعا مكرهين فثار عليه تمام بن العباس وسهل بن حنيف مع جماعة فانتصر له محمد بن مسلمة وصهيب بن سنان فأخرجوه إلى منزلهم.

وكانوا قوما من الزط ووضعوا فيهم السيف من أربع جوانبهم فقتلوا أربعين رجلا منهم صبرا، يتولى منهم ذلك الزبير خاصة، ثم هجموا على عثمان فأوثقوه رباطا وعمدوا إلى لحيته وكان شيخا كث اللحية فنتفوها حتى لم يبق منها شئ ولا شعرة واحدة وقال طلحة عذبوا الفاسق وانتفوا شعر حاجبيه وأشفار عينيه وأوثقوه بالحديد.

فلما أصبحوا اجتمع الناس إليهم وأذن مؤذن المسجد لصلاة الغداة فرام طلحة أن يتقدم للصلاة بهم فدفعه الزبير وأراد أن يصلي بهم فمنعه طلحة فما زالا يتدافعان حتى كادت الشمس أن تطلع فنادى أهل البصرة الله الله يا أصحاب رسول الله في الصلاة نخاف فوتها (١).

فقالت عائشة: مروا أن يصلي بالناس غيرهما فقال لهم يعلى بن منبه يصلي عبد الله بن الزبير يوما ومحمد بن طلحة يوما حتى يتفق الناس على أمير يرضونه فتقدم ابن الزبير وصلى بهم ذلك اليوم.

وبلغ حكيم بن جبلة العبدي ما صنع القوم بعثمان بن حنيف وقتلهم السبابجة الصالحين خزان بيت مال المسلمين فنادى في قومه يا قوم انفروا إلى هؤلاء الضالين الظالمين الذين سفكوا الدم الحرام وفعلوا بالعبد الصالح واستحلوا ما حرم الله عز وجل فأجابه سبعماءة رجل من عبد قيس وأتوا المسجد واجتمع الناس إلى حكيم بن جبلة فقال للقوم أما ترون ما صنعوا بأخي عثمان بن حنيف ما صنعوا؟ لست بأخيه إن لم أنصره ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إن طلحة والزبير لم يريدا بما عملا القربة منك وما أرادا إلا الدنيا اللهم اقتلهما بمن قتلا ولا تعطهما ما أملا ثم ركب فرسه وأخذ بيده الرمح واتبعه أصحابه وأقبل طلحة والزبير

----

(١) ابن الأثير (ج ٣ – ص ٨١) والتفت أيها النابه إلى الغاية المقصودة لهما وإلا فما هذا النزاع إن كانا يطلبان الحقيقة وما عشت أراك الدهر عجبا.

ومن معهما وهم في كثرة من الناس قد انضم إليهم الجمهور واقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت بينهم الجرحى والقتلى وبرز إلى حكيم بن جبلة رجل من القوم فضربه بالسيف فقطع رجله فتناولها حكيم بيده ورماه بها فصرعه (١).

ثم صار إلى حكيم أخوه المعروف بالأشرف فقال من أصابك؟

فأشار إلى الذي ضربه فأدركه الأشرف (٢) فخبطه بالسيف حتى قتله وتكاثر الناس عليه وعلى أخيه حتى قتلوهما وتفرق الناس.

ورجع طلحة والزبير ونزلا دار الإمارة وغلبا على بيت المال فتقدمت عائشة وحملت مالا منه لتفرقه على أنصارها فدخل عليها طلحة والزبير في طائفة معهما واحتملا منه شيئا كثيرا فلما خرجا نصبا على أبوابه الأقفال ووكلا به من قبلهما قوما فأمرت عائشة بختمه فبرز لذلك طلحة ليختمه فمنعه الزبير وأراد أن يختمه الزبير دونه فتدافعا فبلغ عائشة ذلك فقالت يختمها عني ابن أختي عبد الله بن الزبير فختم يومئذ بثلاثة ختوم.

ثم قال طلحة والزبير ما تأمرين في عثمان؟ فإنه لما به فقالت اقتلوه قتله الله وكانت عندها امرأة من أهل البصرة فقالت لها يا أماه أين يذهب بك أتأمرين بقتل عثمان بن حنيف وأخوه سهل على المدينة وله مكانة من الأوس والخزرج ما قد علمت والله لئن فعلت ذلك ليكونن له صولة بالمدينة يقتل فيها ذراري قريش فآب إلى عائشة رأيها وقالت

---

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ – ص ١٨٠) وابن الأثير (ج ٣ – ص ٨٥) لما ضربه برجله وصرعه حبا إليه وقتله ثم اتكأ عليه وقال:
يا فخذ لن تراعي * إن معي ذراعي * أحمي بها كراعي

(٢) في تاريخ الطبري (ج ٥ – ص ١٣٣) قتل مع حكيم بن جبلة ابنه الأشرف وأخوه الرعل بن جبلة.

لا تقتلوه ولكن احبسوه وضيقوا عليه حتى أرى رأيي فحبس أياما ثم بدا لهم في حبسه وخافوا من أخيه أن يحبس مشايخهم بالمدينة ويوقع بهم فتركوا حبسه.

مجئ ابن حنيف إلى علي:

فخرج ابن حنيف حتى جاء إلى أمير المؤمنين وهو بذي قار فلما نظر إليه أمير المؤمنين وقد نكل به القوم بكى وقال يا عثمان بعثتك شيخا ملتحي فرددت أمردا لي اللهم إنك تعلم أنهم اجترأوا عليك واستحلوا حرماتك اللهم اقتلهم بمن قتلوا من شيعتي وعجل لهم النقمة بما صنعوا بخليفتي ولما خرج عثمان بن حنيف من البصرة وعاد طلحة والزبير إلى بيت المال فتأملا إلى ما فيه من الذهب والفضة قالوا هذه الغنائم التي وعدنا الله بها وأخبرنا أنه يعجلها لنا.

علي في بيت المال:

قال أبو الأسود الدؤلي وقد سمعت هذا منهما ورأيت عليا بعد ذلك وقد دخل بيت مال البصرة فلما رأى ما فيه قال يا صفراء بيضاء غري غيري، المال يعسوب الظلمة وأنا يعسوب المؤمنين فلا والله ما التفت إلى ما فيه ولا فكر فيما رآه منه وما وجدته عنده إلا كالتراب هو أنا فتعجبت من القوم ومنه عليه السلام فقلت أولئك ممن يريد الدنيا وهذا ممن يريد الآخرة وقويت بصيرتي فيه، ولما استقر الأمر عند القوم بعد خروج عثمان بن حنيف وعلم طلحة والزبير وعائشة أن أمير المؤمنين بذي قار ينتظر الجموع وأنه لا يصبر على ما فعلوه بصاحبه والمسلمين أمرت عائشة الزبير أن يستنفر الناس إليه فخطبهم الزبير وأمرهم بالجد والاجتهاد وقال لهم إن عدوكم قد أظلكم والله لئن ظفر بكم لا ترك بكم

عينا تطرف فانهضوا إليه حتى نكب عليه قبل أن تلحقه أنصاره وقال لهم امضوا فخذوا أعطيتكم فلما رجع إلى منزله قال له ابنه عبد الله أمرت الناس أن يأخذوا أعطيتهم ليتفرقوا بالمال قبل أن يأتي علي بن أبي طالب فتضعف بئس الرأي الذي رأيت فقال له الزبير اسكت ويلك ما كان غير الذي قلت فقال طلحة صدق عبد الله وما ينبغي أن يسلم هذا المال حتى يقرب منا علي فنضعه في موضعه فيمن يدفعه عنا فغضب الزبير وقال والله لو لم يبق إلا درهم واحد لأعطيته فلامته عائشة على ذلك ووافق رأيها برأي الرجلين فقال الزبير والله لتدعوني أو ألحق بمعاوية فقد بايع في الشام الناس فأمسكوا عنه.

الزبير شاك متردد:

وروى داود بن أبي هند عن ابن عمرة مولى الزبير أن الزبير قال يومئذ لو كان لي ألف فارس إلى خمسمأة فارس ينهضون معي الساعة لأسير بهم إلى علي فإما أن آتي به بياتا أو أصحبه صباحا لعلي أقتله قبل أن يأتيه مدده فلم يخف معه أحد فاغتاظ لذلك وقال هذه والله الفتنة التي كنا نتحدث بها فقال له مولاه أبو عمرة رحمك الله يا أبا عبد الله تسميها فتنة ثم ترى القتال فيها فقال له ويحك إنا نبصره ولكن لا نصبر ثم قال بعد ذلك بيوم أو يومين والله ما كان أمر قط إلا علمت أين أضع قدمي فيه إلا هذا الأمر فإني لم أدر أنا فيه مقبل أم مدبر فقال له ابنه عبد الله والله ما بك هذا وإنا لنتعامى فلما يحملك على هذا القول إلا أنك أحسست برايات ابن أبي طالب قد أظلت وعلمت أن الموت الناقع تحتها فقال له اعزب ويحك فإنك لا علم لك بالأمور.

وروى الحرث بن الفضل عن أبي عبد الله الأغر أن الزبير بن العوام قال لابنه يومئذ ويلك لا تدعنا على حال أنت والله قطعت بيننا

وقرت الفتنة بما بليت به من هذا المسير وما كنت متوليا من ولي هذا الأمر وأقام به والله لا يقوم أحد من الناس مقام عمر بن الخطاب فيهم فمن ذا يقوم مقام عمر بن الخطاب وإن سرنا بسيرة عثمان قتلنا فما أصنع بهذا المسير وضرب الناس بعضهم ببعض فقال له عبد الله ابنه أفتدع عليا يستولي على الأمر؟ وأنت تعلم أنه كان أحسن أهل الشورى عند عمر بن الخطاب ولقد أشار عمر وهو مطعون يقول لأصحابه أهل الشورى ويلكم اطعموا ابن أبي طالب فيها لا يفتق في الإسلام فتقا عظيما ومنوه حتى تجمعوا على رجل سواه.

ولما صار عثمان بن حنيف إلى ذي قار وأقام بها مع أمير المؤمنين وهو مريض يعالج حتى ورد على أمير المؤمنين (ع) أهل الكوفة.

فصل: وروى الواقدي عن شيبان بن عبد الرحمن عن عامر بن كليب عن أبيه قال لما قتل عثمان ما لبثنا إلا قليلا حتى قدم طلحة والزبير البصرة ثم ما لبثنا بعد ذلك إلا يسيرا حتى أقبل علي بن أبي طالب بذي قار فقال شيخان من الحي اذهب بنا إلى هذا الرجل فلننظر ما يدعو إليه فلما أتينا (ذا قار) قدمنا على أذكى العرب فوالله لدخل على نسب قومي فجعلت أقول هو أعلم به مني وأطوع فيهم فقال من سيد بني راسب فقلت فلان قال فمن سيد بني قدامة قلت فلان لرجل آخر فقال أنت مبلغهما كتابين مني؟ قلت نعم قال أفلا تبايعاني؟ فبايعه الشيخان اللذان كانا معي وتوقفت عن بيعته فجعل رجال عنده قد أكل السجود وجوههم يقولون بايع بايع فقال عليه السلام دعوا الرجل فقلت إنما بعثني قومي رائدا وسأنهي إليهم ما رأيت فإن بايعوا بايعت وإن اعتزلوا اعتزلت فقال لي أرأيت لو أن قومك بعثوك رائدا فرأيت روضة وغديرا فقلت يا قومي النجعة النجعة فأبوا ما كنت بمستنجع بنفسك فأخذت بإصبع من أصابعه فقلت أبايع على أن أطيعك ما أطعت الله فإذا عصيته فلا طاعة لك علينا

فقال نعم وطول صوته فضربت على يده ثم التفت إلى محمد بن حاطب
وكان من ناحية القوم فقال إذا انطلقت إلى قومك فأبلغهم كتبي وقولي
فتحول إليه محمد حتى جلس بين يديه فقال إن قومي إذا أتيتهم يقولون
ما يقول صاحبك في عثمان فسب عثمان الذين حوله فرأيت عليا قد كره
ذلك حتى رشح جبينه وقال أيها القوم كفوا ما إياكم يسأل ولا عنكم
سائل قال فلم أبرح عن العسكر حتى قدم على علي أهل الكوفة فجعلوا
يقولون نرى إخواننا من أهل البصرة يقاتلوننا وجعلوا يضحكون
ويعجبون ويقولون والله لو التقينا لتعاطينا الحق كأنهم يرون أنهم
لا يقتلون وخرجت بكتاب علي (ع) فأتيت أحد الرجلين فقبل الكتاب
وأجابه ودللت على الآخر وكان متواريا فلو أنهم قالوا له كليب ما أذن
لي فدخلت عليه ودفعت الكتاب إليه وقلت هذا كتاب علي وأخبرته
الخبر وقلت إني أخبرت عليا إنك سيد قومك فأبى أن يقبل الكتاب ولم
يجبه إلى ما سأله وقال لا حاجة لي اليوم في السؤدد فوالله إني لبالبصرة
ما رجعت إلى علي حتى نزل العسكر ورأيت الغر الذين مع علي
عليه السلام وطلع القوم.

أخبار علي بعدد من يأتيه من الكوفة:

وروى نصر بن عمرو بن سعد عن الأجلح عن زيد بن علي قال لما
أبطأ على علي (ع) خبر أهل البصرة وكانوا في فلاة قال عبد الله بن
عباس فأخبرت عليا بذلك فقال لي اسكت يا ابن عباس فوالله ليأتينا
في هذين اليومين من الكوفة ستة آلاف وستمائة رجل وليغلبن أهل
البصرة وليقتلن طلحة والزبير فوالله إنني استشرف الأخبار وأستقبلها
حتى إذا أتى راكب فاستقبلته واستخبرته فأخبرني بالعدة التي سمعتها من

علي (ع) لم تنقص برجل واحد (١).
وروى إسماعيل بن عبد الملك بن يحيى بن شبل عن أبي جعفر محمد ابن علي (ع) قال لما سار علي من ذي قار قاصدا البصرة حتى نزل الخريبة في اثني عشر ألف وعلى الميمنة عمار بن ياسر في ألف رجل وعلى الميسرة مالك الأشتر في ألف رجل ومعه في نفسه عشرة آلاف رجل وخرج إليه من البصرة ألفا رجل خرجت إليه ربيعة كلها إلا مالك بن مسمع منها وجاءته عبد القيس بأجمعها سوى رجل واحد تخلف عنها وجاءته بنو بكر يرأسهم شقيق بن ثور السدوسي ورأس عبد القيس عمر ابن جرموز العبدي وأتاه المهلب بن أبي صفرة فيمن تبعه من الأزد
موقف الأحنف:
وبعث إليه الأحنف بن قيس يقول له إني مقيم على طاعتك في قومي فإن شئت حبست عنك أربعة آلاف سيف من بني سعد فبعث إليه أمير المؤمنين (ع) بل احبس وكف فجمع الأحنف قومه فقال يا بني سعد كفوا عن هذه الفتنة واقعدوا في بيوتكم فإن ظهر أهل البصرة فهم إخوانكم لم يهيجوكم وإن ظهر علي (ع) سلمتم فكفوا وتركوا القتال (٢) وأقبل هلال بن وكيع الحنظلي إلى الأحنف بن قيس حين بلغه ذلك فقال ما يقول سيدنا في هذا الأمر؟ فقال الأحنف إنما أكون سيدكم غدا إذا قلتم إنا وبقيت فقال هلال (٣) بل أنت سيدنا اليوم

---

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ – ص ١٩٩) قال أبو الطفيل أخبرنا علي عليه السلام بمن يأتيه من أهل الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل فأحصيتهم فما زادوا رجلا ولا نقصوا رجلا.
(٢) المصدر.
(٣) تاريخ الطبري (ج ٥ – ص ٢٠١) إنه هلال بن وكيع ابن مالك بن عمرو.

وشيخنا فقال الأحنف أنا شيخكم المعصى وأنت الشاب المطاع أقعد في بيتك ولا تخرج مع طلحة والزبير فأبى أن يرضى ثم دعا تميما كلهم فبايعوه إلا نفر منهم فبلغ طلحة والزبير ما فعله الأحنف فبعثا إليه يستميلانه ويرومان أن يدخل في طاعتهما فقال اختاروا مني إحدى ثلاث خصال إما أن أقيم في بيتي واكف نفسي ولا أكون معكما ولا عليكما وإما أن ألحق بعلي بن أبي طالب وإما أن أأتي إلى الأهواز فأقيم بها فقالا ننظر في ذلك ثم استشارا من حضرهما فقالوا لهما أما علي فعدوكم ولاحظ في أن يكون معه الأحنف وأما الأهواز أن أتاها يلحق به كل من لا يريد القتال معكما منهم ولكن يكون قريبا منكما فإن تحرك وطأتماه على صماخه فأمراه بالقعود فأتى (وادي السباع) وأقام به (١).

ولما قدم رسول الأحنف على علي (ع) بما بذله من كف قومه عنه قال رجل يا أمير المؤمنين من هذا؟ قال أدهى العرب وخيرهم لقومه فقال كذلك هو وإني لأمثل بينه وبين المغيرة بن شعبة لزم الطائف فأقام بها ينتظر على من تستقيم الأمة فقال الرجل إني لأحسب أن الأحنف لأسرع إلى ما تحب من المغيرة فقال علي (ع) أجل ما يبالي المغيرة أي لواء رفع لواء ضلالة أو هدى،

وروى الواقدي قال حدثني معمر بن راشد عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصري قال أقبل أبو بكرة يريد أن يدخل مع طلحة والزبير في أمرهما فلما رأى عائشة تدبرهما رجع عنهما فقيل له ما لك لم تدخل معهما فقال رأيت امرأة تلي أمرهم وقد سمعت رسول الله يقول وقد ذكر ملكة سبأ فقال لا أفلح قوم تدبرهم امرأة فكرهت الدخول معهم.

----

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٩٧ و ص ٢٠١).

وروى عبد الله بن عطا عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال أعتزل أبي أن يدخل مع عائشة قال إني سمعت رسول الله يقول لا يفلح قوم تلي أمرهم امرأة (١).

كتاب عائشة إلى المدينة واليمامة:

فصل: وروى الواقدي عن رجاله قال لما أفرج القوم عن عثمان ابن حنيف (ره) لما خلفوه من أخيه سهل بن حنيف كتبت عائشة إلى أهل المدينة.

بسم الله الرحمن الرحيم من أم المؤمنين عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وابنة الصديق إلى أهل المدينة أما بعد فإن الله أظهر الحق ونصر طالبيه وقد قال الله تعالى: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) الآية. ولكم الويل مما تصفون فاتقوا الله عباد الله واسمعوا وأطيعوا واعتصموا بحبل الله جميعا وعروة الحق ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا فإن الله قد جمع كلمة أهل البصرة وأمروا عليهم الزبير بن العوام فهو أمير الجنود والكافة يجتمعون على السمع والطاعة له فإن اجتمعت كلمة المؤمنين على أمرائهم عن ملأ منهم وتشاور فإنا ندخل في صالح ما دخلوا فيه فإذا جاءكم كتابي هذا فاسمعوا وأطيعوا وأعينوا على ما سمعتم عليه من أمر الله.

وكتب عبيد بن كعب لخمس ليال من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين (٢).

---

(١) الفيض القدسي شرح الجامع الصغير (ج ١ – ص ٣٠٣) عن الحاكم والبخاري في المغازي والفتن والترمذي في الفتن والنسائي في القضاء قال وفيه دلالة على أنها لا تصلح لشئ من أمور الزعامة.

(٢) عند ابن الأثير (ج ٣ – ص ٨٦) إنه كتب في جمادى.

وكتبت إلى أهل اليمامة وأهل تلك النواحي:
أما بعد فإني أذكركم الله الذي أنعم عليكم وألزمكم بالإسلام فإن الله تعالى يقول: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) فاعتصموا بحبل الله وكونوا مع كتابه فإن أمكم ناصحة لكم فيما تدعون إليه من الغضب له والجهاد لمن قتل خليفة له حرمة وابتز المسلمين أمرهم وقد أظهر الله عليه وأن ابن حنيف الضال المضل كان بالبصرة يدعو المسلمين إلى سبيل النار وإنا أقبلنا إليها ندعو المسلمين إلى كتاب الله وأن يضعوا بينهم القرآن فيكون ذلك رضى لهم وأجمع لأمرهم وكان ذلك لله على المسلمين فيه الطاعة فإما أن ندرك به حاجتنا أو نبلغ عذرا.
فلما دنونا البصرة وسمع بنا ابن حنيف جمع لنا الجموع وأمرهم أن يتلقونا بالسلاح فيقاتلونا ويطردونا وشهدوا علينا بالكفر وقالوا فينا المنكر فأكذبهم المسلمون وأنكروا عليهم وقالوا لعثمان بن حنيف ويحك إنما تابعنا زوج النبي وأم المؤمنين وأصحاب رسول الله وأئمة المسلمين فتمادى في غيه وأقام على أمره فلما رأى المسلمون أنه قد عصاهم ورد عليهم أمرهم غضبوا الله عز وجل ولأم المؤمنين ولم نشعر به حتى أطلبا في ثلاثة آلاف من جهلة العرب وسفائهم وضعهم دون المسجد بالسلاح فالتمسنا أن يبايعوا على الحق ولا يحولوا بيننا وبين المسجد فرد علينا ذلك كله.
حتى إذا كان يوم الجمعة وتفرق الناس بعد الصلاة عنه دخل طلحة والزبير ومعهما المسلمون وفتحوه عنوة وقدموا عبد الله بن الزبير للصلاة بالناس ودنا نخاف من عثمان وأصحابه أن يأتونا بغتة ليصيبوا منا غرة فلما رأى المسلمون أنهم لم يبرحوا تحرزوا لأنفسهم ولم يخرج ومن معه حتى هجموا علينا وأباحوا سدة بيتي ومعهم صناديد لهم

ليسفكوا دمي فوجدوا نفرا على باب بيتي فردوهم عني وكان حولي نفر
من القرشيين والأزديين فدفعوهم عني وقتل منهم من قتل وانهزموا فلم
نتعرض لبقيتهم وخلينا ابن حنيف منا منا عليه وقد توجه إلى صاحبه
وعرفناكم ذلك عباد الله لتكونوا على ما كنتم عليه من النية في نصرة
دين الله والغضب لخليفته المظلوم.

وروى الواقدي عن عبد بن السلام بن حفص قال حدثني المنهال
ابن سلم البصري قال لما بدى لطلحة والزبير في حبس عثمان بن حنيف
وأشفقا من أخيه سهل بن حنيف على مخلفيهم في المدينة أطلقوه فتوجه
إلى أمير المؤمنين (ع) وهو بذي قار.

خطبة طلحة:

فلما عرفا خروجه إليه قام طلحة في الناس خطيبا فنعى إليهم عثمان
ابن عفان وذكر قاتليه وأكثر الذم لهم والشتم وعزا قتله إلى علي بن أبي
طالب (ع) وأنصاره وذكر أن عليا أكره الناس على البيعة له فقال فيما
قال: يا معشر المسلمين أن الله قد منحكم بأم المؤمنين وقد عرفتم حقها
ومكانتها من رسول الله صلى الله عليه وآله ومكان أبيها من الإسلام فهذه هي تشهد
لنا إنا لم نكذبكم فيما خبرناكم به ولا غررناكم فيما دعوناكم إليه من
قتال ابن أبي طالب وأصحابه الصادين عن الحق ولسنا نطلب خلافة
ولا ملكا وإنا نحذركم أن تغلبوا على أمركم وتقصروا دون الحق وقد
رجونا أن يكون عندكم عونا لنا على طاعة الله وصلاح الأمة فأنا أحق
من عناه أمر المسلمين ومصلحتهم.

وأن عليا لو عمل الجد في نصرة أمكم لاعتزل هذا الأمر حتى تختار
الأمة لأنفسها من ترضاه.

فقال أهل البصرة مرحبا وأهلا وسهلا بأم المؤمنين والحمد الله الذي

أكرمنا بها وأنتم عندنا رضى وثقة وأنفسنا مبذولة لكم ونحن نموت
على طاعتكم ورضاكم.
ثم انصرفوا وساروا إلى عائشة فسلموا عليها وقالوا قد علمنا أن أمنا
لم تخرج إلينا إلا لثقتها بنا وأنها تريد الإصلاح وحقن الدماء وإطفاء
الفتن والألفة بين المسلمين وإنا ننتظر أمرها في ذلك فإن أبى عليها أحد
فيه قاتلناه حتى يفئ إلى الحق.
وبلغ كلام طلحة مع أهل البصرة إلى عبد بن حكيم التميمي فصار إليه
وقال له يا طلحة هذه كتبك وصلت إلينا بعيب عثمان بن عفان وخبرك
عندنا بالتأليب عليه حتى قتل وبيعتك عليا في جماعة الناس ونكثك بيعته
من غير حدث كان منه فيما بلغني عنك وفيما جئت بعد الذي عرفناه من
رأيك في عثمان فقال له طلحة أما عيبي لعثمان وتأليبي عليه فقد كان فلم
نجد لنا من الخلاص منه سبيلا إلا التوبة فيما اقترفناه من الجرم له والأخذ
بدمه فأما بيعتي له فإني أكرهت على ذلك وخشيت منه أن يؤلب علي
إن امتنعت من بيعته ويغري بي فيمن أغراه بعثمان حتى قتله فقال له
عبد الله بن حكيم هذه معاذير يعلم الله باطن الأمر فيها وهو المستعان
على ما نخاف من عاقبة أمرها.
خطبة أخرى له:
وروى عبد الله بن عبيدة قال لما كان من كلام عبد الله بن حكيم
ما كان قام طلحة فحمد الله وأثنى عليه وقال أن رسول الله صلى الله عليه وآله توفي
وهو عنا راض وكنا مع أبي بكر حتى توفاه الله فمات وهو عنا راض
ثم كان عمر بن الخطاب فسمعناه وأطعناه حتى قبض وهو عنا راض
فأمرنا بالتشاور في أمر الخلافة من بعده واختار ستة نفر ورضيهم
للأمر فاستقام أمرنا على رجل من الستة ولينا واجتمع رأينا عليه وهو

عثمان وكان أهلا لذلك فبايعناه وسمعنا له وأطعناه فأحدث بعد ذلك إحداثا لم تكن على عهد أبي بكر وعمر فكرهها الناس منه ولم يكن لنا بد مما صنعناه.
وأخذ هذا الرجل الأمر دوننا من غير مشورتنا وتغلب عليه ونحن فيه وهو شرع سواء فأتى بنا إليه ونحن أكره الناس إليه واللح على أعناقنا فبايعناه كرها والذي نطلب منه أيها الناس الآن أن يدفع إلى ورثة عثمان قاتليه فإنه قتل مظلوما ويخلع هذا الأمر ويعتزله ليتشاور المسلمون فيمن يكون إماما كسنة عمر بن الخطاب فإذا استقام رأينا ورأى أهل الإسلام على رجل بايعناه.
فلما فرغ من كلامه قام عظيم من عظماء عبد القيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:
أيها الناس أنه قد كان وال هذا الأمر وقوامه المهاجرون والأنصار بالمدينة ولم يكن لأحد من أهل الأمصار أن ينقضوا ما أبرموا ولا يبرموا ما نقضوا فكانوا إذا رأوا رأيا كتبوا به إلى الأمصار فسمعوا لهم وأطاعوا وأن عائشة وطلحة والزبير كانوا أشد الناس على عثمان حتى قتل وبايع الناس عليا وبايعه في جملتهم طلحة والزبير فجاءنا نبأهما بيعتهما له فبايعناه فوالله لا نخلع خليفتنا ولا ننقض بيعتنا.
فصاح عليه طلحة والزبير وأمرا بقرض لحيته فنتفوها حتى لم يبق منها شئ.
وقام رجل من بني جشم فقال:
أيها الناس أنا فلان بن فلان فاعرفوني وإنما أنتسب لهم ليعلموا أن له عشيرة تمنعه فلا يعجل عليه من لا يوافقه كلامه قال أيها الناس أن هؤلاء القوم إن كانوا جاؤكم يطلبون بدم عثمان فوالله ما نحن قتلنا عثمان وإن كانوا جاؤكم خائفين فوالله ما جاؤوا إلا من حيث يأمن الطير

فلا تغتروا بهم واسمعوا قولي وأطيعوا أمري وردوا هؤلاء القوم إلى مكانهم الذي منه أقبلوا وأقيموا على بيعتكم لإمامكم وأطيعوا لأميركم.
فصاح عليه الناس من جوانب المسجد وقذفوه بالحصى.
ثم قام رجل آخر من متقدمي عبد القيس فقال:
أيها الناس انصتوا حتى أتكلم فقال له عبد الله بن الزبير ويلك ما لك وللكلام فقال ما لي وله أنا والله للكلام به وفيه ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه وقال: يا معاشر المهاجرين كنتم أول الناس إسلاما بعث الله محمدا نبيه بينكم فدعاكم فأسلمتم وأسلمنا لإسلامكم فكنتم فيه القادة ونحن لكم تبع ثم توفي رسول الله فبايعتم رجلا منكم لم تستأذنونا في ذلك فسلمنا لكم ثم أن ذلك الرجل توفي واستخلف عمر ابن الخطاب فوالله ما استشارنا في ذلك فما رضيتم به رضينا وسلمنا ثم أن عمر جعلها شورى في ستة نفر فاخترتم منهم واحدا فسلمنا لكم واتبعناكم ثم أن الرجل أحدث أحداثا أنكرتموها فحصرتموه وخلعتموه وقتلتموه وما استشرتمونا في ذلك ثم بايعتم علي بن أبي طالب وما استشرتمونا في بيعته فرضينا وسلمنا وكنا لكم تبعا فوالله ما ندري بماذا نقضتم عليه؟ هل أستأثر بمال؟ أو حكم بغير ما أنزل الله؟ أو أحدث منكرا؟ فحدثونا به نكن معكم فوالله ما نراكم إلا قد ظللتم بخلافكم له فقال له ابن الزبير ما أنت وذاك وأراد أهل البصرة أن يثبوا عليه فمنعتهم عشيرته.
خطبة عائشة:
فصل: وروى محمد بن عمر الواقدي عن موسى بن طلحة قال لقد شهدت عائشة يوم الجمل وقد سألها الناس عن عثمان فما رأيت أفصح منها لسانا ولا أربط منها جنانا فاستجلبت الناس بيديها ثم حمدت الله

وأثنت عليه وقالت:
أيها الناس إنا نقمنا على عثمان لخصال ثلاثة: إمارة بالغنى وضربه بالسوط ورفعه موضع الإمامة حتى إذا عتبنا منهن مصوه مص الماء بالصابون ثم عدوا عليه فاستحلت منه حرمات ثلاث حرمة الشهر الحرام وحرمة البلد الحرام وحرمة الخلافة والله لعثمان كان أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وأعفهم للفرج أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم
وروى إسرافيل بن يونس عن أبي إسحاق الهمداني قال جاء جليد ابن زهير الجشمي وعبد الله بن عامر التميمي فدخلا على عائشة فسلما عليها فقالت من هذان الرجلان؟ فقيل لها هذان زهير بن جليد صاحب خراسان وهذا عبد الله بن عامر التميمي فقالت هما معنا أم علينا؟ فقالا لا معك ولا عليك حتى يتبين لنا الأمر فقالت كفى بالاعتزال نصرة.
وروى عمر بن صباح قال اجتمع نفر من وجوه البصرة إلى طلحة والزبير فقالوا لهما فإن ولاة عثمان غيركما فدعوا ولاته يطالبون بدمه والله ما نراكما أنصفتما رسول الله صلى الله عليه وآله في حبيسته عرضتماها للرياح والشموس والقتال وقد أمرها الله أن تقر في بيتها وتركتما نساءكما في الأكنان والبيوت هلا جئتم بنسائكما معكما فقال لهم طلحة اغربوا عنا قبحكم الله (١).
وجاء عمرو بن حصين إلى عائشة فقال لها قد كان لك يا عائشة في أخواتك عبرة وفي أمثالك من أمهات المؤمنين أسوة أما سمعت الله تعالى يقول: وقرن في بيوتكن. فلو اتبعت أمر الله كان خيرا لك فقالت

---

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ – ص ١٧٦) أن جارية بن قدامة السعدي قال للزبير وطلحة جئتما بأم المؤمنين فهل جئتما بنسائكما؟ قالا لا فقال فما أنا منكما في شئ واعتزل القتال ثم قال من أبيات ذكرها
صنتم حلائلكم وقدتم أمكم * هذا لعمرك قلة الإنصاف

له يا عمر قد كان ما كان فهل عندك عونا لنا وإلا فاحبس عنا لسانك قال اعتزل عليا قالت رضيت بذلك منك.

النصيحة لأصحاب الجمل:

فصل: ولما سار أمير المؤمنين (ع) من ذي قار قدم صعصعة بن صوحان بكتاب علي (ع) إلى طلحة والزبير وعائشة يعظم عليهم عليهم حرمة الإسلام ويخوفهم فيما صنعوه وقبيح ما ارتكبوه من قتل من قتلوا من المسلمين وما صنعوا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله عثمان بن حنيف رحمه الله وقتلهم المسلمين صبرا ووعظهم ودعاهم إلى الطاعة قال صعصعة رحمه الله فقدمت عليهم فبدأت بطلحة وأعطيته الكتاب وأديت الرسالة فقال الآن حين عضت ابن أبي طالب الحرب ترفق لنا ثم جئت إلى الزبير فوجدته ألين من طلحة ثم جئت إلى عائشة فوجدتها أسرع الناس إلى الشر فقالت نعم قد خرجت للطلب بدم عثمان والله لأفعلن وأفعلن فعدت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلقيه قبل أن يدخل البصرة فقال ما وراءك يا صعصعة؟ قلت يا أمير المؤمنين رأيت قوما ما يريدون إلا قتالك فقال الله المستعان.

ثم دعا عبد الله بن عباس فقال انطلق إليهم فناشدهم وذكرهم العهد الذي لي في رقابهم قال ابن عباس جئتهم فبدأت بطلحة فذكرته العهد فقال لي يا ابن عباس والله لقد بايعت عليا واللج على رقبتي فقلت له أنا رأيتك بايعت طايعا أولم يقل لك على بيعتك له إن أحببت أبايعك فقلت لا بل نحن نبايعك؟

فقال طلحة إنما قال لي ذلك وقد بايعه قوم فلم أستطع خلافهم والله يا ابن عباس إن القوم الذين معه يغرونه وقد لقيناه فسيسلمونه أما عملت يا ابن عباس إني جئت إليه والزبير ولنا من الصحبة ما لنا مع رسول الله

والقدم في الإسلام وقد أحاط به الناس قياما على رأسه بالسيف فقال لنا يهزل إن أحببتما بايعت لكما فلو قلنا نعم افتراه يفعل؟ وقد بايع الناس له فليخلع نفسه ويبايعنا لا والله ما كان يفعل وحتى أن يغري بنا من لا يرى لنا حرمة فبايعناه كارهين وقد جئنا نطلب بدم عثمان فقل لابن عمك إن كان يريد حقن الدماء وإصلاح أمر الأمة فليمكننا من قتلة عثمان فهم معه ويخلع نفسه ويرد الأمر ليكون شورى بين المسلمين فيولوا من شاؤوا فإنما علي (ع) رجل كأحدنا وإن أبى أعطيناه السيف فما له عندنا غير هذا.

قال ابن عباس يا أبا محمد لست تنصف ألم تعلم أنك حصرت عثمان حتى مكث عشرة أيام يشرب ماء بئره وتمنعه من شرب الماء حتى كلمك علي في أن تخلي الماء له وأنت تأبى ذلك ولما رأى أهل مصر فعلك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله دخلوا عليه بسلاحهم فقتلوه ثم بايع الناس رجلا له من السابقة والفضل والقرابة برسول الله صلى الله عليه وآله والبلاء العظيم ما لا يدفع وجئت أنت وصاحبك طائعين غير مكرهين حتى بايعتما ثم نكثتما فعجب والله إقرارك لأبي بكر وعمر وعثمان بالبيعة ووثوبك على ابن أبي طالب فوالله ما علي (ع) دون أحد منكم وأما قولك يمكنني من قتلة عثمان فما يخفي عليك من قتل عثمان وأما قولك إن أبى علي (ع) فالسيف فوالله إنك تعلم أن عليا لا يتخوف.

فقال طلحة إيها الآن دعنا من جدالك.

قال فخرجت إلى علي وقد دخل البيوت بالبصرة فقال ما ورائك فأخبرته الخبر فقال اللهم افتح بيننا بالحق وأنت خير الفاتحين ثم قال ارجع إلى عائشة واذكر لها خروجها من بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وخوفها من الخلاف على الله عز وجل ونبذها عهد النبي صلى الله عليه وآله وقل لها إن هذه الأمور لا تصلحها النساء وإنك لم تؤمري بذلك فلم ترضى

بالخروج عن أمر الله في تبرجك وبيتك الذي أمرك النبي بالمقام فيه حتى سرت إلى البصرة فقتلت المسلمين وعمدت إلى عمالي فأخرجتهم وفتحت بيت المال وأمرت بالتنكيل بالمسلمين وأبحت دماء الصالحين فارعي وراقبي الله عز وجل فقد تعلمين أنك كنت أشد الناس على عثمان فما عدا مما بدا.

قال ابن عباس فلما جئتها وأديت الرسالة إليها وقرأت كتاب علي عليه السلام عليها.

قالت يا ابن عباس ابن عمك يرى أنه قد تملك البلاد لا والله ما بيده منها شئ إلا وبيدنا أكثر منه.

فقلت يا أماه إن أمير المؤمنين (ع) له فضل وسابقة في الإسلام وعظم عناء.

قالت ألا تذكر طلحة وعناءه يوم أحد قال فقلت لها والله ما نعلم أحدا أعظم عناء من علي (ع).

قالت أنت تقول هذا ومع علي أشياء كثيرة قلت الله الله في دماء المسلمين قالت وأي دم يكون المسلمين إلا أن يكون علي يقتل نفسه ومن معه قال ابن عباس فتبسمت فقالت مما تضحك يا ابن عباس؟.

فقلت والله معه قوم على بصيرة من أمرهم يبذلون مهجهم دونه قالت حسبنا الله ونعم الوكيل.

قال وقد كان أمير المؤمنين أوصاني أن ألقى الزبير وإن قدرت أن أكلمه وابنه ليس بحاضر فجئت مرة أو مرتين كل ذلك أجده عنده ثم جئت مرة أخرى فلم أجده عنده فدخلت عليه وأمر الزبير مولاه شرحسا أن يجلس على الباب ويحبس عنا الناس فجعلت أكلمه فقال عصيتم إن خولفتم والله لتعلمن عاقبة ابن عمك فعلمت أن الرجل مغضب فجعلت ألاينه فيلين مرة ويشتد أخرى.

فلما سمع شرحسا ذلك أنفذ إلى عبد الله بن الزبير وكان عند طلحة فدعاه فأقبل سريعا حتى دخل علينا.

فقال يا ابن عباس دع بنيات الطريق بيننا وبينكم عهد خليفة ودم خليفة وانفراد واحد واجتماع ثلاثة وأم مبرورة ومشاورة العامة.

فأمسكت ساعة لا أكلمه ثم قلت لو أردت أن أقول لقلت فقال ابن الزبير ولم تؤخر ذلك؟ وقد لحم الأمر وبلغ السيل الزبى قال ابن عباس فقلت ما قولك عهد خليفة فإن عمر جعل الشورى إلى ستة نفر فجعل النفر أمرهم إلى رجل منهم يختار لهم منهم ويخرج نفسه منها فعرض الأمر على علي فحلف عثمان وأبى علي أن يحلف فبويع عثمان فهذا عهد خليفة وأما دم خليفة فدمه عند أبيك لا يخرج أبوك من خصلتين أما قتل وأما خذل وأما الانفراد واجتماع ثلاثة فإن الناس لما قتلوا عثمان فزعوا إلى علي فبايعوه طوعا وتركوا أباك وصاحبه ولم يرضوا بواحد منهما وأما قولك إن معكم أما مبرورة فإن هذه الأم أنتما أخرجتماها من بيتها وقد أمرها الله تعالى أن تقر فيه فأبيت أن تدعها وقد علمت أنت وأبوك أن النبي صلى الله عليه وآله حذرها من الخروج وقال لها يا حميرا إياك أن تنبحك كلاب الحوأب (١) وكان منها ما قد رأيت وأما دعواك مشاورة العامة فكيف يشاور فيمن قد اجتمع عليه وأنت تعلم أن أباك وطلحة بايعا طائعين غير كارهين فقال ابن الزبير الباطل والله ما تقول يا ابن عباس وقد سئل عبد الرحمن بن عوف عن أصحاب الشورى فكان صاحبكم أخيبهم عنده وما أدخله عمر في الشورى إلا وهو يقرفه ولكنه خاف فتقه في الإسلام وأما قتل خليفة فصاحبك كتب إلى الآفاق حتى قدموا عليه ثم قتلوه وهو في داره بلسانه ويده وأنا معه في الدار أقاتل دونه حتى جرحت بضعة عشر جرحا وأما قولك إن عليا بايعه الناس

---

(١) ابن حجر في تطهير الجنان بها مس الصواعق المحرقة ص ١٠٨.

طايعين فوالله ما بايعوه إلا كارهين والسيف على رقابهم غصبهم أمره
فقال الزبير دع عنك ما ترى يا ابن عباس جئتنا لتوفينا فقال له ابن
عباس أنتم طلبتم هذا والله ما عددناك قط إلا منا بنو هاشم لأنهم أخوالك
ومحبتك لهم حتى إدراك ابنك هذا فقطع أرحامهم فقال الزبير دع عنك هذا
علي ينظم الجيش:
ولما عاد رسل أمير المؤمنين من طلحة والزبير وعائشة بإصرارهم على
خلافه وإقامتهم على نكث بيعته والمباينة له والعمل على حربه واستحلال
دماء شيعته وأنهم لا يتعظون بوعظ ولا ينتهون عن الفساد بوعيد
كتب الكتائب ورتب العساكر واستعمل على مقدمته عبد الله بن
عباس رحمه الله وعلى ساقته هند المرادي ثم الجملي وهو الذي قال فيه
عمر بن الخطاب سيد أهل الكوفة اسمه اسم امرأة واستعمل على كافة
الخيل عمار بن ياسر وعلى جميع الرجالة محمد بن أبي بكر وفرق الرايات
من بعده فجعل على خيل مذحج خاصة هند الجملي وعلى رجالتها شريح
ابن هاني الحارثي وعلى خيل همدان سعيد بن قيس وعلى رجالتها زياد
ابن كعب بن مرة وعلى خيل كندة حجر بن عدي وعلى خيل بجيلة
ورجالتها رفاعة بن شداد وعلى خيل قضاعة ورجالتها عدي بن حاتم وعلى
خيل خزاعة وأفناء اليمن عبد الله بن زيد وعلى رجالتها عمرو بن الحمق
الخزاعي وعلى خيل الأزد جندب بن زهير وعلى رجالتها أبا زينب الذي
شهد على الوليد بن عقبة بشرب الخمر وكان سبب صرفه وأقام الحد
عليه وعلى خيل بكر بن وائل عبد الله بن هاشم السدوسي وعلى
رجالتها حسان بن مخدوع الذهلي وعلى خيل عبد القيس من أهل
الكوفة زيد بن صوحان العبدي وعلى رجالتها الحرث بن مرة العبدي
وعلى خيل بكر بن وائل من أهل البصرة سفيان بن ثور الدوسي

وعلى رجالتها الحصين بن المنذر وهو الذي قال فيه أمير المؤمنين (ع) يوم صفين:

لمن راية سوداء يخفق ظلها * إذا قيل قدمها حصين تقدما

وعلى المهازم خاصة جوهر بن جابر الخفر وعلى الذهلين خالد بن المعمر السدوسي وعلى خيل عبد القيس من أهل البصرة المنذر بن الجارود العبدي وعلى خيل أسد قبيصة بن جابر الأسدي وعلى رجالتها العكبر بن وائل الأسدي وهو الذي قتل محمد بن طلحة في ذلك اليوم وعلى خيول أهل الكوفة من بني تميم عمير بن عطارد وعلى رجالتها معقل بن قيس وهو الذي سبى بني ناجية وعلى خيل قيس غيلان من أهل الكوفة عبد الله بن الطفيل البكالي وعلى رجالتها قرة بن نوفل الأشجعي صاحب النخيلة وعلى خيل قريش وكنانة هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص المرقال وعلى رجالتها هاشم بن هاشم وعلى من صار إليه من تميم البصرة جارية بن قدامة السعدي وعلى رجالتها أعين بن ضبيعة فأحاط العسكر يومئذ من الفرسان المعروفين والرجالة المشهورين على ستة عشر ألف رجل.

ولما بلغ طلحة والزبير أن أمير المؤمنين عليه السلام كتب الكتائب ورتب العساكر وتيقنوا منه الجد وأيقنوا منه القصد والحرب عمدا على الاستعداد لها وكان أهل البصرة قد اختلفوا عليهما وقعد الأحنف في بني سعد وكانا يظنان أنه معهم فأخلف ظنهم وتأخر عنهما الأزد لقعود كعب بن شور القاضي (١) عنهما وكان سيد الأزد وأهل اليمن بالبصرة فأنفذا إليه رسوليهما يسألانه النصرة لهما والقتال معهما فأبى عليهما وقال أنا أعتزل الفريقين فقالا لئن قعد عنا كعب خذلنا الأزد بأسرها ولا غنى لنا عنه فصارا إليه واستأذنا عليه فلم يأذن لهما وحجبهما فصارا

---

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ – ص ٢١٣) ذكره بالسين المهملة.

إلى عائشة فخبراها خبره وسألاها أن تسير إليه فأبت وراسلته تدعوه إلى الحضور عندها فاستعفاها من ذلك.

فقال طلحة والزبير يا أم إن قعد عنا كعب قعدت عنا الأزد كلها وهي حي البصرة فاركبي إليه فإنك إن فعلت لم يخالفك وانقاد لرأيك فركبت بغلا وأحاط بها نفر من أهل البصرة وصارت إلى كعب بن شور فاستأذنت عليه فأذن لها ورحب بها فقالت يا بني أرسلت إليك لتنصر الله عز وجل فما الذي أخرك عني؟ فقال يا أماه لا حاجة لي في خوض هذه الفتنة فقالت يا بني اخرج معي وخذ بخطام جملي فإني أرجو أن يقربك بي إلى الجنة واستعبرت باكية فرق لها كعب بن شور وأجابها وعلق المصحف في عنقه وخرج معها فلما خرج والمصحف في عنقه قال غلام من بني وهب وقد كان عرف امتناعه وتأنيه عن خوض هذه الفتنة يقول:

أيا كعب رأيك ذاك الجزيل * أمثل من رأيك الخاطل
أتاك الزبير يدير الأمور * وطلحة بالنقل الثاكل
ليستدرجاك بما زخرفا * وأمك تهوي إلى نازل
وقد كانت الأم معصومة * فأضحت فرائس للآكل
تخط بها الأرض مرحولها * ترد الجواب على السائل
فألفيتها بين حي السباع * وعرضتها للشجى الثاكل
بحرب علي وأصحابه * فقد أزم الدهر بالكاهل
فأبديت للقوم ما في الضمير * وقلت لهم قولة الخاذل
فأحطاهما منك ما أملاه * وقد أخلفا أمل الآمل
وما لك في مصر من نسبة * وما لك في الحي من وائل
فلا تجزعن على هالك * من القوم حاف ومن ناعل

ولما نهض كعب بن شور مع عائشة في الأزد اجتمع رأي طلحة

والزبير على تكتب الكتائب واستقر الأمر معهما على أن الزبير أمير العسكر خاصة ومديره وطلحة في القلب واللواء مع عبد الله بن حزام ابن خويلد وكعب بن شور مع الأزد وعلى خيل الميمنة مروان بن الحكم وعلى رجالة الميمنة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وعلى خيل الميسرة وهم بنو تميم وسائر قبائل قضاعة وهوازن هلال بن وكيع الدارمي وعلى رجالة الميسرة عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وقد ضم إليه الحباب يزيد وعلى خيل قيس غيلان مجاشع بن مسعود وعلى رجالتهم جابر بن النعمان الباهلي وعلى خيل الرباب عمرو بن ثيري وعلى رجالتهم خرشنة ابن عمرو العتبي وعلى من انحاز إليهم من ثقيف عبد الله بن عامر بن كريز وعلى أفناء أهل المدينة عبد الله بن خلف الخزاعي وعلى رجالة مذحج الربيع بن زياد الحارثي وعلى رجالة قضاعة عبد الله بن جابر الراسبي وعلى من انحاز إليهم من ربيعة مالك بن مسمع (١) ولما تقرر أمر الكتائب في الفريقين فخرج كل فريق بقومه وقام خطباؤهم بالتحريض على القتال.

خطبة ابن الزبير:

فقام عبد الله بن الزبير في معسكرهم فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيها الناس إن هذا الرعث والوعث قتل عثمان بالمدينة ثم جاءكم ينشر أموركم بالبصرة وقد غضب الناس أنفسهم ألا تنصرون خليفتكم

---

(١) هو مالك بن مسمع بن سيار بن حجدر من آل بكر بن وائل وفد أبوه مسمع على النبي صلى الله عليه وآله وأسلم ثم ارتد وقتل بالبحرين قصاصا عن كلب قتله لقوم من عبد القيس كما في الحيوان للجاحظ (ج ١ - ص ١٣٠) وفي معارف ابن قتيبة ص ١٨٤ إذا غضب مالك غضب معه مائة ألف سيف وفي الطبري (ج ٧ - ص ١٦٨) كان عثماني العقيدة خرج إلى معاوية بعد قتل عثمان وفي ابن الأثير (ج ٤ ص ١١٢) كان معه يوم صفين وفي الأغاني (ج ٩ - ص ٣٥) لما لجأ إليه مروان بعد وقعة الجمل وطلبه أمير المؤمنين (ع) لم يدفعه إليه إلا بعد أن أخذ منه رهينة دفعها إلى أبي حفصة عتيق مروان وقال له إن حدث بصاحبك حدث فعليك بالرهينة.

المظلوم ألا تمنعون حريمكم المباح ألا تتقون الله في عطيتكم من أنفسكم أترضون أن يتوردكم أهل الكوفة في بلادكم أغضبوا فقد غوضبتم وقاتلوا فقد قوتلتم إن عليا لا يرى أن معه في هذا الأمر أحد سواه والله لئن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم.

وأكثر من نحو هذا القول وشبهه.

خطبة الحسن:

فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام وقال لولده الحسن (ع) قم يا بني فاخطب فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيها الناس قد بلغتنا مقالة ابن الزبير وقد كان والله يتجنى على عثمان الذنوب وقد ضيق عليه البلاد حتى قتل وإن طلحة راكز رايته على بيت ماله وهو حي وأما قوله إن عليا ابتز الناس أمرهم فإن أعظم حجة لأبيه زعم أنه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه فقد أقر بالبيعة وادعى الوليجة فليأتي على ما ادعاه ببرهان وأنى له ذلك وأما تعجبه من تورد أهل الكوفة على أهل البصرة فما عجبه من أهل حق توردوا على أهل باطل ولعمري والله ليعلمن أهل البصرة وميعاد ما بيننا وبينهم اليوم نحاكمهم إلى الله تعالى فيقضي الله الحق وهو خير الفاصلين.

فلما فرغ الحسن (ع) من كلامه قام رجل يقال له عمر بن محمود

وأنشد شعرا يمدح الحسن (١).
خطبة طلحة:
قال فلما بلغ طلحة والزبير خطبة الحسن (ع) ومدح المادح له قام طلحة خطيبا في أصحابه وقال:
يا أهل البصرة قد ساق الله إليكم خير ما ساقه إلى قوم قط: أمكم وحرمة نبيكم وحواري رسول الله وابن عمته ومن وقاه بيده، إن عليا غصب الناس أنفسهم بالحجاز وتهيأ للشام يريد سفك دماء المسلمين والتغلب على بلادهم فلما بلغه مسيرنا إليكم وقصدنا قصدكم وقد اجتمع معه منافقوا مضر وأنصار ربيعة ورجالة اليمن فإذا رأيتم القوم فاقصدوا قصدهم ولا ترعووا عنهم وتقولوا ابن عم رسول الله وهذه معكم زوجة الرسول وأحب الناس إليه وابنة الصديق الذي كان أحب الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.
فقام إلى طلحة رجل يقال له خيران بن عبد الله من أهل الحجاز كان قدم البصرة وهو غلام فقال:
يا طلحة والله ما تركت جنبا صحيحا عليه بشتمك ربيعة ومضر واليمن وإن كان القول كما تقول فإنا لمثلهم وهم منا ونحن منهم وما يفرق بيننا وبينهم غيرك وغير صاحبك ولقد سبقت إلينا من علي (ع) بيعة ما ينبغي لنا أن ننقضها وإنا لنعلم حالكم اليوم وحالكم أمس.
فهم القوم به فمنعهم بنو أسد فخرج منهم ولحق بمنزل ابن صهبان مستخفيا إشفاقا على دمه منهم.
وقام الأسود بن عوف لما سمع طلحة يشتم الأحياء من ربيعة ومضر واليمن فقال يا هذا إن الله لا يفرق بيننا وبين مضر وإن أهل الكوفة من

---

(١) ذكر الشعر ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج ١ ص ٤٩).

كمن شهد الأخ إلى الأخ وإنما خلفنا القوم في هوان فاعفنا مما ترى.
ثم خرج فلحق بعمان ولم يشهد الجمل ولا صفين.
خطبة أمير المؤمنين:
وبلغ أمير المؤمنين عليه السلام لغط القوم واجتماعهم على حربه.
فقام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال:
أيها الناس إن طلحة والزبير قدما البصرة وقد اجتمع أهلها على
طاعة الله وبيعتي فدعواهم إلى معصية الله تعالى وخلافي فمن أطاعهما منهم
فتنوه ومن عصاهما قتلوه وقد كان من قتلهما حكيم بن جبلة ما بلغكم
وقتلهم السبابجة وفعلهما بعثمان بن حنيف ما لم يخف عليكم وقد كشفوا
الآن القناع وأذنوا بالحرب وقام طلحة بالشتم والقدح في أديانكم وقد
أرعد وصاحبه وأبرقا وهذان امرءان معهما الفشل ولسنا نريد منكم
أن تلقوهم ليظنوا ما في نفوسكم عليهم ولا ترون ما في أنفسكم لنا
ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر وقد خرجوا من هدى
إلى ضلال ودعوناكم إلى الرضا ودعونا إلى السخط فحل لنا ولكم ردهم
إلى الحق والقتال وحل لهم بقصاصهم القتل وقد والله مشوا إليكم
ضرارا وأذاقوكم أمس من الجمر فإذا لقيتم القوم غدا فاعذروني الدعاء
وأحسنوا في التقية واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين.
فقام إليه حكيم بن مناف حتى وقف بين يديه وقال:
أبا حسن أيقضت من كان نائما * وما كل من يدعى إلى الحق يسمع
وما كل من يعطى الرضا يقبل الرضا * وما كان من أعطيته الحق يقنع
وأنت امرء أعطيت من كل وجهة * محاسنها والله يعطي ويمنع
وما منك بالأمر المؤلم غلطة * وما فيك للمرء المخالف مطمع
وإن رجالا بايعوك وخالفوا * هداك وأجروا في الضلال فضيعوا

لأهل لتجريد الصوارم فيهم * وسمر العوالي والقنا تتزعزع
فإني لأرجو أن تدور عليهم * رحى الموت حتى يسكنوا ويصرعوا
وطلحة فيها والزبير قرينه * وليس لما لا يدفع الله مدفع
فإن يمضيا فالحرب أضيق حلقة * وإن يرجعا عن تلك فالسلم أوسع
وما بايعوه كارهين لبيعة * وما بسطت منهم إلى الكره إصبع
ولا بطيا عنها فراقا ولا بدا * لهم أحد بعد الذين تجمعوا
على نقضها ممن له شد عقدها * فقصراهما منه أصابع أربع
خروج بأم المؤمنين وغدرهم * وعيب على من كان في القلب أشجع
وذكرهم قتل ابن عفان خدعة * وهم قتلوه والمخادع يخدع
فعود علي نبعة هاشمية * وعودهما فيما هما فيه (خروع)
الحرب:
ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام أنظرهم وأنذرهم ثلاثة أيام ليكفوا ويرعوا فلما علم إصرارهم على الخلاف قام في أصحابه وقال:
عباد الله انهدوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم فإنهم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي ونكلوا بعاملي وأخرجوه من البصرة بعد أن ألموه بالضرب المبرح والعقوبة الشديدة وهو شيخ من وجوه الأنصار والفضلاء ولم يرعوا له حرمة وقتلوا السبابجة رجالا صالحين وقتلوا حكيم بن جبلة ظلما وعدوانا لغضبه لله تعالى ثم تتبعوا شيعتي بعد أن ضربوهم وأخذوهم في كل عاية وتحت كل رابية يضربون أعناقهم صبرا ما لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون فانهدوا إليهم عباد الله وكونوا أسودا عليهم فإنهم شرار ومساعدوهم على الباطل شرار فالقوهم صابرين محتسبين موطنين أنفسكم إنكم منازلون ومقاتلون قد وطنتم أنفسكم على الضرب والطعن ومنازلة الأقران فأي امرئ أحس من نفسه

رباطة جأش عند الفزع وشجاعة عند اللقاء ورأى من أخيه فشلا أو وهنا فليذب عنه أي عن أخيه الذي فضله الله عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله.

فقام إليه شداد بن شمر العبدي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإنه لما كثر الخطاؤون وتمرد الجاحدون فزعنا إلى آل نبينا الذين بهم ابتدأنا بالكرامة وهدانا من الضلالة الزموهم رحمكم الله ودعوا من أخذ يمينا وشمالا فإن أولئك في غمرتهم يعمهون وفي ضلالهم يترددون.

قال ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام رحل بالناس إلى القوم غداة الخميس لعشر مضين من جمادي الأولى وعلى ميمنته الأشتر وعلى ميسرته عمار بن ياسر وأعطى الراية محمد بن الحنفية ابنه (١) وسار حتى وقف موقفا ثم نادى في الناس لا تعجلوا حتى أعذر إلى القوم ودعا عبد الله ابن العباس فأعطاه المصحف وقال امض بهذا المصحف إلى طلحة والزبير وعائشة وادعهم إلى ما فيه وقل لطلحة والزبير ألم تبايعاني مختارين فما الذي دعاكما إلى نكث بيعتي وهذا كتاب الله بيني وبينكما

---

(١) كان لمحمد يوم البصرة عشرون سنة لأن ولادته سنة (١٦) للهجرة نعرف ذلك من قول المسعودي في التنبيه والأشراف ص ٢٨٣ وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص ١٦٩ وابن كثير في البداية (ج ٩ – ص ٣٨) أنه توفي سنة إحدى وثمانين عن خمس وستين سنة.

ولا بدع في ابن (حيدرة) إذا كانت له مواقف محمودة في الجمل وصفين والنهروان وكانت الراية معه فأبلى بلاء حسنا سجله له التاريخ وشكره الإسلام بعد ما يحدث النبي صلى الله عليه وآله عن أغرز الصفات الحميدة في الطالبين وهي الشجاعة فيقول صلى الله عليه وآله: (لو ولد الناس أبو طالب كلهم لكانوا شجعانا) كما نص عليه الوطواط في غرر الخصائص ص ١٧ في باب حفظ الجوار وخطبته التي ارتجلها يوم صفين في مدح أبيه (ع) وهو واقف بين الصفين تشهد له بالفصاحة والبلاغة على أتم معانيها فهو جليل القدر عظيم المنزلة وعدم حضوره في مشهد الطف أما لأن الحسين أذن له بالبقاء ليكون عينا له كما في مقتل محمد بن أبي طالب الحائري أو للمرض كما يراه العلامة الحلي واعترافه بإمامة السجاد يدل على حسن رأيه ومعذوريته في التأخر على كل حال وإن لم نعرف السبب على التفصيل ولعل الحسين (ع) لاحظ مهمة دقيقة وهي كف الأذى عن آل أبي طالب وحرمهم من الأمويين بوجود ابن الحنفية.

قال عبد الله بن العباس فبدأت بالزبير وكان عندي أبقاهما علينا وكلمته في الرجوع وقلت له إن أمير المؤمنين (ع) يقول لك ألم تبايعني طائعا فبم تستحل قتالي؟ وهذا المصحف وما فيه بيني وبينك فإن شئت تحاكمنا إليه قال ارجع إلى صاحبك فإنا بايعنا كارهين وما لي حاجة في محاكمته فانصرفت عنه إلى طلحة والناس يشتدون والمصحف في يدي فوجدته قد لبس الدرع وهو محتبي بحمائل سيفه ودابته واقفة فقلت له إن أمير المؤمنين يقول لك ما حملك على الخروج وبما استحللت نقض بيعتي والعهد عليك قال خرجت أطلب بدم عثمان أيظن ابن عمك أنه قد حوى على الكوفة وقد والله كتبت إلى المدينة يؤخذ لي بمكة فقلت له اتق الله يا طلحة فإنه ليس لك أن تطلب بدم عثمان وولده أولى بدمه منك هذا أبان بن عثمان ما ينهض في طلب دم أبيه قال طلحة نحن أقوى على ذلك منه قتله ابن عمك وابتز أمرنا فقلت له أذكرك الله في المسلمين وفي دمائهم وهذا المصحف بيننا وبينكم والله ما أنصفتم رسول الله إذ حبستم نساءكم في بيوتكم وأخرجتم حبيسة رسول الله فأعرض عني ونادى بأصحابه ناجزوا القوم فإنكم لا تقومون لحجاج ابن أبي طالب فقلت

يا أبا محمد أبا لسيف تخوف ابن أبي طالب أما والله ليعاجلنك السيف فقال ذلك بيننا وبينكم.
قال فانصرفت عنهما إلى عائشة وهي في هودج وقد دفف بالدروع على جملها (عسكر) وكعب بن شور القاضي أخذ بخطامه وحولها الأزد وضبة فلما رأتني قالت ما الذي جاء بك يا ابن عباس؟ والله لا سمعت منك شيئا ارجع إلى صاحبك وقل له ما بيننا وبينك إلا السيف وصاح من حولها ارجع يا ابن عباس لئلا يسفك دمك.
فرجعت إلى أمير المؤمنين (ع) فأخبرته الخبر وقلت ما تنتظر والله لا يعطيك القوم إلا السيف فاحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك.
فقال (ع) نستظهر بالله عليهم قال ابن عباس فوالله ما رمت من مكاني حتى طلع علي نشابهم كأنه جراد منتشر فقلت ما ترى يا أمير المؤمنين إلى ما يصنع القوم مرنا ندفعهم فقال حتى أعذر إليهم ثانية ثم قال من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إليه وهو مقتول وأنا ضامن له على الله الجنة فلم يقم أحد إلا غلام عليه قباء أبيض حدث السن من عبد القيس يقال له مسلم كأني أراه فقال أنا أعرضه يا أمير المؤمنين عليهم وقد احتسبت نفسي عند الله فأعرض عنه إشفاقا ونادى ثانية: من يأخذ هذا المصحف ويعرضه على القوم وليعلم أنه مقتول وله الجنة فقال مسلم بعينه وقال أنا أعرضه ونادى ثالثة ولم يقم غير الفتى فدفع المصحف إليه وقال إمض إليهم واعرضه عليهم وادعهم إلى ما فيه فأقبل الغلام حتى وقف بإزاء الصفوف ونشر المصحف وقال هذا كتاب الله وأمير المؤمنين يدعوكم إلى ما فيه.
فقالت عائشة اشجروه بالرماح فقبحه الله فتبادروا إليه بالرماح فطعنوه من كل جانب وكانت أمه حاضرة فصاحت وطرحت نفسها عليه وجرته من موضعه ولحقها جماعة من عسكر أمير المؤمنين (ع)

أعانوها على حمله حتى طرحته بين يدي أمير المؤمنين وهي تبكي وتقول (١)
يا رب إن (مسلما) دعاهم * يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه قناهم * وأمهم قائمة تراهم
تأمرهم بالقتل لا تناهم
فلما رأى أمير المؤمنين ما قدم عليه القوم من العناد واستحلوه من سفك الدم لحرام رفع يديه إلى السماء وقال اللهم إليك شخصت الأبصار وبسطت الأيدي وأفضت القلوب وتقربت إليك بالأعمال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ثم دعا ابنه محمد بن الحنفية فأعطاه الراية وهي راية رسول الله (ص) وقال يا بني هذه راية لا ترد قط ولا ترد أبدا قال محمد فأخذتها والريح تهب عليها فلما تمكنت من حملها صارت الريح على طلحة والزبير وأصحاب الجمل فأردت أن أمشي بها فقال أمير المؤمنين قف يا بني حتى آمرك.
ثم نادى أيها الناس لا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تهيجوا امرأة ولا تمثلوا بقتيل فبينا هو يوصي قومه إذ أظلنا نبل القوم فقتل رجل من أصحاب أمير المؤمنين فلما رآه قتيلا قال اللهم اشهد ثم رمي ابن عبد الله بن بديل فقتل فحمله أبوه عبد الله ومعه عبد الله بن العباس حتى وضعناه بين يدي أمير المؤمنين فقال عبد الله بن بديل حتى متى يا أمير المؤمنين ندلي نحورنا للقوم يقتلوننا رجلا رجلا قد والله أعذرت إن كنت تريد الاعتذار ثم قال محمد بن الحنفية فقال أمير المؤمنين رأيتك يا بني قدمها وبعث في الميمنة والميسرة ودعا بدرع رسول الله فلبسه وحزم بطنه بعصابة أسفل من سرته ودعا ببغلته الشهباء وهي بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله فاستوى على ظهرها

---

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ – ص ٢٠٥) وفي روايته للرابع والخامس خلاف ما هنا.

ووقف أمام صفوف أصحابه فوقفت بين يديه باللواء وهو للحرب مستعد فجاء قيس بن عبادة وأنشأ يقول:

هذا اللواء الذي كنا نحف به * مع النبي وجبريل لنا مددا
ما ضر من كانت الأنصار عيبته * أن لا يكون له من غيرها أحدا
قوم إذا حاربوا طالت أكفهم * بالمشرفية حتى يفتحوا البلدا

وصف أصحاب عائشة صفوفهم وجاؤا بالجمل وعليه الهودج وفيه عائشة وخطامه في يد كعب بن شور وقد تقلد بالمصحف والأزد وبنو ضبة قد أحاطوا بالجمل وعبد الله بن الزبير بين يدي عائشة ومروان بن الحكم عن يمينها والزبير يدير العسكر وطلحة على الفرسان ومحمد بن طلحة على الرجالة فقال محمد بن الحنفية قال لي أبي حين رأى القوم قد زحفوا نحونا قدم اللواء فقدمته وزحف المهاجرون والأنصار فلما رأى القوم قد زحفت باللواء بارزا عن أصحابي رشقوني رشقة رجل واحد فوقفت مكاني وأيقنت منهم وقلت ينقضي رشقهم في مرة أو مرتين ثم أتقدم فلم أشعر إلا وأمير المؤمنين (ع) قد ضرب بين كتفي بيده ثم أخذ اللواء مني بيده ونادى (يا منصور أمت) فوالله ما سمعت القوم حتى رأيتهم قد زلزلت أقدامهم وارتعدت فرائصهم والتقى بعضهم ببعض وتزايلوا لترى عائشة موضع كل فريق منهم وتقدم عمار ومالك الأشتر مصلتين سيفهما نحو القوم ونادى أمير المؤمنين يا محمد بن أبي بكر إن صرعت عائشة فوارها وتول أمرها فتضعضع القوم حين سمعوا ذلك واضطربوا وأمير المؤمنين واقف في موضعه ثم تراجعوا بعد تضعضعهم ورجعت إليهم نفوسهم ونادوا البراز فتقدم رجل من بني عدي أمام الجمل وبيده السيف وهو يقول:

أضربكم ولا أرى عليا * عممته أبيض مشرفيا * أريح منه قومنا عديا

فشد عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين (ع) يقال له أمية

العبدي وهو يقول:
هذا علي والهدى سبيله * والرشد فيه والتقى دليله
من يتبع الحق يكن خليله
ثم اختلفت بينهما ضربتان فأخطأه العدوي وضربه العبدي فقتله فقام مقامه رجل يقال له أبو الحرباء عاصم بن مرة من أصحاب الجمل وهو يقول:
أنا أبو الحرباء واسمي عاصم * وأمنا أم لها محارم
فشد عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين وهو يقول:
إليك إني تابع عليا * وتارك أمكم مليا
إذ عصت الكتاب والنبيا * وارتكبت من أمرها فريا
وضربه فقتله فقام مقامه رجل من أصحاب الجمل يقال له الهيثم بن كليب الأزدي وهو يقول:
نحن نوالي أمنا الرضية * وننصر الصحابة المرضية
فشد عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين وهو يقول:
دليلكم عجل بني أمية * وأمكم خاسرة شقية * هاوية في فتنة عمية
وضربه ففلق هامته وخر صريعا إلى الأرض وبرز من بعده عمرو ابن يثربي (١) وكان من شياطين أصحاب الجمل فنادى هل من مبارز فبرز إليه علباء بن الهيثم فاختلفت بينهما ضربتان فقتل علباء رحمه الله فقام مقامه هند بن المرادي فبادره بالسيف فاتقاه وضربه عبد الله بن الزبير وشغله بنفسه وثناه هند بن يثري فقتلاه جميعا فبرز مقامه زيد بن صوحان العبدي فتضاربا وجاء فارس من أصحاب الجمل ووقف بجنب

----

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٣١٧) هو أخو عميرة القاضي وفي ابن الأثير (ج ٣ - ص ٩٨) أن عميرة لم يقتل وبقي حتى تولى قضاء البصرة لمعاوية.

عمرو يحميه فطعنه زيد في خاصرته طعنة أثخنه بها وبدر إليه عمرو فضربه فقضى منها وبدأ عمرو يفتخر ويقول:

أنا لمن ينكرني ابن يثربي * قاتل علباء وهند الجملي

وابن لصوحان على دين علي

فبرز إليه مالك الأشتر فضربه على وجهه ضربة وقع بها على الأرض وحماه أصحابه فنهض وقد تراجعت نفسه وهو يقول لا بد من الموت فدلوني على علي بن أبي طالب فلئن بصرت به لأملأن سيفي من هامته فبرز إليه عمار بن ياسر (١) وهو يقول:

لا تبرح العرصة يا بن يثربي * حتى أقاتلك على دين علي

نحن وبيت الله أولى بالنبي

وضربه ضربة هلك منها وخر صريعا فأكب قومه عليه فاحتملوه إلى معسكرهم.

ولما رأى أمير المؤمنين عليه السلام جرأة القوم على القتال وصبرهم على الهلاك نادى أصحاب ميمنته أن يميلوا على ميسرة القوم ونادى أصحاب ميسرته أن يميلوا على ميمنتهم ووقف عليه السلام في القلب فما كان بأسرع من أن تضعضع القوم وأخذت السيوف من هاماتهم مأخذها فانكشفوا وقد قتل منهم ما لا يحصى كثرة وأصيب من أصحاب أمير المؤمنين نفر كثير وأحاطت الأزد بالجمل يقدمهم كعب بن شور

---

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٢١٧) كان عمار بن ياسر ضعيفا قصيفا حمش الساقين فاسترجع الناس حين رأوه بارزا فضربه ابن يثربي فنشب في جحفته ثم ضربه عمار فصرعه ورموه أصحاب علي بالحجارة حتى أثخنوه وفيه ص ٢١٠ وابن الأثير (ج ٣ - ص ٩٨) كان لعمار يومئذ تسعون سنة فضرب ابن يثربي على رجليه فقطعهما وجيئ به إلى علي (ع) أسيرا فأمر به فقتل.

وخطام الجمل بيده واجتمع إليهم من كان انفتل بالهزيمة ونادت عائشة يا بني الكرة الكرة اصبروا فإني ضامنة لكم الجنة فحفوا بها من كل جانب واستقدموا حتى دنوا من عسكر أمير المؤمنين ولفت عائشة نفسها ببردة كانت معها وقلبت يمينها على منكبها الأيسر والأيسر إلى الأيمن كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل عند الاستسقاء ثم قالت ناولوني كفا من تراب فناولوها فحثت به وجوه أصحاب أمير المؤمنين وقالت شاهت الوجوه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بأهل بدر قال وجر كعب بن شور بالخطام وقال اللهم إن أردت أن تحقن الدماء وتطفي هذه الفتنة فاقتل عليا ولما فعلت عائشة من السب المبرح وحصب أصحاب أمير المؤمنين قال عليه السلام وما رميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى وليعودن وبالك عليك إن شاء الله وأنشدت أم ذريح العبدية من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام

عائش إن جئت لتهزمينا * وتنشري البر لتغلبينا
وتقذفي بالحصبات فينا * تصادفي ضربا وتنكرينا
بالمشرفيات إذا غزينا * نسفك من دمائكم ماشينا

فقال محمد بن الحنفية رحمه الله قال لي أمير المؤمنين (ع) يا بني تقدم باللواء وصف أصحابه فجعل الحسن في الميمنة والحسين في الميسرة وكان في ميمنة أهل الجمل هلال بن وكيع وفي ميسرتهم صبرة بن عثمان وتزاحف الفريقان بعضهم إلى بعض قال فوالله لقد رأيت أول قتيل من القوم كعب بن شور بعد أن قطعت يمينه التي كان فيها الخطام فأخذه بشماله وقتل بعد ذلك وقتل معه أخوه وابناه ثم أخذ بخطام الجمل بعده رجل وهو يقول شعرا:

يا آمنا عائش لا تراعي * كل بنيك بطل شجاع

فما برح حتى قطعت يداه وطعن فهلك فقام مقامه آخر منهم فقطعت يمينه وضرب على رأسه فهلك فما زال كل من أخذ بخطام الجمل رجل

قطعت يده وجذ ساقه حتى هلك منهم ثمانمائة رجل وقيل ذلك اليوم قتل سبعون رجل من قريش وكان آخر من أخذ بزمام الجمل رجل من بني ضبة فجعل يقول (١):

نحن بني ضبة أصحاب الجمل * ننعي ابن عفان بأطراف الأسل
ردوا إلينا شيخنا ثم نحل

فبرز إليه الأشتر وهو يقول:

كيف نرد نعثلا وقد نحل

وضربه على هامته ففلقها فخر صريعا فلاذ بالجمل عبد الله بن الزبير وتناول خطامه بيده فقالت عائشة من هذا الذي أخذ بخطام جملي؟ قال أنا عبد الله ابن أختك فقالت واثكل أسماء ثم برز الأشتر إليه فخلى الخطام من يده وأقبل نحوه فقام مقامه في الخطام عبد أسود واصطرع عبد الله والأشتر فسقطا إلى الأرض فجعل ابن الزبير يقول وقد أخذ الأشتر بعنقه ينادي اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي.

قال الأشتر فما سرني إلا قوله مالكا ولو قال الأشتر لقتلوني فوالله لقد تعجبت من حمق عبد الله إذ ينادي بقتله وقتلي وما كان ينفعه المشوم إن قتلت وقتل هو معي ولم تلد امرأة من النخع غيري فأفرجت عنه فانهزم وبه ضربة مثخنة في جانب وجهه.

فلما تفرق الناس عن الجمل أشفق أمير المؤمنين عليه السلام أن يعود إليه فتعود الحرب فقال عرقبوا الجمل فتبادر إليه أصحاب علي (ع) فعرقبوه ووقع لجنبه وصاحت عائشة صيحة أسمعت من في العسكرين وقد جاءت الروايات من مبارزة القوم وارتجازهم بما يطول شرحه وإنما اقتصرنا على بعضه للإيجاز والاختصار فيما كان من أمر الجمل وقطع

---

(١) في ابن الأثير (ج ٣ – ص ٩٨) والطبري (ج ٥ ص ٢١٠) الأبيات لوسيم بن عمرو بن ضرار الضبي.

أيدي الآخذين بخطامه وجذ أقدامهم.
ما رواه مسلم بن عمارة وقال بشر العامري أقبلت من نحو المدينة أريد الكوفة في زمن عثمان فلقيت علجا قد جعل على وجه حماره ورقة فيها قرآن فأعظمت ذلك وأخذت العلج وشتمته فقال لي ما تريد مني؟ قلت ما هذا الذي صنعت؟ ويلك تحمل على وجه حمارك ورقة من القرآن فقال ويحك إن هذا ومثله مطروح على الكناسات والحشوش عندنا كتب صاحبك تمزق وتلقى في الحشوش قال فلقيت حذيفة فأخبرته قال قد فعلوا ذلك كأني بهم وقد ساروا بها والذي بعث محمدا بالحق نبيا والأزد وضبة قد حضروهما جذ الله أقدامهم قال فأتيت الوقعة في البصرة فنظرت إلى تميم وضبة حول الجمل ونظرت إلى الأزد وقد قطعت أقدامهم من العراقيب وأسفل قال ولما قتل كعب بن شور تقدم غلام من الحذان يقال له وائل بن عمر وهو يبكي ويقول:

يا رب فارحم سيد القبائل * كعب بن شور غرة القبائل
وخير حاف منهم وناعل * وخير مقتول وخير قاتل
أبشر بخير يا كعيب كامل * بنصرك الحق وترك الباطل

فخرج إليه رجل يقال له عبد الرحمن بن هاشم وهو يقول:

لا رحم الله بن شور إذ مضى * ولا تولاه بعفو ورضى
فقد قضى بالجور فيما قد قضى * ودان بالكفر ولم يعص الهوى
واتبع الضلال من أهل العمى * فصار بالفتنة مع من قد هوى

ثم ضرب وائل بن عمر فقتله وبرز رجل من بني قشير يقال له حنتمة ابن الأسود وهو يقول:

نحن صحاب الجمل المكرم * ومانعوا هودجه المعظم
وناصروا زوج النبي الأكرم * ذلك دين الله فينا الأقدم

فخرج إليه رجل من شيعة أمير المؤمنين يقال له عبيد الله بن سالم

وهو يقول:
نحن مطيعون جميعا لعلي إذ أنت ساع في الفساد يا شقي
إن الغوي تابع أمر الغوي * قد خالفت زوج النبي للنبي
وخرجت من بيتها مع من هوي
ثم ضرب يده بالسيف فقطعها ووقع لجنبه فرام أصحابه تخليصه وازدحموا عليه فوطؤوه.
وروى الواقدي قال حدثني عبد الله بن الفضيل عن أبيه عن محمد ابن الحنفية قال لما نزلنا البصرة وعسكرنا بها وصففنا صفوفنا دفع أبي علي (ع) إلي باللواء وقال لا تحدثن شيئا حتى يحدث فيكم ثم نام فنالنا نبل القوم فأفزعته ففزع وهو يمسح عينيه من النوم وأصحاب الجمل يصيحون يا لثارات عثمان فبرز (ع) وليس عليه إلا قميص واحد ثم قال تقدم باللواء فتقدمت وقلت يا أبه في مثل هذا اليوم بقميص واحد قال (أحرز امرء أجله) والله قاتلت مع النبي صلى الله عليه وآله وأنا حاسر أكثر مما قاتلت وأنا دارع ثم دنا كل من طلحة والزبير فكلمهما ورجع وهو يقول: يأبى القوم إلا القتال فقاتلوهم فقد بغوا ودعا بدرعه البتراء ولم يلبسها بعد النبي إلا يومئذ فكان بين كتفيه منها متوهيا قال وجاء أمير المؤمنين وفي يده شسع نعل فقال له ابن عباس ما تريد بهذا الشسع يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام اربط بها ما قد توهى من هذا الدرع من خلفي فقال له ابن عباس أفي مثل هذا اليوم تلبس مثل هذا؟ فقال (ع) لم؟ قال أخاف عليك قال (ع) لا تخف إن أوتي من ورائي والله يا ابن عباس ما وليت في زحف قط ثم قال له البس يا ابن عباس فلبس درعا سعديا ثم تقدم إلى الميمنة وقال احملوا ثم إلى الميسرة وقال احملوا وجعل يدفع في ظهري ويقول تقدم يا بني فجعلت أتقدم وكانت إياها حتى انهزموا من كل وجه.

وروى الواقدي عن هشام بن سعد عن شيخ من مشايخ أهل البصرة قال لما صف علي بن أبي طالب صفوفه أطال الوقوف والناس ينتظرون أمره فاشتد عليهم ذلك فصاحوا حتى متى فصفق بإحدى يديه على الأخرى ثم قال عباد الله لا تعجلوا فإني كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وآله يستحب أن يحمل إذا هبت الرياح قال فأمهل حتى زالت الشمس وصلى ركعتين ثم قال ادعوا ابني محمدا فدعي له محمد بن الحنفية فجاء وهو يومئذ ابن تسع عشرة سنة فوقف بين يديه ودعى بالراية فنصبت فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما هذه الراية لم ترد قط ولا ترد أبدا وإني واضعها اليوم في أهلها ودفعها إلى ولده محمدا وقال تقدم يا بني فلما رآه القوم قد أقبل والراية بين يديه فتضعضعوا فما هو إلا أن الناس التقوا ونظروا إلى غرة أمير المؤمنين ووجدوا مس السلاح حتى انهزموا.

وروى الواقدي قال حدثني عبد الله بن عمر عن علي بن أبي طالب قال لما سمع أبي أصواب الناس يوم الجمل وقد ارتفعت فقال لابنه محمد ما يقولون؟ قال يقولون يا لثارات عثمان قال فشد عليهم وأصحابه يهشون في وجهه يقولون ارتفعت الشمس وهو يقول الصبر أبلغ حجة.

خطبة علي عليه السلام يوم الجمل:

ثم قام خطيبا يتوكأ على قوس عربية فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه وقال:

أما بعد فإن الموت طالب حثيث لا يفوته الهارب ولا يعجزه فاقدموا ولا تتكلوا وهذه الأصوات التي تسمعوها من عدوكم فشل واختلاف إنا كنا نؤمر في الحرب بالصمت فعضوا على الناجذ واصبروا لوقع السيوف فوالذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على فراشي فقاتلوهم صابرين محتسبين فإن الكتاب معكم والسنة معكم ومن

كنا معه فهو القوي أصدقوهم بالضرب فأي امرء أحس من نفسه شجاعة وإقداما وصبرا عند اللقاء فلا يبطرنه ولا يرى أن له فضلا على من هو دونه وإن رأى من أخيه فشلا وضعفا فليذب عنه كما يذب عن نفسه فإن الله لو شاء لجعله مثله.

ثم دعا بدرعه فلبسه حتى إذا وقع موقعه من بطنه فأمر ابنه محمد يحزمهما بعمامته ثم انتضى سيفه فهزه حتى رضى به وغمده وتقلده والناس على صفوفهم وأصحاب الجمل قد دنوا فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بتسوية الصفوف حتى إذا اعتدلت دفع الراية إلى محمد بن الحنفية وقال تقدم بالراية واعلم أن الراية إمام أصحابك فكن متقدما يلحقك من خلفك فإن كان لمن يتقدم من أصحابك جولة رجع إليك.

وجعل عليه السلام الناس أثلاثا مضر في القلب واليمن في الميمنة وعليهم مالك الأشتر وفي الميسرة عمار بن ياسر.

وصف أصحاب الجمل صفوفهم فجعلوا على حنظلة هلال بن وكيع وعلى بني عمرو وبني تميم عمير بن عبد الله بن مرقد وعلى بني سعد زيد ابن جبلة بن مردان وعلى بني ضبة والرباب عمرو بن يثربي وراية الأزد مع عمرو بن الأشرف العتكي.

قال محمد بن علي (ع) فالتقينا وقد عجل أصحاب الجمل وزحفوا علينا فصاح أبي امض فمضيت بين يديه أخطوا بالراية خطوا سرعان أن يلحقوا أصحابنا فلاذ أصحاب الجمل ونشب القتال واختلفت السيوف وأبي خلفي يقول تقدم فقلت ما أجد متقدما إلا على الأسنة فغضب (ع) وقال أقول لك تقدم تقول على الأسنة ثق بالله يا بني وتقدم بين يدي على الأسنة.

وتناول الراية مني وتقدم يهرول بها فأخذتني حدة فلحقته وقلت أعطني الراية فقال لي خذها وقد عرفت ما وصف لي.

ثم تقدم بين يدي وجرد سيفه وجعل يضرب به ورأيته قد ضرب رجلا فأبان زنده وقال الزم رأيتك يا بني فإن هذا ستكفاه فرمقت لضرب أبي ولحظته وإذا هو يورد السيف ويصدره ولا أرى فيه دما وإذا هو يسرع إصداره فيسبق الدم وأحدقنا بالجمل وصار القتل حوله واضطربنا أشد اضطراب رآه راءِ حتى ظننت أنه القتل وصاح أبي يا ابن أبي بكر اقطع البطان فقطعه وتلقوا الهودج فكأن والله الحرب جمرة عليها صب الماء.

وروى الواقدي قال ابن جريح كان محمد بن الحنفية يحمل راية أمير المؤمنين أبيه يوم الجمل ورأى منه بعض النكوص فأخذ الراية منه قال محمد فأدركته وعالجته على أن يردها فأبى علي طويلا ثم ردها وقال خذها أحسن حملها وتوسط أصحابك ولا تخفض عاليها واجعلها مستشرفة يراها أصحابك ففعلت ما قال لي فقال عمار يا أبا القاسم ما أحسن ما حملت الراية اليوم فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بعد ماذا؟ فقال عمار ما العلم إلا بالتعلم.

وروى إبراهيم بن نافع عن سعيد بن أبي هند قال أخبرنا أصحابنا ممن حضر القتال يوم البصرة أن عليا قاتل يومئذ أشد القتال وسمعوه وهو يقول تبارك الله الذي أذن لهذه السيوف تصنع ما تصنع ونظر يومئذ إلى سفيان بن حويطب بن عبد العزي وهو يسترجع من الخوف وما التحم من الشر فقال له أمير المؤمنين (ع) انحز إلى أصحابي ولا تقتل فانحاز إليهم إلى أن حمل أصحاب الجمل على أمير المؤمنين (ع) حملة فإذا هو قد صار في حيزهم فحمل عليه رجل من همدان وعلي يصيح كف عنه والهمداني لا يفهم حتى قطعه إربا إربا فقال عليه السلام يا ويحه إن لفته السيوف وقد كان مقتله بغيضا.

وروى أبو الزياد عن هشام بن عروة عن أبيه عبد الله بن الزبير

قال لم يأخذ بزمام جمل عائشة يوم الجمل إلا قتل وكان كلما جاء إنسان يأخذ بخطام جملها قالت من أنت؟ حتى أتيتها وكنت آخر من أخذه حين لم أجد أحدا يأخذه فقالت من أنت؟ فقلت ابن أختك فقالت واثكل أسماء فأقبل الأشتر إلي فتصارعنا فجعلت أقول اقتلوني ومالكا معي وجعل يقول اقتلوني وعبد الله ولو قال ابن الزبير لقتلت ولو قتل الأشتر لقتلنا جميعا فأثقلتني الجراح حتى سقطت وأنا مجروح مطروح في القتلى.

فأتاني الأسود بن أبي البختري فوجدني صريعا فأخذني بالعرض على فرسه وسار بي فجعل إذا أبصر إنسانا من أصحاب علي ألقاني وإذا لم ير أحدا حملني حتى مر به رجل يعرفني فحمل عليه فأخطأه وأصاب رجل فرسه ثم حملني فانطلق بي حتى أنزلني على رجل من بني ضبة له امرأتان تميمية وبكرية من شيعة عثمان فغسلت جراحتي وحشتها كافورا فوالله ما فاح منها شئ.

وجعلت عائشة تسأل عني فلا تخبر عني بشئ حتى إذا برأت جراحتي قلت لصاحب منزلي انطلق إلى عائشة وأخبرها بي وإياك أن يراك محمد ابن أبي بكر وقلت له إنه قصير ووصفته له فانطلق فأخبرها وقال لها إنه قد أمرني أن لا يراني محمد بن أبي بكر قالت كلا فانطلق إلى محمد بن أبي بكر وادعه إلى وذلك بعد هزيمتنا ووضع الحرب أوزارها فانطلقت إليه فدعوته وجاءها فقالت له يا أخي ما تراك فاعلا في أمر آمرك به؟ قال ما هو؟ قالت انطلق إلى عبد الله بن الزبير فجيئ به فجاء محمد إلى موضعي فدخل على عبد الله فلما رآه خافه وقال مالك فعل الله بك وفعل قال له محمد لا تعجل ثم أخبره الخبر.

قال ابن الزبير فخرجت معه فتأخر لي عن الفرس فركبت بين يديه وجعل يكف ثيابه لا يصيبني وأنا أؤخر ثيابي عنه لا تصيبه ولم يزل

يسير بي حتى أتينا عائشة فسمعت سب عثمان علانية فبكيت وقلت لا أقيم ببلد يسب فيه عثمان علانية فامتنعت منهم وأخذت راحلة منهم فإذا رجل يحيد مني وأنا أحيد منه فإذا هو عبد الرحمن بن الحرث وأبصرت رجلا مغلولا لفرسه فقلت هذا والله فرس الزبير فأردت قتله فقال عبد الرحمن لا تعجل عليه فإنه لن يفلتنا فإذا هو غلام الزبير قد أقبل فقلت له أين الزبير؟ فقال لا أدري فعلمت أن الزبير قد قتل.

وروى محمد بن عبد الله بن عبيد الله عن عمر بن دينار عن صفوان قال لما تصاف الناس يوم الجمل صاح صايح من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يا معاشر شباب قريش أراكم قد لحجتم وغلبتم على أمركم هذا وإني أنشدكم الله أن تحقنوا دماءكم ولا تقتلوا أنفسكم اتقوا الأشتر النخعي وجندب بن زهير العامري فإن الأشتر يشمر درعه حتى تتبعوا أثره وإن جندبا يخرم درعه حتى يشمر عنه وفي رايته علامة حمراء فلما التقى الناس أقبل الأشتر وجندب قبال الجمل يرفلان في السلاح حتى قتلا عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ومعبد بن زهير بن خلف بن أمية وعمد جندب لابن الزبير فلما عرفه قال أتركك لعائشة.

وروى محمد بن عبد الله بن عبيد بن وهب قال قطعت يوم الجمل يد عبد الرحمن وفيها الخاتم فأخذه بشر فطرحه باليمامة فأخذه أهل اليمامة واقتلعوا حجره وكان ياقوتا فابتاعه رجل منهم بخمسمائة دينار فقدم به مكة فباعه بربح عظيم.

وروى محمد بن موسى عن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال سمعت معاذ ابن عبد الله التميمي وكان قد حضر الجمل يقول لما التقينا واصطففنا نادى منادي علي بن أبي طالب يا معاشر قريش اتقوا الله على أنفسكم فإني أعلم أنكم قد خرجتم وظننتم أن الأمر لا يبلغ إلى هذا فالله الله في أنفسكم فإن السيف ليس له بقيا فإن أحببتم فانصرفوا حتى نحاكم هؤلاء

القوم وإن أحببتم فإلي إنكم آمنون بأمان الله قال فاستحيينا أشد الحياء وأبصرنا ما نحن فيه ولكن الحفاظ حملنا على الصبر مع عائشة حتى قتل من قتل منا فوالله لقد رأيت أصحاب علي وقد وصلوا إلى الجمل وصاح منهم صايح اعقروه فعقروه ونادى علي (ع) من طرح السلاح فهو آمن ومن دخل بيته فهو آمن فوالله ما رأيت أكرم عفوا منه.

وروى سليمان بن عبد الله بن عويمر الأسلمي قال قال ابن الزبير إني لواقف في يمين رجل من قريش إذ صاح صايح يا معاشر قريش أحذركم الرجلين جندب العامري والأشتر النخعي قال وسمعت عمارا يقول لأصحابنا ما تريدون وما تطلبون؟ فناديناه نطلب بدم عثمان فإن خليتم بيننا وبين قتلته رجعنا عنكم فقال عمار لو سألتمونا أن ترجعوا عنا بئس الفخار فإنه الأم الغنم فحلا وشرها لحما ما أعطيناكموهم ثم التحم القتال وناديناهم مكنونا من قتلة عثمان ونرجع عنكم فنادانا عمار قد فعلنا هذه عائشة وطلحة والزبير قتلوه عطشا فأبدوا بهم فإذا فرغتم منهم تعالوا إلينا نبذل لكم الحق فأمسك والله أصحاب الجمل كلهم.

وروى عبد الله بن رياح مولى الأنصاري عن عبد الله بن زياد مولى عثمان قال خرج عمار بن ياسر يوم الجمل إلينا فقال يا هؤلاء على أي شئ تقاتلونا؟ فقلنا على أن عثمان قتل مؤمنا فقال عمار نحن نقاتلكم على أنه قتل كافرا قال وسمعت عمارا يقول والله لو ضربتمونا حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا إنا على الحق وإنكم على الباطل وسمعته والله يقول ما نزل في تأويل هذه الآية إلا اليوم: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه).

قال ولما جال الناس تلك الجولة قتل بينهم خلق كثير وسمع أصوات السيوف في الرؤوس كأنها مخاريق قال الراوي والله مررت بعد الوقعة بالبصرة فدنوت من دير النصارى فسمعت الشبات على الحجارة فشبهتها

بالأصوات التي كانت من السيوف على الرؤوس يومئذ وفي تلك الجولة قتل طريف بن عدي بن حاتم وفقأت عين عدي.

وروى محمد بن عبد الله بن عمر بن دينار قال قال أمير المؤمنين لابنه محمد خذ الراية وامض وعلي (ع) خلفه فناداه يا أبا القاسم فقال لبيك يا أبة فقال يا بني لا يستفزنك ما ترى قد حملت الراية وأنا أصغر منك فما استفزني عدوي وذلك إني لم أبارز أحدا إلا حدثتني نفسي بقتله فحدث نفسك بعون الله تعالى بظهورك عليهم ولا يخذلك ضعف النفس من اليقين فإن ذلك أشد الخذلان قال قلت يا أبة أرجو أن أكون كما تحب إن شاء الله قال فالزم رأيتك فإن اختلفت الصفوف قف في مكانك وبين أصحابك فإن لم تبين من أصحابك فاعلم أنهم سيرونك قال والله إني لفي وسط أصحابي فصاروا كلهم خلفي وما بيني وبين القوم أحد يردهم عني وأنا أريد أن أتقدم في وجوه القوم فما شعرت إلا بأبي خلفي قد جرد سيفه وهو يقول لا تقدم حتى أكون أمامك فتقدم بين يدي يهرول ومعه طائفة من أصحابه فضرب الذين في وجهه حتى نهضوهم ولحقتهم بالراية فوقفوا وقفة واختلط الناس وكدت السيوف ساعة فنظرت إلى أبي يفرج الناس يمينا وشمالا ويسوقهم أمامه فأردت أن أجول فكرهت خلافه ووصيته لي لا تفارق الراية حتى انتهى إلى الجمل وحوله أربعة آلاف مقاتل من بني ضبة والأزد وتميم وغيرهم وصاح اقطعوا البطان فأسرع محمد بن أبي بكر فقطعه وأطلع الهودج فقالت عائشة من أنت؟ قال أبغض أهلك إليك قالت ابن الخثعمية؟ قال نعم ولم تكن دون أمهاتك قالت لعمري بل هي شريفة دع عنك هذا الحمد لله الذي سلمك قال قد كان ذلك ما تكرهين قالت يا أخي لو كرهته ما قلت ما قلت قال كنت تحبين الظفر وإني قتلت قالت قد كنت أحب ذلك لكنه ما صرنا إلى ما صرنا أحببت سلامتك لقرابتي منك فاكفف ولا تعقب

الأمور وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عذلة فإن أباك لم يكن لومة ولا عذلة قال وجاء علي (ع) فقرع الهودج برمحه وقال يا شقيراء بهذا وصاك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت يا ابن أبي طالب قد ملكت فاسجح.

وجاءها عمار فقال لها يا أماه كيف رأيت ضرب بنيك اليوم دون دينهم بالسيف؟ فصمتت ولم تجبه.

وجاءها مالك الأشتر رحمه الله وقال لها الحمد لله الذي نصر وليه وكبت عدوه جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا كيف رأيت صنع الله بك يا عائشة؟ فقالت من أنت ثكلتك أمك؟ فقال أنا ابنك الأشتر قالت كذبت لست بأمك قال بلى وإن كرهت فقالت أنت الذي أردت أن تثكل أختي أسماء بابنها، فقال المعذرة إلى الله وإليك والله لولا إنني كنت طاويا ثلاثا لأرحتك منه وأنشأ يقول بعد الصلاة على الرسول.

أعائش لولا إنني كنت طاويا * ثلاثا لألفيت ابن أختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه * بأضعف صوت (اقتلوني ومالكا)

فركبت وقالت فخرتم وغلبتم وكان أمر الله قدرا مقدورا.

ونادى أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن أبي بكر فقال سلها هل وصل إليها شئ من الرماح والسهام فسألها قالت نعم وصل إلى سهم خدش رأسي وسلمت من غيره الله بيني وبينكم فقال محمد والله ليحكمن عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين أمير المؤمنين (ع) حتى تخرجين عليه وتؤلبين الناس على قتاله وتنبذي كتاب الله وراء ظهرك فقالت دعنا يا محمد وقل لصاحبك يحرسني وكان الهودج كالقنفذ من النبل فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأخبرته بما جرى بيني وبينها وما قلت وما قالت.

فقال عليه السلام هي امرأة والنساء ضعاف العقول فتول أمرها

واحملها إلى دار عبد الله بن خلف حتى ننظر في أمرها فحملتها إلى الموضع وإن لسانها لا يفتر من السب لي ولعلي والترحم على أصحاب الجمل.

وروى الواقدي قال حدثنا هشام بن سعد عن عباس بن عبد الله ابن معبد عن معاذ بن عبد الله التميمي قال لما قدمنا البصرة مع عائشة وأقمنا ما أقمنا ندعوا الناس إلى نصرتنا والقيام معنا فالقابل لما ندعوا إليه والآبي له ونحن على ما نحن عليه نقول إلا نقاتل علي بن أبي طالب أبدا إلى أن قيل قد نزل علي (ع) فما أدري حتى نشبت الحرب نشبها الصبيان وأوقدها العبيد وإذا الجمل رحل والناس يهوون إلى القتال وإذا عسكر علي قد تحرك فبادر أصحابنا فرموا وجبلوا وصيحوا وأكثروا فسمعت عائشة تقول هذا أول الفشل وعلي (ع) وعسكره لا يثنون ثم صف علي أصحابه وولى الرايات موضعها وأعطى ابنه محمدا الراية العظمى راية بيضاء تملأ الرمح ثم وقف علي (ع) في القلب وحمل سرعان الميمنة والميسرة وحمل سرعان القلب فأسمع عليا ينادي محمدا تقدم بالراية وتوسط القلب فينكر من تقدمك وإن جالوا أو دفعوا يلحقك من خلفك ثم سمعته يقول أصحابك إمامك تقدم تقدم وتقدم علي والراية بين كتفيه وجرد سيفه وضرب رجلا فأبان زنده ثم انتهى إلى الجمل وقد اجتمع الناس حوله واختلطوا وأحدقوا به من كل جانب واستجن الناس تحت بطان الجمل فانظروا لله إلى علي يصيح بمحمد بن أبي بكر اقطع البطان وأرى عليا قد قتل ممن أخد بخطام الجمل عشرة بيده وكلما قتل رجلا مسح سيفه في ثيابه ثم جاوزت حتى صرنا في أيديهم كأننا أغنام نساق فانصرفنا حينئذ وتلاومنا وندمنا.

وروى الواقدي قال حدثني محمد بن عبد الله بن عبيد بن عكرمة ابن خالد قال قال عبد الرحمن بن الحرث بن هشام كنت أنا والأسود ابن أبي البختري وعبد الله بن الزبير قد تواعدنا وتعاهدنا بالبصرة لئن

لقينا القوم لنموتن أو لنقتلن عليا وأصحاب علي لم يكونوا عدلوا صفوفهم ثم نظرنا إليهم وقد عدلوا صفوفهم ميمنة وميسرة قال عبد الرحمن كنت واقفا عند عبد الله بن الزبير والأسود بن البختري فقلت ما وراءكما؟ قالا نحن على ما كنا عليه إلى أن مالت ميسرته على ميمنتنا فهزمهم ومالت ميمنته على ميسرتنا ففعلوا مثل ذلك ورأيت عليا وراء ابنه محمد وقد تقدم يحمل علما أسودا عظيما وعلي شاهر سيفه فلقى رجلا من ضبه فقتله ثم ضرب آخر فقتله ثم خلص إلينا ووقف عند رجلين فلاذ كل بصاحبه وجعل الأسود يقول هل من مهرب وتقدم ابن الزبير فأخذ الجمل فكان آخر من أخذه فأنظر إلى علي وقد انتهى إلى الجمل والسيف يرعف دما وهو واضعه على عاتقه وهو يصيح لمحمد بن أبي بكر اقطع البطان فكانت الهزيمة فلم نر مثل لزوم السواد الأكبر فلما انهزمنا خرجنا خائفين من مسالح علي (ع) فما زلنا نخاف الطلب حتى سرنا مراحل.

وروى عن ابن الزبير قال خرجت عائشة يوم البصرة وهي على جملها (عسكر) قد اتخذت عليه خدرا ودقته بالدروع خشية أن يخلص إليها النبل وسار إليهم علي بن أبي طالب حتى التقوا فاقتتلوا قتالا شديدا وأخذ بخطام الجمل يومئذ سبعون رجلا من قريش كلهم قتل وخرج مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير ورأيتهما جريحين فلما قتلت تلك العصابة من قريش أخذ رجال كثير من بني ضبة بخطام الجمل فقتلوا عن آخرهم ولم يأخذ بخطامه أحد إلا قتل حتى غرق الجمل بدماء القتلى وتقدم محمد بن أبي بكر فقطع بطان الجمل واحتمل الخدر ومعه أصحاب له وفيه عائشة حتى أنزلوها بعض دور البصرة وولى الزبير منهزما فأدركه ابن جرموز فقتله.

ولما رأى مروان توجه الأمر على أصحاب الجمل نظر إلى طلحة

وهو يريد الهرب فقال والله لا يفوتني ثاري من عثمان فرماه بسهم فقطع أكحله فسقط بدمه وحمل من موضعه وهو يقول: إنا لله هذا والله سهم لم يأتني من بعد ما أراه إلا من معسكرنا لله ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي ثم لم يلبث أن هلك (١).

وروى الواقدي أيضا عن موسى بن عبد الله عن الحسين بن عطية عن أبيه قال شهدت الجمل مع علي (ع) فلقد رأيت جمل عائشة وعليه هودجها وعليه دروع الحديد ثم لقد رأيت فيه من النبل والنشاب أمرا عظيما ثم عقر فما سمعت كصوته شئ قط ونادى أصحاب علي عليكم الجمل فاعقروه فشدت عليه رجال فعقروه فوقع لحينه.

وروى يزيد عن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال نظرت الهودج يوم الجمل كأنه قنفذ من النشاب والنبل.

وروى ابن أبي ميرة عن علقمة بن أبي علقمة عن أبيه قال جعلنا الهودج من خشب فيه مفاتيح الحديد وفوقه دروع من حديد وفوقها طيالسة من خز أخضر وفوق ذلك أدم أحمر وجعلنا لعائشة منه منظر العين فما أغنى ذلك عنها من القوم.

وروى الواقدي عن رجاله العثمانية عن عائشة ذكر الحال وهزيمة القوم في الحرب وشرح الصورة ورأيها فكان ما كان من ذلك فقال حدثنا محمد بن حميد عن حميدة بنت ابن رفاعة عن أمها كبشة بنت كعب قالت كان أبي لقي على عثمان حربا عظيما وبكاه ولم يمنعه من الخروج إلا أن بصره ذهب ولم يبايع عليا ولم يقر به بغضا له ومقتا.

وخرج علي (ع) من المدينة فلما قدمت عائشة منصرفة من البصرة جاءها أبي فسلم على الباب ثم دخل وبينها وبينه حجاب فذكرت له بعض

---

(١) ابن الأثير (ج ٣ – ص ٩٦) وفي الطبري (ج ٥ ص ٢١٥) مات في خربة من دور البصرة لبني سعد ودفن فيها.

أمر ولم تشرحه له فلما أمسينا بعثنا إلى عائشة نستأذن عليها فأذنت لنا
قالت كبشة فدخلت في نسوة من الأنصار فحدثتنا بخروجها وإنها لم
تظن الأمر يبلغ إلى ما بلغ ثم قالت لقد عمل لي على هودج حملني ثم ألبس
الحديد ودخلت فيه وقمت في وسط الناس أدعو إلى الصلح وإلى الكتاب
والسنة فليس أحد يسمع من كلامي حرفا وعجل من لقينا القتال فرموا
النبل وصرعهم القوم حتى قتل من أصحاب علي رجل ورجلان ثم
تقارب الناس ولحم الشر وصار القوم ليس لهم همة إلا جملي ولقد دخلت
علي سهام فجرحتني فأخرجت ذراعها وأرتنا جرحا على عضدها
فبكت وأبكتنا.

قالت وجعل كلما أخذ بخطام جملي رجل قتل حتى أخذه ابن أختي
عبد الله فصحت به وناشدته بالرحم أنه يتجافاني فقال يا أم هو الموت
يقتل الرجل وهو عظيم الغنى عن أصحابه على نيته خير أن يدرك
وقد فارقته نيته فصحت واثكل أسماء فقال يا أم الزمي الصمت وقد لحم
ما ترين فأمسكت وكان من معنا فتيان أحداث من قريش لا علم لهم
بالقتال ولم يشهدوا الحرب فكانوا جزرا للقوم فإني لعلى ما نحن فيه وقد
كان الناس كلهم حول جملي فسكتوا ساعة فقلت خيرا أم شرا ذا
سكوتكم ضرس القتال وإذا ابن أبي طالب أنظر إليه يباشر القتال بنفسه
وأسمعه يصيح الجمل الجمل فقلت أرادوا والله قتلي فإذا هو علي بن
أبي طالب ومعه محمد بن أبي بكر أخي ومعاذ بن عبد الله التميمي وعمار
ابن ياسر وقطعوا البطان واحتملوا الهودج فهوى على أيدي الرجال
يرفلون به وهرب من كان معنا فلم أحس لهم خبرا.

ونادى منادي علي بن أبي طالب لا يتبع مدبرا ولا يجهز على جريح
ومن طرح السلاح فهو آمن فرجعت إلى الناس أرواحهم فمشوا على
الناس واستحيوا من السعي فأدخلت منزل عبد الله بن خلف

الخزاعي (١) وإنه منزل رجل قد قتل وأهله مستعبرون عليه ودخل معي كل من خاف عليا ممن نصب له واحتمل ابن أختي عبد الله جريحا فوالله إني لعلى ما أنا عليه وأنا أسأل ما فعل أبو محمد طلحة إذ قال قائل قتل فقلت ما فعل أبو سليمان فقيل قد قتل فلقد رأيتني تلك الساعة جمدت عيناي فانقطعت من الحزن وأكثرت من الاسترجاع والندامة وذكر من قتل فبكيت لقتلهم فنحن على ما نحن عليه وأنا أسأل عن عبد الله فقيل قتل فازددت غما وهما حتى كاد ينصدع قلبي فوالله لقد بقيت ثلاثة أيام بلياليهن ما دخل في فمي طعام ولا شراب وإني عند قوم ما يقصروا في ضيافتي وإن الخبز في منازلهم لكثير لكني أذهب أعالج الشبع من الطعام فما أقدر فنعوذ بالله من الفتنة ولقد كنت ألبت على عثمان حتى نيل منه ما نيل فلما قتل ندمت وعلمت أن المسلمين لا يستخلفون مثله أبدا كان والله أجلهم حلما وأعبدهم عبادة وأبذلهم عند النائبة وأوصلهم للرحم قالت كبشة بنت كعب فرجعت إلى أبي فقال ما حدثتكم به عائشة فأخبرته بما قالت فقال يرحم الله عائشة ويرحم الله أمير المؤمنين عثمان هي كانت أشد الناس عليه ولقد نزعت وتابت وأرادت أن تأخذ بثاره فجاء خلاف ما أرادت فرحمهم الله جميعا.

ثم قال رحم الله عمر بن الخطاب كان والله يرى هذا كله قال يوما إن كان يصير اختلاف فإنما يكون بينكم وإن كان بينكم دخل عليكم ما تكرهون.

وروى الواقدي قال حدثنا محمد بن نجار عن عائشة بنت سعد قالت اشتكى أبي فدخل عليه مروان بن الحكم يعوده فذكر عائشة فقال مروان يا أبا إسحاق لقد حضرت أمورا فاعتزلت عنها يوم الدار وحضرتها

---

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٢١٩) زوجته صفية بنت الحارث ابن طلحة بن أبي طلحة وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف.

فقاتلت أمامي حتى وقعت جريحا ثم حضرت الجمل وأني لأنظر إلى خروج عائشة وهودجها وعليه درع الحديد وقد انهزم الناس وما أخذ بخطام الجمل أحد إلا مات فقال له أبي وهو يبكي وعمار وسطها فقال مروان أي والله فبكى أبي قال ثم خرجت يومئذ فحملت جريحا فلم أر يوما كان أسرع انكشافا من يوم الجمل فقال له أبي ما أحب إن حضرت الدار آمرا ولا ناهيا ولا أحب إن حضرت الجمل آمرا ولا ناهيا ثم خرج مروان وجعل أبي يبكي ويقول ليت شعري ما لقي عمار وأصحابه وأمثاله من أصحابنا الله حملهم وغرسهم في جنته.

وروى ابن أبي سبرة علقمة عن أمه قال سمعت عائشة تقول: لقد رأيتني يوم الجمل وإن على هودجي الدروع الحديدية والنبل يخلص إلي منها وأنا في الهودج فهون ذلك علي ما صنعنا بعثمان ألبنا عليه حتى قتلناه وجرينا عليه الغواة فنعوذ بالله من الفرقة بين المسلمين.

وروى منصور بن أبي الأسود عن مسلم الأعور عن حبة العرني قال والله إني لأنظرن إلى الرجل الذي ضرب الجمل ضربة على عجزه فسقط لجنبه فكأني أسمع عجيج الجمل ما سمعت قط عجيجا أشد منه. قال لما عقر الجمل وانقطع بطان الهودج فزال عن ظهر الجمل وانفض أهل البصرة منهزمين وجعل عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر يقطعان الحقب والأنساع واحتملاه - أي الهودج - ووضعاه على الأرض فأقبل علي بن أبي طالب حتى وقف عليها وهي في هودجها فقرع الهودج بالرمح وقال يا حميراء أرسول الله أمرك بهذا المسير ونادى عمار بن ياسر يومئذ لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبرا موليا ورأيت يومئذ سعيد وأبان ابنا عثمان فجيئ بهما إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فلما وقفا بين يديه قال بعض من حضر اقتلهما يا أمير المؤمنين فقال بئس ما قلتم آمنت الناس كلهم وأقتل هذين ثم أقبل عليهما وقال لهما ارجعا عن غيكما وانزعا

وانطلقا حيث شئتما وإن أحببتما فأقيما عندي حتى أصل أرحامكما فقالا يا أمير المؤمنين نحن نبايع فبايعا وانصرفا.

قتل طلحة بن عبد الله:

وروى إسماعيل بن عبد الملك عن يحيى بن شبل عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال حدثني أبي علي زين العابدين عليه السلام قال قال لي مروان بن الحكم لما رأيت الناس يوم الجمل قد كشفوا قلت والله لأدركن ثاري ولأفوزن منه الآن فرميت طلحة فأصبت نساه فجعل الدم ينزف فرميته ثانية فجاءت به فأخذوه حتى وضعوه تحت شجرة فبقي تحتها ينزف منه الدم حتى مات.

وروى ابن سليمان عن ابن خيثمة قال قال عبد الملك بن مروان يوما وقد ذكر عثمان وقتل طلحة ولولا أن أبي قتله لم يزل في قلبي جرحه إلى اليوم وقال عبد الملك سمعت أبي يقول نظرت إلى طلحة يوم الجمل وعليه درع ومغفر لم أر منه إلا عينيه فقلت كيف لي به فنظرت إلى فتق في درعه فرميته فأصبت نساه فقطعته فإني أنظر إلى مولى له يحمله على ظهره موليا فلم يلبث إن مات.

وروى عبد الحميد بن عمران عن ابن كعب القرظي عن رواح بن الحرث عن عمير قالت لقيت طلحة بن عبد الله فقلت يا أبا محمد ما أخرجك إلى ههنا؟ أفلم تبايع عليا بالمدينة طايعا غير مكره؟ قال دعني والله ما بايعته إلا والسيف على عنقي فلما التقى الناس يوم الجمل جاءه سهم غرب (١)

---

(١) ذكر ابن جرير في التاريخ (ج ٥ – ٢١٥) أنه أصابه سهم غرب وفي كتاب (مبادئ اللغة) تأليف محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١ ص ١٠٨ يقال أصابه سهم غرب إذا لم يعرف الرامي.

قطع نساه فنزف الدم حتى مات.
وروى أبو سهل عن الحسن قال لما رمي طلحة ركب بغلا وقال لغلامه التمس لي مكانا أدخل فيه فقال الغلام ما أدري أين أدخلك فقال طلحة ما رأيت كاليوم أضيع من دم شيخ مثلي وقال الحسن وكان أمر الله قدرا مقدورا.
وفي رواية علي بن زيد بن جذعان قال لما بلغ طلحة إن الزبير قد اندفع ذهب في طلبه وقد التقى وهم لا يعلمون برجوع الزبير فمر مروان ابن الحكم فرآه فقال لا أطلب ثاري بدم عثمان بعد اليوم والله وقاتل عثمان بين أعجاز الإبل وصدورها ثم رماه بسهم فقتله.
وفي رواية سفيان بن عنبسة عن أبي موسى عن الحسن بن أبي الحسن قال خرج طلحة بن عبد الله من رساتيق أقطعه إياها عثمان إذ كان يقبضها ينيخ بها ألف راكب ثم يروحون فلم يعرف له ذلك حتى سعى في دمه فلما كان يوم البصرة خرج للقتال وقد لبس درعا استجن به من السهام إذ أتاه سهم فأصابه وكان أمر الله قدرا مقدورا ورأيته يقول حين أصابه السهم ما رأيت كاليوم مصرع شيخ أضيع من مصرعي قال الحسن وقد كان قبل ذلك جاهد جهادا مع رسول الله ووقاه بيده فضيع أمر نفسه ولقد رأيت قبره مأوى الشقاء فيضع عنده قريبه ثم يقضي عنده حاجته فما رأيت أعجب من هؤلاء القوم.
وأما الزبير فإنه أتى حيا من أحياء العرب فقال أجيروني وقد كان قبل ذلك يجير ولا يجار عليه ثم قال الحسن وما الذي أخافك والله ما أخافك إلا ابنك قال فأتبعه ابن جرموز في تلول من أتاليل العرب والله ما رأيت مثله قط ضاع دمه وهذا قبره (بوادي السباع) (١) مخراة

---

(١) ذكر ابن كثير في البداية (ج ١١ – ص ٣١٩) إن أهل البصرة في المحرم كشفوا عن قبر فرأوا رجلا طري عليه ثيابه وسيفه فظنوه الزبير بن العوام فأخرجوه وكفنوه ودفنوه واتخذوا عند قبره مسجدا ووقف عليه أوقاف كثيرة وجعل عنده خدام وقوام وفرش وتنوير، انتهى.
أقول وإذا أوقفنا تاريخ الطبري (ج ٥ – ص ٢١٩) إن ابن جرموز طعن الزبير من خلفه وأخذ فرسه وخاتمه وسلاحه وجاء بالسيف إلى علي (ع) وخلى عن غلامه فدفنه بوادي السباع ا ه.
نعرف من هذا الرجل الطري الذي عليه ثيابه وسيفه لم يكن هو الزبير قطعا وإني لا أراه إلا شهيدا على الحق والشهيد يدفن بثيابه لا يغسل ولا يكفن ويتضح من ذلك أن القبر المنسوب للزبير منشأه ذلك الظن وهو لا يغني عن الحق شيئا.

للثعالب فخرجا ولم يدركا ما طلبا ولم يرجعا إلى ما تركا فعز على هذه الشقوة التي كتبت عليهما.

وروى قيس بن أبي حازم قال رمى طلحة بسهم في ركبتيه فجعل يعدو والدم يفور فإذا أمسكوا رأس الجرح انتفخت ركبته فصاح دعوه فإنه سهم أرسله الله فلم يزل الدم ينزف حتى مات فدفنوه على شاطئ الفرات فرأى بعض الناس في النوم طلحة يقول أريحوني من هذا الماء فإني في أذى شديد ورأى الرجل تلك الرؤيا ثلاث مرات فنبشوه فإذا قبره قد اخضر كأنه السلق فاستخرجوه فأخذ ما يلي الأرض من لحيته ووجهه قد أكلته الأرض فاشتروا له دارا من دور آل بكر بعشرة آلاف درهم فدفنوه فيها.

فهذه الأخبار جملة مختصرة صحيحة في مقتل طلحة بن عبد الله طريقها من العامة من أوضح طريق وسندها أصح أسانيد وليس بين الأمة فيها اختلاف وكل يدل على أن طلحة قتل وهو مصر على الحرب غير نادم ولا مرعوى عن ذلك وفاقا لمذهب الحشوية وخلافا لمذهب

المعتزلة وشاهدا ببطلان ما ادعوه من توبته.

قتل الزبير بن العوام:

روى المفضل بن فضالة عن سويد بن الهادي عن محمد بن إبراهيم قال هرب الزبير على فرس له يدعى (ذا الجمار) حتى وقع بسفوان فمر بعبد الله بن سعيد المجاشعي وابن مطرح السعدي فقالا له يا حواري رسول الله أنت في ذمتنا لا يصل إليك أحد فأقبل معهما فهو ليسير مع الرجلين إذ أتى الأحنف بن قيس رجل فقال أريد أن أسر إليك سرا ادن مني فدنا منه فقال يا أبا الحسن هذا الزبير قد هرب وإني رأيته بين رجلين من بني مجاشع ومنقر أظنه يريد التوجه إلى المدينة فرفع الأحنف صوته وقال ما أصنع إن كان الزبير قد ألقى الفتنة بين المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضا ثم هو يريد أن يرجع إلى أهله إلى المدينة سالما فسمعه ابن جرموز فنهض ومعه رجل يقال له فضالة ابن محابس وعلما أن الأحنف إنما رفع صوته يذكر الزبير لكراهته أن يسلم وإيثاره أن يقتل فاتبعاه جميعا فلما رآهما من كان مع الزبير قالوا له هذا ابن جرموز وإنا نخافه عليك فقال لهم الزبير أنا أكفيكم ابن جرموز وأنتم اكفوني ابن محابس فحمل عمير على الزبير وعطف عليه وقال يا فضالة أعني فإن الرجل قاتلي فأعانه وحمل ابن جرموز فقتله واحتز رأسه وأتى به الأحنف بن قيس ثم إلى أمير المؤمنين (ع) فلما رآه العسكر أنكروه وقالوا له من أنت؟ قال أنا رسول الأحنف بن قيس فمن قائل يقول مرحبا بك وبمن جئت من عنده ومن قائل يقول لا مرحبا بك ولا بمن جئت من عنده حتى انتهى إلى فسطاط أمير المؤمنين (ع) فخرج إليه رجل ضخم طوال عليه درع يتجسس فإذا هو الأشتر فقال من أنت؟ قال أنا رسول الأحنف فقال مكانك حتى استأذن لك فاستأذن له فدخل وأمير المؤمنين

متكئ وبين يديه ترس عليه أقراص من طعام الشعير فسلم عليه وهناه بالفتح عن الأحنف وقال أنا رسوله وقد قتلت الزبير وهذا رأسه وسيفه فألقاهما بين يديه فقال عليه السلام كيف قتلته وما كان من أمره فحدثنا كيف صنعك به ثم قال ناولني سيفه فناوله فاستله وقال سيف أعرفه أما والله لقد قاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله غير مرة ولكنه الحين ومصارع السوء.

وفي رواية منصور بن أبي الأسود عن عطاء بن السائب عن أبي البحتري قال لما بعث الأحنف بن قيس إلى أمير المؤمنين (ع) برأس الزبير وسيفه وجاءه الرسول يهنئه بالفتح تلا: (الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم (١).

وفي رواية أخرى عن زيد بن فراس عن غزال بن مالك قال لما قتل الزبير وجئ برأسه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال أما والله لولا ما كان من أمر حاطب بن أبي بلتعة ما اجترأ طلحة والزبير على قتالي وإن الزبير كان أقرب إلي من طلحة وما زال منا أهل البيت حتى بلغ ابنه فقطع بيننا.

وفي رواية عبد الله بن جبير عن ابن أبي عون قال سمعت مروان ابن الحكم يقول لما كان يوم الجمل قلت والله لأدركن ثأر عثمان فرميت طلحة بسهم فقطعت نساه وكان كلما شد الموضع غلب الدم عليه وألمه فقال لغلامه دعه فهو سهم أرسله الله إلي ثم قال له ويلك أطلب لي موضعا احترز به فلم يجد له مكانا فاحتمله عبد الله بن معمر فأدخله بيت أعرابية ثم ذهب فصبر هنيئة ورجع فوجده قد مات وهرب الزبير فأراد المدينة حتى أتى وأدى السباع فرفع الأحنف صوته وقال ما أصنع بالزبير قد لف بين عارين من الناس حتى قتل بعضهم بعضا وهو يريد

----

(١) سورة النساء: ١٤٠.

اللحاق بأهله فسمع ذلك ابن جرموز فخرج في طلبه وتبعه رجل من مجاشع حتى لحقاه فلما رآهما الزبير حذرهما فقالا يا حواري رسول الله أنت في ذمتنا لا يصل إليك أحد وسايره ابن جرموز فبينا هو يسير ويستأخر والزبير يفارقه ثم قال يا أبا عبد الله انزع درعك واجعلها على فرسك فإنها تثقلك وتعييك فنزعها الزبير وجعل عمرو بن مجاشع ينكص ويستأخر والزبير يناديه فيلحقه وهو يجري بفرسه ثم انحاز إليه حتى اطمأن إليه ولم ينكر تأخره عنه فحمل عليه وطعنه بين كتفيه فأخرج السنان من بين ثدييه ونزل فاحتز رأسه وجاء به إلى الأحنف فأنفذه إلى أمير المؤمنين (ع) فلما رأى رأس الزبير وسيفه قال ناولني السيف فناوله فهزه وقال سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن الحين ومصارع السوء ثم تفرس في وجه الزبير وقال لقد كان لك برسول الله صلى الله عليه وآله صحبة ومنه قرابة ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد.

الوصي يكلم القتلى:

فصل: لما انجلت الحرب بالبصرة وقتل طلحة والزبير وحملت عايشة إلى قصر بني خلف ركب أمير المؤمنين (ع) وتبعه أصحابه وعمار بن ياسر رحمه الله يمشي مع ركابه حتى خرج إلى القتلى يطوف عليهم فمر بعبد الله بن خلف الخزاعي وعليه ثياب حسان مشهرة فقال الناس هذا والله رأس الناس فقال عليه السلام ليس برأس الناس ولكنه شريف منيع النفس ثم مر بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فقال هذا يعسوب القوم ورأسهم كما ترونه ثم جعل يستعرض القتلى رجلا رجلا فلما رأى أشراف قريش صرعى في جملة القتلى قال جدعت أنفي أما والله إن كان مصرعكم لبغيضا إلي ولقد تقدمت إليكم وحذرتكم عض السيوف

وكنتم أحداثا لا علم لكم بما ترون ولكن الحين ومصارع السوء نعوذ
بالله من سوء المصرع ثم سار حتى وقف على كعب بن شور وهو مجدل
بين القتلى وفي عنقه المصحف فقال نحو المصحف وضعوه في مواضع
الطهارة ثم قال اجلسوا لي كعبا فأجلس ورأيته ينخفض إلى الأرض
فقال يا كعب بن شور قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدت ما وعدك
ربك حقا ثم قال اضجعوا كعبا فتجاوزه فمر فرأى طلحة صريعا فقال
اجلسوا طلحة فأجلس وقال يا طلحة بن عبد الله قد وجدت ما وعدني ربي
حقا فهل وجدت ما وعدك ربك حقا ثم قال اضجعوه فوقف رجل من
القراء أمامه وقال يا أمير المؤمنين ما كلامك هذه إلهام قد صديت لا تسمع
لك كلاما ولا ترد جوابا فقال عليه السلام إنهما ليسمعان كلامي كما سمع
أصحاب القليب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ولو أذن لهم في الجواب لرأيت
عجبا ومر بعبد الله بن المقداد بن عمر (١) وهو في الصرعى فقال رحم
الله أباك إنما كان رأيه فينا أحسن من رأيك فقال عمار الحمد لله الذي
أوقعه وجعل خده الأسفل إنا والله يا أمير المؤمنين لا نبالي عمن عند من
الحق من ولد ووالد فقال عليه السلام رحمك الله يا عمار وجزاك عن
الحق خيرا ومر بعبد الله بن ربيعة بن رواح وهو في القتلى فقال هذا
البائس ما كان أخرجه نصر عثمان والله ما كان رأي عثمان فيه ولا في
أبيه بحسن ومر بمعبد بن زهير بن أمية فقال لو كانت الفتنة برأس
الثريا لتناولها هذا الغلام والله ما كان فيها بذي مخبره ولقد أخبرني من
أدركه أنه يلوذ خوفا من السيف حتى قتل البائس ضياعا ومر بمسلم بن

----

(١) أمه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب شقيق أبي طالب والد
علي (ع) وعبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله ومن غرائب الأسرار الآلهية
إن ابن المقداد يخرج على أمير المؤمنين (ع) ومحمد بن أبي بكر يكون
مع أمير المؤمنين (ع).

قرضة فقال البر أخرج هذا ولقد سألني أن أكلم عثمان في شئ يدعيه عليه بمكة فلم أزل به حتى أعطاه وقال لي لولا أنت ما أعطيته إن هذا ما علمت بئس العشيرة ثم جاء لحينه ينصر عثمان ثم مر بعبد الله بن عمير ابن زهير قال هذا أيضا ممن وضع في قتلانا يطلب بزعمه دم عثمان ولقد كتب إلي كتبا آذى عثمان فيها فأعطاه شيئا فرضي عنه ومر بعبد الله ابن حكيم بن حزام فقال هذا خالف أباه في الخروج علي وإن أباه حيث لم ينصرنا بايع وجلس في بيته ما ألوم أحدا إذا كف عنا وعن غيرنا ولكن الملوم الذي يقاتلنا ومر بعبد الله بن المغيرة بن الأخنس فقال أما هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان في الدار فخرج غضبا لمقتل أبيه وهو غلام لا علم له بعواقب الأمور ومر بعبد الله بن الأخنس بن شريق فقال أما هذا فإني أنظر إليه وقد أخذ القوم السيوف وإنه لهارب يعدو من السيف فنهيت عنه فلم يسمع نهيي حتى قتل وكان هذا ممن مقت علي وإنه من فتيان قريش الأغمار لا علم لهم بالحرب خدعوا واستنزلوا فلما وقعوا ألحجوا فقتلوا.

الشهيد يحاج بدمه:

ثم أمر عليه السلام مناديه فنادى: من أحب أن يواري قتيله فليواره وقال عليه السلام واروا قتلانا في ثيابهم التي قتلوا فيها فإنهم يحشرون على الشهادة وإني لشاهد لهم بالوفاء.

كتب علي إلى المدينة والكوفة:

ثم رجع إلى خيمته واستدعى عبد الله بن رافع وقال اكتب إلى أهل المدينة:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي بن أبي طالب. سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو فإن الله بمنه وفضله وحسن بلائه

عندي وعندكم حكم عدل وقد قال سبحانه في كتابه وقوله الحق:
إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال.
وإني مخبركم عنا وعمن سرنا إليه من جموع أهل البصرة ومن سار إليهم من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير ونكثهما علي ما قد علمتم من بيعتي وهما طايعان غير مكرهين فخرجت من عندكم بمن خرجت ممن سارع إلى بيعتي وإلى الحق حتى نزلت (ذا قار) فنفر معي من نفر من أهل الكوفة وقدم طلحة والزبير البصرة وصنعا بعاملي عثمان بن حنيف ما صنعا فقدمت إليهم الرسل وأعذرت كل الأعذار ثم نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء وقدمت الحجة وأقلت العثرة والزلة واستعتبتهما ومن معهما ممن نكث بيعتي ونقض عهدي فأبوا إلا قتالي وقتال من معي والتمادي في الغي فلم أجد بدا في مناصفتهم بالجهاد فقتل الله من قتل منهم ناكثا وولى من ولى منهم وأغمدت السيوف عنهم وأخذت بالعفو فيهم وأجريت الحق والسنة في حكمهم واخترت لهم عاملا واستعملته عليهم وهو عبد الله بن عباس وإني سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى.
وكتب عبد الله بن أبي رافع في جمادي الأولى سنة ست وثلاثين من الهجرة وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أم هاني بنت أبي طالب (١):
سلام عليك أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنا التقينا مع البغاة والظلمة في البصرة فأعطانا الله تعالى النصر عليهم بحوله وقوته

---

(١) يتم هذا إذا صح ما في تقريب التهذيب لابن حجر ص ٦٢٠ لكنهو من أنها ماتت في أيام معاوية وأما على ما في مناقب ابن شهرآشوب (ج ١ - ص ١١٠) إيران من أنها ماتت أيام النبي (ص) فلا يتم.

وأعطاهم سنة الظالمين فقتل كل من طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عتاب وجمع لا يحصى وقتل منا بنو مخدوع وابنا صوحان وعليا وهندا وثمامة فيمن يعد من المسلمين رحمهم الله والسلام.

وكتب إلى أهل الكوفة:

بسم الله الرحمن الرحيم من علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة.

سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله حكم عدل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) وإني أخبركم عنا وعمن سرنا إليه من جموع أهل البصرة ومن سار إليه من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير بعد نكثهما صفقة إيمانهما فنهضت من المدينة حين انتهى إلي خبرهم وما صنعوه بعاملي عثمان بن حنيف حتى قدمت ذا قار فبعثت إليكم ابني الحسن وعمارا وقيسا فاستنفروكم لحق الله وحق رسوله وحقنا فأجابني إخوانكم سراعا حتى قدموا علي بهم وبالمسارعة إلى طاعة الله حتى نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء وأقمت الحجة وأقلت العثرة والزلة من أهل الردة من قريش وغيرهم واستعتبتهم عن نكثهم بيعتي وعهد الله لي عليهم فأبوا إلا قتالي وقتال من معي والتمادي في البغي فناهضتهم بالجهاد وقتل من قتل منهم وولى إلى مصرهم من ولى فسألوني ما دعوتهم إليه من كف القتال فقبلت منهم وغمدت السيوف عنهم وأخذت بالعفو فيهم وأجريت الحق والسنة بينهم واستعملت عبد الله بن عباس على البصرة وأنا سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى وقد بعثت إليكم زجر بن قيس الجعفي لتسألونه يخبركم عنا وعنهم وردهم الحق علينا وردهم الله وهم كارهون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكتب عبد الله بن أبي رافع في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين.

خطبة علي (ع):
ولما كتب أمير المؤمنين عليه السلام بالفتح قام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله ثم قال:
أما بعد فإن الله غفور رحيم عزيز ذو انتقام جعل عفوه ومغفرته لأهل طاعته وجعل عذابه وعقابه لمن عصاه وخالف أمره وابتدع في دينه ما ليس منه وبرحمته نال الصالحون وقد أمكنني الله منكم يا أهل البصرة وأسلمكم بأعمالكم فإياكم أن تعودوا إلى مثلها فإنكم أول من شرع القتال والشقاق وترك الحق والإنصاف.
زهد علي (ع):
ثم نزل عليه السلام واستدعى جماعة من أصحابه فمشوا معه حتى دخلوا بيت المال وأرسل إلى القراء فدعاهم ودعا الخزان وأمرهم بفتح الأبواب التي داخلها المال فلما رأى كثرة ما فيها فقال هذا جناي ثم قسم المال بين أصحابه فأصاب كل منهم ستة آلاف درهم وكان أصحابه اثني عشر ألف وأخذ كأحدهم فبينا هي بحالها إذ أتاه آت فقال يا أمير المؤمنين إن اسمي سقط من كتابك وقد رأيت من البلاء ما رأيت فدفع سهمه إلى ذلك الرجل.
وروى الثوري عن داوود بن أبي هند عن أبي حرز الأسود قال لقد رأيت بالبصرة طلحة والزبير قد أرسلا إلى أناس من أهل البصرة أنا فيهم فدخلنا بيت المال معهما فلما رأيا ما فيه من أموال قالا هذا ما وعدنا الله ورسوله ثم تليا هذه الآية: (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذا) إلى آخر الآية وقالا نحن أحق بهذا المال من كل أحد ولما كان من القوم ما كان دعانا علي بن أبي طالب (ع)

فدخلنا معه بيت المال فلما رأى ما فيه ضرب إحدى يديه على الأخرى وقال غري غيري وقسمه بين أصحابه بالسوية حتى لم يبق إلا خمسمأة درهم عزلها لنفسه فجاءه رجل فقال إن اسمي سقط من كتابك فقال عليه السلام ردوها ردوها عليه ثم قال الحمد الذي لم يصل إلي من هذا المال شيئا ووفره على المسلمين.

خطبة بعد القسمة:

روى الواقدي أن أمير المؤمنين عليه السلام لما فرغ من قسمة المال قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيها الناس إني أحمد الله على نعمة قتل طلحة والزبير وهربت عائشة وأيم الله لو كانت عايشة طلبت حقا وهانت باطلا لكان لها في بيتها مأوى وما فرض الله عليها الجهاد وإن أول خطأها في نفسها وما كانت والله على القوم أشأم من ناقة الصخرة وما ازداد عدوكم بما صنع الله إلا حقدا وما زادهم الشيطان إلا طغيانا ولقد جاؤوا مبطلين وأدبروا ظالمين إن إخوانكم المؤمنين جاهدوا في سبيل الله وآمنوا يرجون مغفرة الله وإننا لعلى الحق وإنهم لعلى الباطل ويجمعنا الله وإياهم يوم الفصل وأستغفر الله لي ولكم.

كتاب إلى أهل الكوفة:

وفي رواية عمر بن سعد عن يزيد بن الصلت عن عامر الأسدي قال إن عليا كتب بعد فتح البصرة مع عمر بن سلمة الأرحبي إلى أهل الكوفة من عبد الله علي بن أبي طالب إلى قرضة بن كعب ومن قبله من المسلمين سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا المفرقين لجماعتنا الباغين علينا من أمتنا

فحاججناهم إلى الله فنصرنا الله عليهم وقتل طلحة والزبير وقد تقدمت إليهما بالنذر وأشهدت عليهما صلحاء الأمة ومكنتهما في البيعة فما أطاعا المرشدين ولا أجابا الناصحين ولاذ أهل البغي بعائشة فقتل حولها جم لا يحصى عددهم إلا الله ثم ضرب الله وجه بقيتهم فأدبروا فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على أهل ذلك المصر مع ما جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها لربها ونبيها من الحرب واغترار من اغتر بها وما صنعته من التفرقة بين المؤمنين وسفك دماء المسلمين لا بينة ولا معذرة ولا حجة لها فلما هزمهم الله أمرت أن لا يقتل مدبرا ولا يجهز على جريح ولا يهتك ستر ولا يدخل دار إلا بإذن أهلها وقد آمنت الناس واستشهد منا رجال صالحون ضاعف الله لهم الحسنات ورفع درجاتهم وأثابهم ثواب الصابرين وجزاهم من أهل مصر عن أهل بيت نبيهم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته فقد سمعتم وأطعتم ودعيتم فأجبتم فنعم الإخوان والأعوان على الحق أنتم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتب عبد الله بن أبي رافع في رجب سنة ست وثلاثين.

سيرته في أهل البصرة:

روى مطر بن خليفة عن منذر الثوري قال لما انهزم الناس يوم الجمل أمر أمير المؤمنين عليه السلام مناديا ينادي أن لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبرا وقسم ما حواه العسكر من السلاح والكراع.

وروى سفيان بن سعد قال قال عمار لأمير المؤمنين (ع) ما ترى في سبى الذرية قال ما أرى عليهم من سبيل إنما قاتلنا من قاتلنا ولما قسم ما حواه العسكر قال له بعض القراء من أصحاب أقسم من ذراريهم لنا وأموالهم وإلا فما الذي أحل دماءهم ولم يحل أموالهم فقال عليه السلام

هذه الذرية لا سبيل عليها وهم في دار هجرة وإنما قتلنا من حاربنا وبغى علينا وأما أموالهم فهي ميراث لمستحقيها من أرحامهم فقال عمار رحمه الله لا نتبع مدبرهم ولا نجهز على جريحهم فقال (ع) لا لأني آمنتهم.

وروى سعد بن جشم عن خارجة عن مصعب عن أبيه قال شهدنا مع أمير المؤمنين (ع) الجمل فلما ظفرنا بهم خرجنا في طلب الطعام فجعلنا نمر بالذهب والفضة فلا نتعرض له وإذا وجدنا الطعام أصبنا منه قال وقسم علي (ع) ما وجده في العسكر من طيب بين نسائنا وقال (ع) مروا نساء هؤلاء المقتولين من أهل البصرة أن يعتدن منهم ولنقسم أموالهم في أهليهم فهي ميراث لهم على فريضة من الله قال وكان إذا أتى بأسير منهم فإن كان قاتل قتله وإن لم تقم عليه بينة بالقتل أطلقه ولما قسم ما حواه العسكر أمر بفرس فيه كادت أن تباع فقام إليه رجل قال يا أمير المؤمنين هذه الفرس لي كانت وإنما أعرتها لفلان ولم أعلم أنه يخرج عليها فسأله البينة على ذلك فأقام البينة إنها عارية فردها وقسم ما سوى ذلك.

ذمه أهل البصرة:

وروى نصر بن عمر بن سعد عن أبي خالد عن عبد الله بن عاصم عن محمد بن بشير الهمداني عن الحرث بن سريع قال لما ظهر أمير المؤمنين (ع) على أهل البصرة وقسم ما حواه العسكر قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله وقال:

أيها الناس أن الله عز وجل ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة لأهل طاعته وقضى أن نقمته وعقابه على أهل معصيته يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة؟ ويا جند المرأة؟ وأتباع البهيمة رغا فرجفتم، وعقر فانهزمتم أحلامكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وأنتم فسقة مراق

أرضكم قريبة من الماء; بعيدة من السماء، خفت عقولكم، وسفهت أحلامكم، شهرتم سيوفكم علينا، وسفكتم دماءكم، وخالفتم إمامكم، فأنتم أكلة الآكل، وفريسة الظافر، والنار لكم مدخر، والعار لكم مفخر، يا أهل البصرة: نكثتم بيعتي، وظاهرتم علي ذوي عداوتي، فما ظنكم يا أهل البصرة الآن؟.

فقام إليه رجل منهم فقال نظن خيرا يا أمير المؤمنين ونرى أنك ظفرت وقدرت فإن عاقبت فقد أجرمنا وإن عفوت فالعفو أحب إلى رب العالمين.

فقال (ع) قد عفوت عنكم فإياكم والفتنة فإنكم أول من نكث البيعة وشق عصا الأمة فارجعوا عن الحوبة وأخلصوا فيما بينكم وبين الله بالتوبة

ولما فرغ (ع) من الخطبة وكلامه لأهل البصرة ركب بغلته واجتمع إليه جماعة من شرطة الخميس وطوايف.

أسباب بغض عائشة:

عن عمر بن أبان قال لما ظهر أمير المؤمنين على أهل البصرة جاءه رجال منهم فقالوا يا أمير المؤمنين ما السبب الذي دعا عائشة إلى المظاهرة عليك حتى بلغت من خلافك وشقاقك ما بلغت؟ وهي امرأة من النساء لم يكتب عليها القتال ولا فرض عليها الجهاد ولا أرخص لها في الخروج من بيتها ولا التبرج بين الرجال وليست مما تولته في شئ على حال

فقال (ع) سأذكر أشياء حقدتها علي ليس في واحد منها ذنب إليها ولكنها تجرمت بها علي.

أحدها: تفضيل رسول الله لي على أبيها وتقديمه إياي في مواطن الخير عليه فكانت تضطغن ذلك ويصعب عليها وتعرفه منه فتتبع رأيه فيه

وثانيها: لما آخى بين أصحابه آخى بين أبيها وبين عمر بن

الخطاب واختصني بإخوته فغلظ ذلك عليها وحدتي لسعدي منه.
وثالثها: أوصى صلوات الله عليه بسد أبواب كانت في المسجد لجميع أصحابه إلا بابي فلما سد باب أبيها وصاحبه وترك بابي مفتوحا في المسجد تكلم في ذلك بعض أهله فقال صلوات الله عليه ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب علي بل الله عز وجل سد أبوابكم وفتح بابه فغضب لذلك أبو بكر وعظم عليه وتكلم في أهله بشئ سمعته منه ابنته فاضطغنته علي.
وكان رسول الله أعطى أباها الراية يوم خيبر وأمره أن لا يرجع حتى يفتح أو يقتل فلم يلبث لذلك وانهزم فأعطاها في الغد عمر بن الخطاب وأمره بمثل ما أمر صاحبه فانهزم ولم يلبث فساء رسول الله ذلك وقال لهم ظاهرا معلنا: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يده فأعطاني الراية فصبرت حتى فتح الله على يدي فغم ذلك أباها وأحزنه فاضطغنه علي وما لي إليه ذنب في ذلك فحقدت لحقد أبيها.
وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله أباها ليؤدي سورة براءة وأمره أن ينبذ العهد للمشركين فمضى حتى انحرف فأوحى الله إلى نبيه أن يرده ويأخذ الآيات فيسلمها إلي فعرف أباها بإذن الله عز وجل وكان فيما أوحى الله عز وجل إليه لا يؤدي عنك إلا رجل منك وكنت من رسول الله وكان مني فاضطغن لذلك علي أيضا واتبعته عائشة في رأيه.
وكانت عائشة تمقت خديجة بنت خويلد وتشنئها شنآن الضرائر وكانت تعرف مكانها من رسول الله صلى الله عليه وآله فيثقل ذلك عليها وتعدى مقتها إلى ابنتها فاطمة فتمقتني وتمقت فاطمة وخديجة وهذا معروف في الضرائر.
ولقد دخلت على رسول الله ذات يوم قبل أن يضرب الحجاب على

أزواجه وكانت عائشة بقرب رسول الله فلما رآني رحب وقال ادن
مني يا علي ولم يزل يدنيني حتى أجلسني بينه وبينها فغلظ ذلك عليها
فأقبلت إلي وقالت بسوء رأي النساء وتسرعهن إلى الخطاب ما وجدت
لاستك يا علي موضعا غير موضع فخذي فزبرها النبي صلى الله عليه وآله وقال لها
ألعلي تقولين هذا إنه والله أول من آمن بي وصدقني وأول الخلق
وردا علي الحوض وهو أحق الناس عهدا إلي لا يبغضه أحد إلا أكبه
الله على منخره في النار فازدادت بذلك غيضا علي.
ولما رميت بما رميت اشتد ذلك على النبي فاستشارني في أمرها فقلت
له يا رسول الله سل جاريتها بريرة واستبرء الحال منها فإن وجدت عليها
شيئا فخل سبيلها فالنساء كثيرة فأمرني أن أتولى مسألة بريرة واستبرء
الحال منها ففعلت ذلك فحقدت علي والله ما أردت بها سوء لكني نصحت
لله ولرسوله وأمثال ما ذكرت فإن شئتم فاسألوها ما الذي نقمت علي
حتى خرجت مع الناكثين لبيعتي وسفك دماء شيعتي والتظاهر بين المسلمين
بعداوتي إلا البغي والشقاق والمقت لي بغير سبب يوجب ذلك في
الدين والله المستعان.
فقال القوم القول والله ما قلت يا أمير المؤمنين ولقد كشفت الغمة
ولقد نشهد إنك أولى بالله ورسوله ممن عاداك فقال الحجاج بن عزمة
الأنصاري في أبيات يتصل بما ذكرناه ويغني ما أثبتناه من هذه الجملة
منها عن إيرادها.
قال الواقدي ولما فرغ أمير المؤمنين (ع) من أهل الجمل جاءه قوم
من فتيان قريش يسألونه الأمان وأن يقبل منهم البيعة فاستشفعوا إليه
بعبد الله بن العباس فشفعه وأمر لهم في الدخول عليه فلما مثلوا بين يديه
قال لهم ويلكم يا معشر قريش علام تقاتلونني على أن حكمت فيكم بغير
عدل أو قسمت بينكم بغير سوية أو استأثرت عليكم أو لبعدي عن

رسول الله أو لقلة بلاء مني في الإسلام فقالوا يا أمير المؤمنين نحن إخوة يوسف فاعف عنا واستغفر لنا فنظر إلى أحدهم فقال له من أنت؟ قال أنا مساحق بن مخرمة معترف بالزلة مقر بالخطيئة تائب من ذنبي فقال عليه السلام قد صفحت عنكم وأيم الله إن فيكم من لا أبالي بايعني بكفه أو بأسته ولئن بايعني لينكثن.

وتقدم إليه مروان بن الحكم وهو متكئ على رجل فقال له ما بك؟ هل بك جراحة؟ قال نعم يا أمير المؤمنين وما أراني إلا لما بي فتبسم أمير المؤمنين (ع) وقال لا والله ما أنت لما بك وستلقى هذه الأمة منك ومن ولدك يوما أحمرا وبايعه وانصرف وتقدم إليه عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فلما نظر إليه أمير المؤمنين (ع) قال والله لئن كنت أنت وأهل بيتك لأهل دعة وإن كان فيكم غنى ولكن أعف عنكم ولقد ثقل علي حيث رأيتكم في القوم وأحببت أن تكون الواقعة بغيركم فقال له عبد الرحمن فقد صار ذلك إلى ما لا يجب ثم بايعه وانصرف.

مسير عائشة إلى المدينة:

ولما عزم أمير المؤمنين (ع) على المسير إلى الكوفة أنفذ إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة فتهيأت لذلك وأنفذ معها أربعين امرأة ألبسهن العمائم والقلانس وقلدهن السيوف وأمرهن أن يحفظنها ويكن عن يمينها وشمالها ومن ورائها فجعلت عائشة تقول في الطريق اللهم افعل بعلي بن أبي طالب وافعل بعث معي الرجال ولم يحفظ بي حرمة رسول الله فلما قدمن المدينة معها ألقين العمائم والسيوف ودخلن معها فلما رأتهن ندمت على ما فرطت بذم أمير المؤمنين (ع) وسبه وقالت جزى الله ابن أبي طالب خيرا فلقد حفظ في حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله.

اعتراف مروان بالظلم:
وروى أبو مخنف عن العدي عن أبي هشام عن البريد عن عبد الله ابن المخارق عن هاشم بن مساحق القرشي قال حدثنا أبي إنه لما انهزم الناس يوم الجمل اجتمع معه طائفة من قريش فيهم مروان بن الحكم فقال بعضهم لبعض والله لقد ظلمنا هذا الرجل يعنون أمير المؤمنين (ع) ونكثنا بيعته من غير حدث والله لقد ظهر علينا فما رأينا قط أكرم سيرة منه ولا أحسن عفوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله تعالوا حتى ندخل عليه ونعتذر إليه فيما صنعناه قال فصرنا إلى بابه فاستأذناه فأذن لنا فلما مثلنا بين يديه جعل متكلمنا يتكلم فقال (ع) انصتوا أكفكم إنما أنا بشر مثلكم فإن قلت حقا فصدقوني وإن قلت باطلا فردوا علي أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وأنا أولى الناس به وبالناس من بعده؟ قلنا اللهم نعم قال فعدلتم عني وبايعتم أبا بكر فأمسكت ولم أحب أن أشق عصا المسلمين وأفرق بين جماعاتهم ثم إن أبا بكر جعلها لعمر من بعده فكففت ولم أهج الناس وقد علمت إني كنت أولى الناس بالله وبرسوله وبمقامه فصبرت حتى قتل وجعلني سادس ستة فكففت ولم أحب أن أفرق بين المسلمين ثم بايعتم عثمان فطغيتم عليه وقتلتموه وأنا جالس في بيتي وأتيتموني وبايعتموني كما بايعتم أبا بكر وعمر وفيتم لهما ولم تفوا لي وما الذي منعكم من نكث بيعتهما ودعاكم إلى نكث بيعتي فقلنا له كن يا أمير المؤمنين كالعبد الصالح يوسف إذ قال:
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين:
فقال (ع) لا تثريب عليكم اليوم وإن فيكم رجلا لو بايعني بيده لنكث بأسته; يعني مروان بن الحكم.
وروى المسعودي عن هاشم بن الوليد عن ابن سعيد التميمي عن

أبي ثابت مولى أبي ذر قال شهدت مع أمير المؤمنين (ع) الجمل فلما رأيت عائشة واقفة بين الصفين ومعها طلحة والزبير قلت أم المؤمنين وزوجة الرسول وحواري الرسول وصاحبيه بأحد فدخلني ما يدخل الناس من الشك حتى كان عند صلاة الظهر كشف الله ذلك عن قلبي وقلت علي أمير المؤمنين وأخو سيد المرسلين وأولهم إسلاما لم يكن بالذي يقدم على شبهة فقالت معه قتالا شديدا فلما انقضى الحرب أتيت المدينة فسرت إلى بيت أم سلمة فاستأذنت عليها فقيل من هذا فقلت سائل فقالت اطعموا السائل فقلت إني والله لم أسأل طعاما ولكني مولى أبي ذر رجعت أسأل عن ديني فقالت مرحبا بك فقصصت عليها فقالت أين كنت حين طارت القلوب مطايرها فقلت إني بينما أحس ذلك إذ كشف الله عن قلبي فقاتلت مع أمير المؤمنين (ع) حتى فرغ فقالت أحسنت إني سمعت رسول الله يقول إن عليا مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقا حتى يردا الحوض.

فصل: وقد اختلفت الروايات في عدد القتلى بالبصرة فقد جاء في بعضها أنهم خمسة وعشرون ألفا.

وروى عن عبد الله بن الزبير رواية شاذة أنهم خمسة عشر ألف قتيل ويوشك أن يكون ابن الزبير أثبت ولكن القول في ذلك باطل لبعده عن جميع ما قاله أهل العلم فأما الأخبار عن عدد من قطعت يده يومئذ ورجله ثم قتل بعد ذلك فهي مشهورة إنهم كانوا نحو من أربعة عشر ألف رجل.

ابن عباس والي البصرة:

فصل: ومما رواه الواقدي عن رجاله قال لما أراد أمير المؤمنين الخروج من البصرة استخلف عليها عبد الله بن العباس ووصاه وكان

في وصيته له أن قال: يا ابن عباس عليك بتقوى الله والعدل بمن وليت عليه وأن تبسط للناس وجهك وتوسع عليهم مجلسك وتسعهم بحلمك وإياك والغضب فإنه طيرة الشيطان وإياك والهوى فإنه يصدك عن سبيل الله واعلم أن ما قربك من الله فهو مباعدك من النار وما باعدك من الله فمقربك من النار واذكر الله كثيرا ولا تكن من الغافلين

وروى أبو مخنف لوط بن يحيى قال لما استعمل أمير المؤمنين عبد الله بن العباس على البصرة خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال:

معاشر الناس قد استخلفت عليكم عبد الله بن العباس فاسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع الله ورسوله فإن أحدث فيكم أو زاغ عن الحق فاعلموا أني أعزله عنكم فإني أرجو أن أجده عفيفا تقيا ورعا وإني لم أوله عليكم إلا وأنا أظن ذلك به غفر الله لنا ولكم.

فأقام عبد الله بالبصرة حتى عمد أمير المؤمنين (ع) إلى التوجه إلى الشام فاستخلف عليها زياد بن أبيه وضم إليه أبا الأسود الدؤلي ولحق بأمير المؤمنين حتى سار إلى صفين.

وروى أبو مخنف لوط بن يحيى عن رجاله لما أراد أمير المؤمنين (ع) التوجه إلى الكوفة قام في أهل البصرة فقال ما تنقمون علي يا أهل البصرة؟ وأشار إلى قميصه وردائه فقال والله إنهما لمن غزل أهلي ما تنقمون مني يا أهل البصرة وأشار إلى صرة في يده فيها نفقته فقال والله ما هي إلا من غلتي بالمدينة فإن أنا خرجت من عندكم بأكثر مما ترون فأنا عند الله من الخائنين ثم خرج وشيعه الناس إلى خارج البصرة وتبعه الأحنف بن قيس إلى الكوفة.

ولما خرج وصار على غلوة استقبل الكوفة بوجهه وهو راكب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال الحمد لله الذي أخرجني من أخبث البلاد

وأخشنها ترابا وأسرعها خرابا وأقربها من الماء وأبعدها من السماء بها مغيض الماء وبها تسعة أعشار الشر وهي مسكن الجن الخارج منها برحمة والداخل إليها بذنب أما إنها لا تذهب الدنيا حتى يجيئ إليها كل فاجر ويخرج منها كل مؤمن وحتى يكون مسجدها كأنه جؤجؤ سفينة.

فهذه جملة من أخبار البصرة وسبب فتنتها ومقالات أصحاب الآراء في حكم الفتنة بها قد أوردناها على سبيل الاختصار وأثبتنا ما أثبتنا من الأخبار عن رجال العامة دون الخاصة ولم نثبت في ذلك ما روته الشيعة في إنكاره وكان الغرض فيما أوردناه في هذا الكتاب من تفصيل ذكر فتنة البصرة وما جرى فيها من القتال والفعال والإبانة عن عناد القوم لأمير المؤمنين (ع) والقصد لحربه وسفك دمه من غير شبهة في أمره ولا عذر فيما صاروا إليه من خلافه ولنوضح فيما تضمنته الأخبار في بطلان مقال من ادعى للقوم التوبة من فرطهم الضلال لحرب أمير المؤمنين (ع) وفساد مذهب من ذهب إلى ذلك من المعتزلة والمرجئة والحشوية.

ويدل على ما أثبتناه منه أن القوم مضوا مصرين على أعمالهم غير نادمين عليها ولا تائبين منها وإنهم كانوا يتظاهرون إلى الله بالقربة والتدين بعداوتهم لأمير المؤمنين (ع) والبغض والتضليل والتبديع له ولأولاده ولشيعته وأنصاره والبراءة إلى الله من جميعهم وإن أمير المؤمنين (ع) يرى عليهم بمثل ذلك ويرى القربة إلى الله بجهادهم وقتالهم حتى مضى لسبيله وأنا مثبت بعد الذي قدمت أخبارا قد سلم لصحتها أهل العقل والنقل على خلافهم في الآراء والمذاهب تؤكد ما ذكرت في هذا الكتاب ويشهد بصحة ما ذكرت وإن كنت قد جمعتها في موضوع آخر من كتبي وإنما أوردتها في هذا الكتاب لملائمتها لمعناه وتأييده لما تضمنته من فوائده وفحواه وبالله أستعين.

فمن ذلك ما حدثنا به أبو بكر محمد بن عمر الجعابي قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة عن أبي الحسن علي بن الحسين ابن فضال بإسناده في كتابه المعروف (بالمبنى) وهو أشهر أن يدل عليه العلماء عن أبان بن عثمان عن الأجلح عن أبي صالح عن عبد الله بن عباس قال لما رمى أهل الإفك عائشة استشار رسول الله صلى الله عليه وآله عليا فيها فقال يا رسول الله النساء كثيرة سل الخادمة فسألوا بريرة فقالت ما علمت إلا خيرا فبلغ ذلك عائشة فقالت لا أحب عليا بعد هذا أبدا وكانت تقول لا أحب عليا أبدا أليس هو الذي خلا وصاحبه بجاريتي يسألانه عني وهذا حديث صحيح الإسناد واضح الطريق وهو يتضمن التصريح منها ببغض أمير المؤمنين (ع) بنصيحته لرسول الله صلى الله عليه وآله واجتهاده في طاعته ومشورته من غير أن يكون ظلمها بذلك واعتدى عليها فيه إذ لو كان ذلك كذلك وحاشاه (ع) لما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله مقالته ولا قبل مشورته ولا انتهى فيه إلى رأيه ولما صار بعد ذلك إلى الإصغاء إليه والاعتماد في ذلك عليه فدل على صوابه وضلال من مقته لأجله وعاداه فيه (١).

ومن ذلك ما رواه محمد بن مهران قال حدثنا محمد بن علي بن خلف قال حدثنا محمد بن كثير عن إسماعيل بن زياد البزاز عن أبي إدريس عن رافع مولى عائشة قال كنت غلاما أخدمها وكنت إذا كان رسول الله عندها أكون قريبا منها فبينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم عندها إذ جاء جاء فدق الباب فخرجت إليه فإذا جارية معها إناء مغطى فرجعت إلى

---

(١) تقدم في بعض الحواشي بيان كذب الحديث فإنه مروي عنها فقط لأنه لم ينقله أحد من المسلمين غيرها وذكرنا أن المصنف (ره) إنما ذكر القصة مماشاة مع القوم الذين طربوا لتنزيه عائشة بالقرآن وإلا فالشيخ المفيد لم تخف عليه هذه الظاهرة التي استوضحناها.

عائشة وأخبرتها فقالت ادخلها فدخلت فوضعته بين يدي عائشة ووضعته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فأكل منه فقال يا ليت أمير المؤمنين وسيد المرسلين وإمام المتقين يأكل معي فقالت عائشة ومن ذلك؟ فجاء جاء فدق الباب فخرجت إليه فإذا هو علي بن أبي طالب (ع) فرجعت إليه فقلت هذا علي بالباب فقال ادخله فلما دخل قال له أهلا لقد تمنيتك حتى لو أبطيت لسألت الله أن يأتيني بك اجلس فكل معي فجلس معه ورأيت النبي صلى الله عليه وآله ينظر إليه ويقول قاتل الله من يقاتلك وعادى الله من عاداك فقالت عائشة من يقاتله ويعاديه فقال لها أنت ومن معك.

وهذا الحديث يدل على عداوتها له من حيث استفهمته عما تعلمه على وجه الإنكار ودعائه في آخر القول على من يقاتله ويعاديه لعلمه بما يكون منها من القتال أيضا ودعائه على من عاداه ليبين فضيلته وما هي عليه من البغض والشنآن له ويزيل الشبهة عن الأمة في حقه وصوابه وباطل عدوه في خلافه له وعناده.

ومن ذلك ما رواه غير واحد عن الأرقم بن شرحبيل عن عبد الله بن العباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفى فيه ابعثوا إلى علي وادعوه فقالت عائشة لو بعثت إلى أبي بكر وقالت حفصة لو بعثت إلى عمر فبعثنا إلى أبي بكر وعمر فلما حضرا فتح النبي عينيه فرأهما فقال انصرفا فإن تكن لي حاجة بعثت إليكما.

وروى إسحاق عن عكرمة عن عبد الله بن العباس قال أغمي على النبي صلى الله عليه وآله ثم أفاق فقال ادعوا لي أخي فأمرت عائشة أن يدعوا أبا بكر فدخل فلما رآه رسول الله أعرض عنه فقالت أم سلمة ادعوا له عليا فإنه أخوه وحبيبه فدعوه فجاء حتى جلس بين يديه فلما رآه أدناه وناجاه طويلا وهذا الحديث مع استقامته وكثرة رواته وظهوره في الخاصة والعامة يدل على عداوتها له وحسدها عليه.

ومن ذلك ما احتج عليه أهل النقل من شهادتها لأبي بكر في صواب منعه فاطمة فدكا ومقابلتها في تلك الشهادة أمير المؤمنين (ع) فيما ذهب إليه من استحقاقها ومظاهرة أبي بكر على منع فاطمة من ميراث أبيها ولم يشركها في ذلك إحدى الأزواج.

ومن ذلك ما رواه إسحاق عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن عائشة قالت استشعر رسول الله من المرض في بيت ميمونة فدعى نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي فأذن له فخرج بين رجلين من أهل بيته أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر يخطان قدماه الأرض عاصبا رأسه حتى دخل بيتي قال عبد الله فحدثت عنها عبد الله بن العباس فقال هل تدري من الرجل؟ قال ذلك علي بن أبي طالب وما كانت أمنا تذكره بخير وهي تستطيع

ومن ذلك أن عائشة كانت تذم عثمان وولاته وكانت تقول كل قول بغضا منه وترفع قميص رسول الله فتقول هذا قميص رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان أحكامه ولما جاء الناعي إلى مكة فنعاه بكى لقتله قوم من أهل ظنه فأمرت مناديا ينادي: ما بكاؤكم على نعثل أراد أن يطفئ نور الله فأطفأه الله تعالى وأن يضيع سنة رسوله فقتله ثم أرجف بمكة أن طلحة قد بويع له فركبت مبادرة بغلتها وتوجهت نحو المدينة وهي مسرورة حتى انتهت إلى (سرف) فاستقبلها عبد بن أبي سلمة (١)

----

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ – ص ١٧٢) يعرف بابن أم كلاب نسبة إلى أمه ثم ذكر الحديث وذكر أبياته:

منك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام * وقلت لنا: إنه كفر
فهبنا أطعناك في قتله * وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرء * يزيل الشبا ويزيل الصعر
ويلبس للحرب أثوابها * وما من وفي مثل من قد غدر

فقالت له ما عندك من الخبر قال قتل عثمان قالت فمن ذا ولوه قال بايعوا عليا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت والله لوددت أن هذه تطبق على هذه إن تمت لصاحبك فقال لها عبد بن أبي سلمة ولم؟ فوالله ما على هذه الغبراء نسمة أكرم منه على الله فلماذا تكرهين قوله فقالت إنا عبنا على عثمان في أمور سميناها له ولمناه عليها فتاب منها واستغفر الله فقبل منه المسلمون ولم يجدوا من ذلك بدا فوثب عليه صاحبك فقتله والله لإصبع من أصابع عثمان خير منه وقد مضى كما يمضي الرخيص ثم رجعت إلى مكة تنعى عثمان وتقول هذه المقالة للناس: فهل يصح رحمكم الله عند أحد من العقلاء دخول الشبهة من بغضها أو يرتاب مكلف في إعنادها لأمير المؤمنين عليه السلام على ما ذكرناه.

ومن ذلك ما رواه نوح بن رواح عن أبي إسحاق قال حدثني المنهال عن جماعة من أصحابنا أن طلحة لما قدم مكة جاء إلى عائشة فلما رأته قالت يا أبا محمد قتلت عثمان وبايعت عليا فقال لها يا أماه مثلي كما قال الشاعر

ندمت ندامة الكسعي لما * رأت عيناي ما صنعت يداه

أولا ترى أنها تبدي له العداوة في كل حال وتظهر العناد له بكل مقال

ومن ذلك كتبها إلى الآفاق تؤلب عليه وتخذل الناس عنه من غير شبهة تعرض في الديانة لفعل كان منه كتبت إلى زيد بن صوحان على ما اجتمعت عليه نقلة الأخبار:

بسم الله الرحمن الرحيم من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين زوجة النبي إلى ابنها المخلص زيد بن صوحان أما بعد إذا جاءك كتابي هذا فأقم في بيتك وخذل الناس عن علي حتى يأتيك أمري وليبلغني عنك ما أقر به فإنك من أوثق أهلي عندي والسلام.

فكتب إليها زيد بن صوحان:
بسم الله الرحمن الرحيم من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر أما بعد فإن الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر أمرك أن تقري في بيتك وأمرنا بالجهاد فأتاني كتابك بضد ما أمر الله به وذلك خلاف الحق والسلام (١).

ومن ذلك ما تظاهرت به الأخبار وثبتت به الآثار في الكتب المصنفة في حرب البصرة وغيرها من كتاب عايشة إلى حفصة ما رواه عن الأصم عن الحسن بن أبي الحسن البصري قال لما نزل علي (ع) ذا قار كتبت إلى حفصة الذي قدمنا ذكره.

وروى بشر بن الربيع عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال ذكر النبي خروج بعض نسائه وعنده عائشة وعلي حاضر فضحكت عائشة والتفت إلى علي وقال إذا رأيت من أمرها شيئا فارفق بها (٢)

وروى عصام بن قدامة البجلي عن ابن عباس قال قال رسول الله لعائشة وعنده نساءه ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وشمالها خلق كثير كلهم في النار وينجو بعد ما كادت.

وروى أبو بكر بن عياش عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال المسعودي في حديثه قال رسول الله يا علي إذا أدركتها فاضربها واضرب أصحابها.

---

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ – ص ١٨٣).
(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (ج ٣ – ص ١١٩) ولم يعقب عليه الذهبي وفي تطهير الجنان لابن حجر بهامش الصواعق المحرقة ص ١٠٨ قال رسول الله لعلي سيكون بينك وبين عائشة أمر قال علي (ع) أنا أشقاها؟ قال لا فإذا كان ذلك فأرددها إلى مأمنها

وروى علي بن مسهر هشام عن ابن عروة عن أبيه عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا عائشة إني رأيتك في المنام مرتين أرى جملا يحملك في سدفة من حرير فأكشفتها فإذا هي أنت.
أفلا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهاها وقد بين ما يكون منها على علم منه في مصيرها وعاقبة أمرها ثم نهاها عن ذلك وزجرها ودعا عليها
لأجله وتوعدها صلى الله عليه وآله فأقدمت على خلافه مستبصرة بعداوته وارتكبت نهيه معاندة له في أمره وصارت إلى ما زجرها عنه مع الذكر له والعلم
به من غير شبهة في معاندته على أن كتاب الله المقدم في الحجة على ما تعمده من أثر وخبر وسنة وقد أوضح ببرهانه على إقدام المرأة على
الخلاف له من غير شبهة وقتاله وقتال أوليائه لغير حجة بقوله تعالى لها ولجميع نساء النبي: وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى
فخرجت من بيتها مخالفة لأمر الله وتبرجت بين الملأ والعساكر في الحروب تبرج الجاهلية الأولى وأباحت دماء المؤمنين وأفسدت الشرع
على المسلمين وأوقعت في الدين الشبهات على المستضعفين.
ومن ذلك ما رواه أبو داود الطبري عن عبد الله بن شريك عن عامر
عن عبد الله بن عامر قال سمعت عبد الله بن بديل الخزاعي يقول لعائشة
أنشدك الله ألم نسمعك تقولين سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول علي مع الحق
والحق مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض (١) قالت بلى فقال لها
إذا كان ذلك مم هذا قالت دعوني والله لوددت أنهم تفانوا جميعا فدل ذلك
على أنه لم يعترضها شبهة في قتاله وأنها في خلاف الله ورسوله والأخبار
في هذا المعنى كثيرة إن أخذنا في إيرادها طال بها الكتاب فأما ما جاء
في عناد طلحة والزبير لأمير المؤمنين (ع) وإقدامهما على حرب عثمان

---

(١) رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين (ج ٣ ص ١٢٤) ولم يتعقبه الذهبي في تلخيص المستدرك.

طمعا في نيل الأمر من بعده بغير شبهة في ذلك وأنهما كانا متوليين لقتل عثمان فلما بايع الناس لأمير المؤمنين (ع) وفاتها ما كانا يأملانه من التأمر على الناس عمدا إلى حربه ورمياه بما صنعاه بعثمان وعاندا في ذلك وكابرا ودفعا به المعلوم.

وروى موسى بن مطير عن الأعمش عن مسروق قال دخلنا المدينة فبدأنا بطلحة فخرج مشتملا بقطيفة حمراء فذكرنا له أمر عثمان وهم القوم به فقال لقد كاد سفهاؤكم أن يغلبوا عقلائكم ثم قال أجئتم معكم بحطب ألا فخذوا هاتين الحزمتين فاذهبوا بها إلى بابه فأحرقوه بالنار فخرجنا من عنده وأتينا الزبير فقال مثل قوله فخرجنا حتى أتينا عليا عند أحجار الزيت فذكرنا أمره فقال استتيبوا الرجل ولا تعجلوا فإن رجع عما هو عليه وإلا فانظروا.

وروى محمد بن إسحاق عن أبي جعفر الأسدي عن أبيه عن عبد الله ابن جعفر قال كنت مع عثمان وهو محصور فلما عرف أنه مقتول بعثني وعبد الرحمان بن أزهر إلى علي (ع) وقد استولى طلحة على الأمر وقال انطلقا وقولا له إنك أولى بالأمر من ابن الحضرمية فلا يغلبنك على أمر ابن عمك.

وروى الفضل بن دكين عن عمران الخزاعي عن ميسرة بن جرير قال كنت عند الزبير بأحجار الزيت وهو آخذ بيدي فأتاه رجل وقال يا أبا عبد الله إن أهل الدار قد حيل بينهم وبين الماء فقال ادبروا: (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم في شك مريب) فهذه الأخبار وأمثالها قد جاءت بما فعل طلحة والزبير بعثمان وما أباحاه من دمه وإن أمير المؤمنين كان معتزلا لذلك عن عثمان دافعا عنه بحسب الإمكان ثم جاءا بعد ذلك يطلبان بدم عثمان ويدعيان عليه أنه تولى قتله ويقر فإنه بما ادعياه ويعملان في قتل أهل الإيمان

وإثارة الفتنة في الإسلام وهلاك العباد والبلاد.
وروى إبراهيم بن عمر عن أبيه عن بشير عن نوح بن دراج أن عليا قال لهما والله ما للعمرة تريدان وقد بلغني أمركما وأمر صاحبتكما فحلفا بالله ما يريدان إلا العمرة.
وروى الحسن بن المبارك عن بكر بن عيسى أن عليا (ع) أخذ عليهما العهد والميثاق أعظم ما أخذه على أحد من خلقه أن لا يخالفا ولا ينكثا ولا يتوجها وجها غير العمرة حتى يرجعا إليه فأعطياه ذلك من أنفسهما ثم أذن لهما فخرجا.
وروت أم راشد مولاة أم هاني أن طلحة والزبير دخلا على علي فاستأذناه في العمرة فلما وليا من عنده سمعتهما يقولان ما بايعا بقلوبنا وإنما بايعنا يأيدينا فأخبرت عليا بمقالتهما فقال: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) ثم قام عليه السلام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:
أما بعد فإن الله لما قبض نبيه قلنا نحن أهل بيته وعصبته وورثته وأولياؤه وأحق خلق الله به لا ينازعنا في سلطانه أحد فبينما نقول ذلك إذ نفر المنافقون فانتزعوا سلطان نبينا منا وولوه غيرنا وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين أن يعودوا إلى الكفر لغيرنا ذلك ما استطعنا وقد وليتمونا أيها الناس أمركم وبايعني طلحة والزبير فيمن بايعني منكم ثم نهضا إلى البصرة ليفرقا جماعتكم ويلقيا ما بينكم الفتنة اللهم فخدهما بغشهما لهذه الأمة وسوء بطرهما.
وفي رواية أخرى في غير هذا الكتاب خطبته هكذا:
أما بعد فإنه لما قبض الله رسوله قلنا نحن أهله وورثته وعترته

وأولياؤه دون الناس لا ينازعنا في سلطانه أحد ولا يطمع في حقنا
طامع إذا انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا فصارت الإمرة لغيرنا
وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل فبكت الأعين
منا لذلك وخشنت الصدور وجزعت النفوس وأيم الله لولا مخافة الفرقة
بين المسلمين وأن يعودوا إلى الكفر ويبور الدين لكنا على غير ما كنا
لهم عليه فولى الأمر ولاة لم يألوا الناس خيرا ثم استخرجتموني أيها
الناس من بيتي فبايعتموني على شنئان مني لأمركم وفراسة تصدقني عما
في قلوب كثير منكم وبايعني هذان الرجلان في أول من بايعني تعلمون
ذلك وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم إلى
آخر ما في المتن قال وقد كان في منع الحسن (ع) أن يدفن مع جده فيما
لا خلاف فيه بين العلماء فيما حاورت به القوم إذ قالت ما لكم ولي تريدون أن
تدخلوا بيتي من لا أحب وكانت مؤذية له في أسباب لا حاجة لنا بذكرها
ومن الله نسأل التوفيق لما يرضيه والعمل بما يقرب منه ونستهديه إلى
سبيل الرشاد إنه ولي الإجابة قريب مجيب والحمد لله حمد العارفين بفضل
العوارف وصلاته وسلامه على سيدنا محمد المصطفى من الخلق المبعوث
بالحق هلال الدين ونور المتقين وسيد الأولين والآخرين وآله الطاهرين.